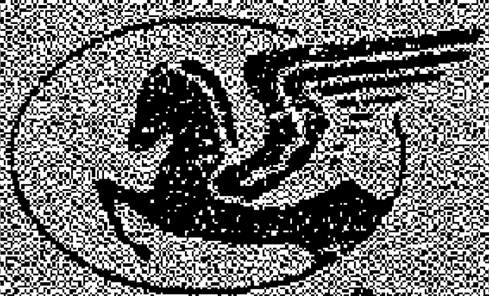
تموز (يوليو) ١٩٧٩ - شعبان ١٣٩٩

المختار



من ريدرز دايجست

القردة الناطقة ١٧
تركيا خليط شعوب وملتقى حضارات ٢٤
النظام الغذائي الفعال ٣٣
كلنا في حاجة الى الاحلام ٣٩
ازمة الصناعة الاوروبية ٤٣
مجد الباليه اعطي له ٤٩
عائمون في البحر ٥٧
برلين وراء الجدار ٦٤
مفتاح النجاح ٧١
مدينة النور ٧٥
بالقلم بدأ كل شيء ٧٩
خذ كليتي فانت اخي ٨٤
حدائق من الشرق ٩٠
العرس الذهبي ٩٩
المزارع الرسام ١٠٤
رحلة الى قاع العالم ١١١
ذات الرئة لا تزال فتاكة ١١٧
البحث عن لقاح ضد تسوس الاسنان ٥
عرس الشمس والظل ١٠

كتاب الشهر الجذور ١٤١

تأملات معاصرة ١ - اكتب واربح ٨ - اصداء من عالم الطب ٣٢ - الضحك خير دواء ٧٠
حديقة افكار ٨٢ - دائرة المعارف ٩٧ - صور من الحياة ١٠٩ - حكايات من العالم ١٦٠

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

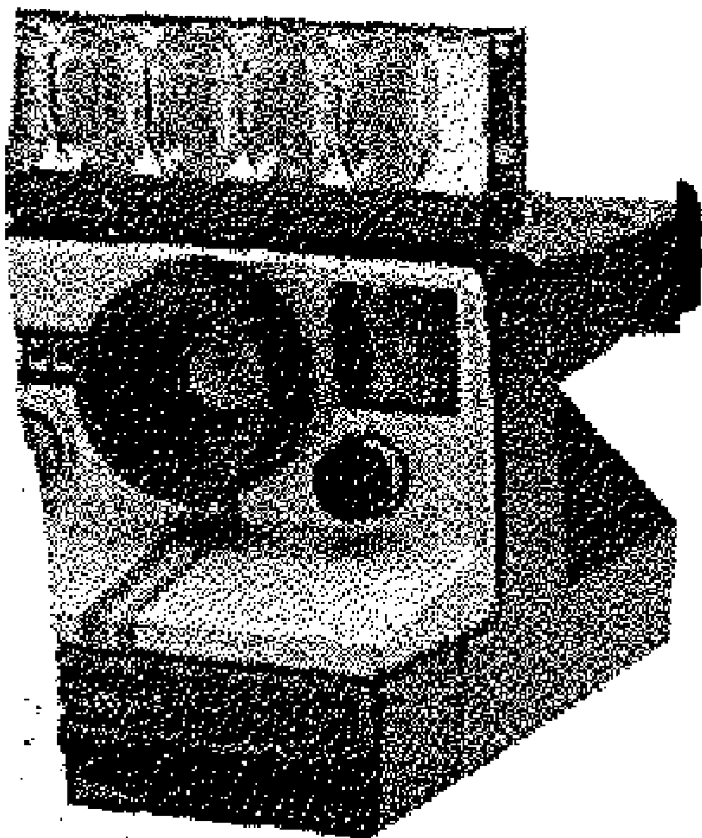
لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠ - كندا وامريكا الشمالية ٢٠٠

اختر اللقطة التي تروق لك -
واضغط على الزر فقط !

Polaroid 1000

بولارويد ١٠٠٠
تفعل
الباقي .

آلة التصوير التي يرغبها العالم أجمع !
ليس هنالك ما تعده ولا شيء تضبطه .. ما عليك سوى أن توجه آلة التصوير وتضغط على زر آلة التصوير الفوري بولارويد ١٠٠٠ الزهيدة الثمن التي ستقدم لك فورًا صور بألوان إس-إكس ٧٠ الزاهية الخلابة التي تحمض نفسها تلقائيًا أمام عينيك .
ليس هنالك أسهل من هذه الطريقة لتسجيل اللحظات السعيدة وحفظها على مر السنين .
لا غرابة في أن العالم كله يرغب في إقتناء آلة التصوير الفوري بولارويد ١٠٠٠ ! .
إتصل فورًا ..
بوكيل بولارويد المعتمد .



Polaroid
ثلاثون عامًا
في طليعة التصوير !!

• بولارويد • و • اس • اكس ٧٠ • علامات تجارية لمؤسسة بولارويد ، كمبريدج ، ماساتشوستس ، الولايات المتحدة الامريكية . الحقوق محفوظة •



تأملات معاصرة

مفارقة الحضارة

الشعوب التي لم تخلف وراءها سوى النصب والتماثيل لتسجل وجودها تلاشت مع الزمن. اما الشعوب التي خلفت افكارا فقد بقيت حية. ان مجتمعا من دون افكار هو مجتمع من دون تاريخ.

ماكس ديمونت

اجتماع الضدين

تعلم الام الحانية طفلها السير وحده، فتقف بعيدة عنه ثم تمد ذراعيها وتومىء بوجهها كما لو كانت توحي اليه بمكافأة او تشجيع. ويجاهد الطفل بعناد للوصول الى ملجأه بين ذراعيها. لكن بعض الشك يخامره لانه، في اللحظة ذاتها التي يؤكد فيها حاجته الى أمه، يبرهن عن قدرته على الاستغناء عنها.

سورين كيركغارد

الطريقة الصحيحة

لقد تعلمت الكثير من الكلاب. فمنذ سنوات كان لدي جرو رعي الماني، وكنت احاول اجباره يوميا على تقبل ملعقة من زيت كبد الحوت. وذات يوم انزلق الكلب من بين ذراعي، وصب الدواء ثم أخذ يلعقه. فهو كان يحب الزيت، لكنه لم يحب طريقة اعطائي اياه.

وغالبا ما اطبق تلك الحكمة، على التدريس. فلعل الطالب راغب في الحصول على ما لدى المعلم من معرفة بشرط ايصاله اليه بطريقة صحيحة.

اجيلي ان سميث

الموت

الموت هو الانفصال النهائي عن كل ما عملنا وما بنينا، وعن كل ما هو قريب وعزيز علينا، ولكم يثير الاسى ان يكون الموت آخر ما نفعله، لانه يمكن ان يعلمنا الكثير عن الحياة.

روبرت هيرهولد

قوة الاعتذار

الاعتذار يصون الود، وله مفعول ترياق مضاد للكراهية، وهو ليس دليل ضعف، ولا يكلف المرء سوى غروره. لكنه يوفر دائما اكثر مما يكلف. انه أداة لا غنى عنها.

كاتب مجهول

ما يدمر الانسان

سياسة بلا مبادىء،
لذة بلا ضمير،
ثروة بلا عمل،
معرفة بلا خلق،
تجارة بلا فضيلة،
علم بلا روح انسانية،
عبادة بلا تضحية.



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: **مؤنس طه حسين.**
رئيس التحرير: **ادمون صعب.**
رئيس التحرير المعاون: **اديب صعب.**
مدير التحرير: **فؤاد غطاس كرم.**
امانة التحرير: **رينا نداف.**
الاخراج: **اروى سيف الدين.**

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس.

الناشر:
شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية.

المؤسسون: **غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح.**

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات:

TAMAM **شركة تمام**
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية ـ باريس.

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا.

الخط: **محمد ماجد.**

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: **جون أ. اوهارا.**
مدير التحرير: **آلان دوليرو.**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
Nº DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: ساعات ومزاول شمسية.

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
July 1979 Nº8 *(New Series)*. Vol.1



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY

البحث عن لقاح ضد تسوّس الاسنان

منذ سنوات والعلماء يبحثون عن لقاح يقي الاسنان التسوس ويحفظها بيضاء سليمة. ويبدو ان هؤلاء حققوا تقدما ملحوظا في هذا المجال

قلما ينجو الانسان من نخر الاسنان او تسوسها، فهو مرض يصيب جميع الناس تقريبا، وقديم العهد قدم الانسان ذاته. ولقد تمكن العلماء حتى الان من التغلب على عدد من اصعب المشكلات الصحية التي واجهتها البشرية، بداية بالسل حتى شلل الاطفال. فلم لا يستطيعون التغلب ايضا على نخر الاسنان المتواضع الشأن والمسبب الاكبر للمشقة والازعاج وضياع الوقت وانفاق المال؟ ولم يتعذر عليهم الاهتداء الى لقاح يحول دون تآكل الاسنان؟

والواقع هو ان العلماء قد اصبحوا على وشك الوصول الى مثل هذا الحل الحاسم. فالباحثون يعلمون ان نخر الاسنان يعود امره، على نحو رئيسي، الى جراثيم معينة من فصيلة المكور العقدي المتغير. وعندما تجد هذه الجراثيم البيئة الملائمة لها في الفم تلتصق بالاسنان وتفرز فيها حامضا أكالا تتفتت من جرائه المينا التي يطلى بها سطح الاسنان. ويبدو ان الجسم بما له من مناعة طبيعية كفيل بالتغلب على المكور العقدي المتغير. وقد اكتشف العلماء حديثا فصيلة جديدة من الاجسام المضادة تسمى "أج أ"، تفرزها الغدد اللعابية، وتستعد لاداء مهمتها ما ان تدخل الفم مجموعة من المكورات العقدية المتغيرة.

ومن هنا، جاءت اثارة العلماء للبحث عن اللقاح. ويقول احد كبار الباحثين في هذا الصدد، مارت توجمان الذي يعمل في مركز فورسايت للاسنان في بوسطن: "نحن الان على وشك الوصول الى حل حاسم لتآكل الاسنان. وجميع الاختبارات التي اجريت على الفئران والجرذان والسعادين ادت الى نتائج ايجابية".

ولقد بدأت المساعي لاكتشاف اللقاح على اثر التحقق من ان نخر الاسنان مرض ممكن الانتقال بالعدوى. فمنذ مائة عام تقريبا قدر

الباحثان الامريكيان أ٠س٠ اندروود وو٠د٠ ميللر، ان نخر الاسنان ينتج من مسبب ميكروبي، وان هناك نوعا من الطفيليات في اللعاب يحول مادة السكر في الفم الى حامض لبني يؤدي الى تآكل الميناء٠ ثم اكتشف الباحث الانكليزي ج٠ ك٠ كلارك في العشرينات كائنا عضويا، يعرف بـ"المكور العقدي" في فجوات الاسنان الناجمة عن التآكل٠ وينتظم المكور العقدي في شكل العقد او المسبحة او الخلايا المكورة، لكنه يتميز عن الجراثيم الكروية العادية التي تصيب الحلق بان شكله الكروي يتغير مع تفاقم التآكل فيتحول الى شكل عضوي٠ ومن هنا، اطلق عليه كلارك اسم "المكور العقدي المتغير"٠

انتقال النخر بالعدوى ــ وفي عام ١٩٥٤، توافر مزيد من الادلة على تسبب تآكل الاسنان من جراثيم الفم من نوع المكور العقدي، وذلك بفضل الاختصاصي فرانك اورلاند الدكتور في طب الاسنان من جامعة شيكاغو، بالتعاون مع لفيف الباحثين في جامعة نوتردام٠ فقد اجرى البروفسور اورلاند وزملاؤه تجارب على مجموعة من الفئران خالية تماما من الجراثيم، ونقلوا المكورات العقدية من فم الانسان الى هذه الفئران ثم غذوها بالسكر٠ وكان ان اصيبت الفئران بالمرض في حين ان مجموعة اخرى من الفئران التي لم تنقل اليها العدوى غذيت بالطعام نفسه فلم تصب بأي سوء٠

وعندئذ تهيأت السبل للذين سيتقدمون بتفسير التفاعل القائم بين هذا النوع من الجراثيم والنظام الغذائي٠ فاقدم كل من بول كيز الدكتور في طب الاسنان في المعهد الوطني لبحوث الاسنان وروبرت فيتزجيرالد الذي يعمل في مستشفى رجال الادارة القدماء في ميامي، على الخطوة الحاسمة في هذا المجال قرابة عام ١٩٦٠٠ عندما اكتشفا ان المكور العقدي المتغير يتميز عن جراثيم اللعاب بان الجرثومة التي تتسبب في المرض تستقطر من مادة "السكروز" نوعا من الغراء يمكنه من الالتصاق بالمينا ويتيح له بالتالي التغذي من السن٠ وفي اثناء هذه العملية يفرز المكور العقدي المتغير حامضا يتفاعل مع المواد الغذائية التي تحتويها السن، وبذلك يبدأ التآكل٠

وقد توصل كيز وفيتزجيرالد الى نتيجة اخرى مثيرة، وهي ان نخر الاسنان مرض قابل للانتقال بالعدوى الى حد ما٠ فقد وضعا في قفص واحد مجموعة من الجرذان المصابة بنخر الاسنان مع مجموعة اخرى سليمة، فاكتشفا ان العدوى قد انتقلت الى المجموعة الثانية٠

اكتشاف الاجسام المضادة ــ ثم توالت الاكتشافات في اواخر الخمسينات واوائل الستينات حين اجرى الدكتور الطبيب توماس توماسي الذي يعمل حاليا في عيادة مايو، مقارنة بين الاجسام المضادة في اللعاب والاجسام المماثلة لها في الدم فوجد فرقا كبيرا بين الحالين٠ وقد ادى ذلك الى اكتشاف الاجسام المضادة المسماة "آج٠ أ" والتي توجد خصوصا في الافرازات الخارجية (اللعاب والدموع وافرازات المناطق

المعوية والتنفسية والمهبلية) وفي انحاء الفم كذلك.

وعندئذ اصبح البحث عن اللقاح امرا جديا، فحقق موريس واغنر في جامعة نوتردام اول محاولة ناجحة في هذا المجال، عندما اكتشف ان حقن مجموعة من الفئران الخالية من الجراثيم بالجرثومة العقدية الميتة يؤدي الى شن الاجسام المضادة "اج أ" هجوما مضادا. وعندما اعطيت هذه الفئران مجموعة من العقديات الحية عن طريق الفم، لم تصب بأي نخر بفضل المناعة التي زودتها بها الاجسام المضادة السابقة الذكر.

وفي ١٩٦٩ اعلن وليم باون الذي يعمل في كلية الجراحين الملكية في لندن انه لقح ثلاثة قرود بخلايا عقدية حية وغذاها بالكعك والحلوى فوجد بعد سنة ان ما اصاب اسنانها من فجوات النخر كان اقل مما اصاب غيرها من القرود التي لم يجر تلقيحها. وواصل باون جهوده فاجرى مزيدا من التجارب التي استخدم فيها شتى المستحضرات وتبين بعد خمس سنوات ان مجموعة من خمسة قرود لقحت بالمكورات العقدية الميتة لم تصب بأي نخر، بينما هناك مجموعة من الحيوانات التي لم تلقح اصيبت باربع وستين فجوة في اسنانها.

وثمة عدد من الباحثين يعني باجراء التجارب من زوايا مختلفة. ففي مركز فورسايت للاسنان يحاول مارتن توبمان وزملاؤه استخراج لقاح من انزيم مستمد من المكورات العقدية المتغيرة. ولقد يكون هذا الحل اقل مجازفة من استخدام المكورات العقدية ذاتها التي ربما ادت الى آثار جانبية لا يؤدي اليها استخدام الانزيم المستمد منها.

ولئن كانت هناك في الواقع حماسة كبيرة للبحث عن لقاح مضاد لتآكل الاسنان، الا ان هناك ايضا بعض المشكلات التي تواجه البحث في هذا الميدان. ففي رأي اروين ماندل الاستاذ في كلية جراحة الاسنان والفم في جامعة كولومبيا ان تآكل الاسنان قد يعود الى عوامل اخرى عدا المكورات العقدية المتغيرة. وهو يحذر في الوقت نفسه من الاستسلام للمجازفات الخطرة في هذا الصدد.

غير ان جيمس كارلوس الاختصاصي في طب الاسنان ومدير البرنامج الوطني لمقاومة نخر الاسنان، لا يساوره اي شك في ان ايجاد لقاح مناسب ضد النخر في غضون السنين العشر او الخمس عشرة المقبلة، سيكون له وقعه البعيد المدى على مهنة طب الاسنان وعلى المجتمع.

ويضيف: "لكنني لست اتوقع من وراء هذا الامكان القضاء على مهمة طبيب الاسنان، وانما يبدو انه سيركز اهتمامه آنذاك على بعض النواحي المتعلقة مثلا بعيوب انطباق الاسنان (القضم) او بالحوادث التي تجر الى فقد الاسنان وغير ذلك من المشكلات. واهم ما في الامر هو ان المريض لن يضيع بعد ذلك ما يضيعه الان من وقت ومال في التردد على عيادة طبيب الاسنان، ناهيك بالالم والمعاناة، باعتبار انه سيتسنى للناس الاحتفاظ باسنانهم لمدة اطول وفي حال صحية افضل".

■ لي ادسون

اكتب واربح

منذ صدور العدد الأول من "المختار" تدفقت على قلم التحرير في المجلة، على نحو فريد، مئات الرسائل من القراء العرب في العالم العربي والخارج، حاوية الطرائف والنكات والقفشات والتجارب الشخصية المنوعة.

وقد فرزت الدفعات الاولى من هذه الرسائل حسب تاريخ ورودها ثم صنفت ابوابا مقابلة لابواب المجلة، وبوشرت عمليات مراجعتها واختيار المناسب منها وقد اخذ المسؤولون عن باب "اكتب واربح" بالشروط التي نشرت في "المختار" والتي في ضوئها يتم تقويم الرسائل.

ولاحظ هؤلاء المسؤولون ان كثيرا من القراء لا يتقيدون بهذه الشروط مما يؤدي الى اهمال رسائلهم. ومن اجل تفادي الوقوع في هذا المحظور وتوفيرا للجهد الذي يبذله القراء في هذا المجال ويقدره "المختار" ويعتز به، نود ان نلفت القراء - الكتّاب الى الامور الآتية:

○ **كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.**

○ **كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...) وايجاد ابعاد معقولة بين الفقرة والفقرة او بين الطرفة والطرفة تسهيلا لمراجعتها وتصنيفها...**

○ **عدم الاعتداد بكمية ما يرسل بل بنوعيته. وفي هذا المجال، القارىء هو افضل من يختار مما لديه، وعليه ان يرسل النخب الافضل.**

○ **في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.**

○ **ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة.**

ان المواد التي يساهم بها القراء تخضع للمراجعة والتدقيق قبل نشرها لذلك لا بد من ذكر المصدر للعودة اليه.

○ **تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية لان الهدف من اشراك القراء في تحرير ابواب المجلة هو تعزيز المادة العربية الاصيلة.**



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة وأكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولاراً

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي لا يخالف السلوك والاخلاق ويكون طريفاً وجذاباً ومثيراً للاهتمام.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ دولاراً عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولاراً

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين. (راجع الباب الخاص في صفحة اخرى).

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية (يراجع المقال المتعلق بهذا الموضوع في صفحة اخرى) او التجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

● شروط خاصة ●

- الحد الاقصى لطول النص: ٣٠٠ كلمة للباب و٢٥٠٠ كلمة للمقال.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.
- يستحسن ارسال قصاصة عن النص المنشور او صورة عنه.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

عرس الشمس والظلّ

الشمس التي يستحم فيها العالم هي مصدر الوعي، بل مصدر الحياة ذاتها · على ان النور للعين اليقظة قد يكون ايضا مصدر ابتهاج لا يحد

تضفي الشمس سحرا على حياة اولئك الذين يعوّدون انفسهم الرؤية · وللنور، كما للنبيذ المعتّق او للموسيقى العظيمة، سمات وظلال متعدّدة · والحق اني احسّ، حينما أسترجع الماضي، بأني عمدت مرارا وتكرارا الى السعي الجاد عن جمال النور · فكنت استيقظ باكرا مع الفجر وأصرف ساعات يوم من ايام الصيف المشجّعة على الكسل وأنا اراقب اطوار ضوء الشمس المتبدلة وهي تسبغ وهجا شفّافا على جناحي فراشة او تلقي ظلالا مخرّمة على جدار حجري خشن او تترافص كسلسلة من الجواهر في بركة ماء صغيرة ·

يتباين اشعاع النور لا حسب الاوقات فقط وانما بحسب الاماكن ايضا · وقد عشقت في حياتي ثلاثة أقطار من النظرة الاولى: ولاية تكساس الامريكية وجزيرة نيوفاوندلاند الكندية واليونان · فهذه الاقطار، وان بلغ الاختلاف بينها حد المسافات الشاسعة التي تفصل كلا منها عن الآخر، الا انها تتعايش في قلبي كوحدة لا تنفصم بسبب تلك السمة الحيوية الفريدة من النور الذي ينساب فوقها جميعا ·

ان النور في تكساس ساكن وساطع

CONDENSED FROM HONOLULU BEACON (AUGUST '66) COPYRIGHT 1966 BY KOKOHALA PUB CO INC P O BOX 7072 HONOLULU HAWAII 96821

وقاس ، يسفع الارض سفعا كناقوس يجلجل في السكون، فيرتعش السراب ويتوهج في العراء. وفي نيو فاوندلاند تتلألأ الشمس بصفاء وتحف بالمنازل والناس مظهرة معالمهم في تباين واضح وحاد كحد سكين ماضية. أما في اليونان، فيا له من ضياء! النور هنا مثل حبيب من بني البشر، ذو طابع شخصي ينساب في الارض ويتهلل جذلا كأنما الارض كونت لاحتوائه.

مجد النور – كان النور ولا يزال، منذ أقدم العصور، محورا ترتكز عليه حياتنا. وتجدر الاشارة الى ان اسم "زيوس"، كبير آلهة الأغريق، يعني "السماء اللامعة". فهل من عجب بعد في ان يكون الناس، الذين احسوا بالورع ازاء مجد النور الذي يضرم الأفق نارا كل صباح، قد عبدوا الشمس؟

كلنا يعلم اليوم أن الشمس ليست عربة تجرها الجياد عبر السماء، ولا هي بالالهة التي تعبد، لكنها لا تقل حسنا او روعة. والواقع ان عبادة الشمس نشأت عن فطرة سليمة، لأن سر حياتنا كامن في تدفق النور من ذلك النجم الملتهب. والحياة، من أبسط أشكالها في هيئة متمورة (اميبا) الى اعظمها في هيئة النوابغ من امثال شكسبير واينشتاين، انما هي مستمدة من النيران النووية في الشمس.

ولا يتوقف ذلك النور، الذي يجتاز مسافة ١٤٨ مليون و٨٠٠ الف كيلومتر، عند حد اضاءة كوكبنا فحسب، بل يكون على سطحها الرقيق ضروريات الحياة نفسها. فالنور كيميائي عجيب. وما أوراق الشجر سوى معامل كيميائية يتحول فيها ضوء الشمس والماء الى طعام، ومنها يتدفق الاوكسيجين في الهواء الذي يستنشقه الانسان.

اننا ندير وجوهنا مع الشمس كما تفعل زهرة عباد الشمس، ونعتمد عليها من الناحيتين الجسدية والنفسية. ولشد ما أحسست بذلك صباح يوم من ايام الربيع خارج مدينة اثينا. فبينما كانت الشمس الاغريقية تسكب نورها على الجدران البيض وتتلألأ في اجنحة الطيور، توقف شاب وحيد ورفع وجهه نحو السماء. وكنا على مقربة منه لا تعدو ثلاثة امتار، لكنه لم يبصرنا لأنه كان كفيفا. ولم ينطق الشاب بكلمة واحدة، الا ان حركاته كانت بليغة كالنطق. فقد أدار وجهه متتبعا دفء النور، ومد يديه متحسسا. وفي حدة تخيلي فقدان حاسة البصر، رأيت، كما للمرة الاولى، مدى روعة هذه الزخرفة من النور والظل.

بهجة الالوان – ينتقل النور الينا عبر الجو على موجات ذات أطوال مختلفة، تحمل كل واحدة منها لونها الخاص. ولا ترى العين سوى شطر صغير من هذا المدى الهائل للموجات، إذ لا تمكنها رؤية ما هو دون الموجة البنفسجية وفوق الموجة الحمراء. ومع ذلك، فان هذا المدى الضئيل من اطوال الموجات كاف لأن يغمر العالم بألف بهجة وبهجة من تباين الالوان، بينها طيور صفر الصدور وأقواس قزح ومغارب شمس قرمزية وبحار في زرقة الياقوت اللامع.

ويمكن لأي شخص ان يرى كيف

الترحيب بالزائرين..

طقسنا يتغير، وهذا يحدث غالباً، والمناظر الطبيعية الخلابة تتغير أيضاً كلما اجتزت بضع كيلومترات، ولكن على هذه الأرض الخضراء المضيافة هناك شيء واحد لا يتغير:



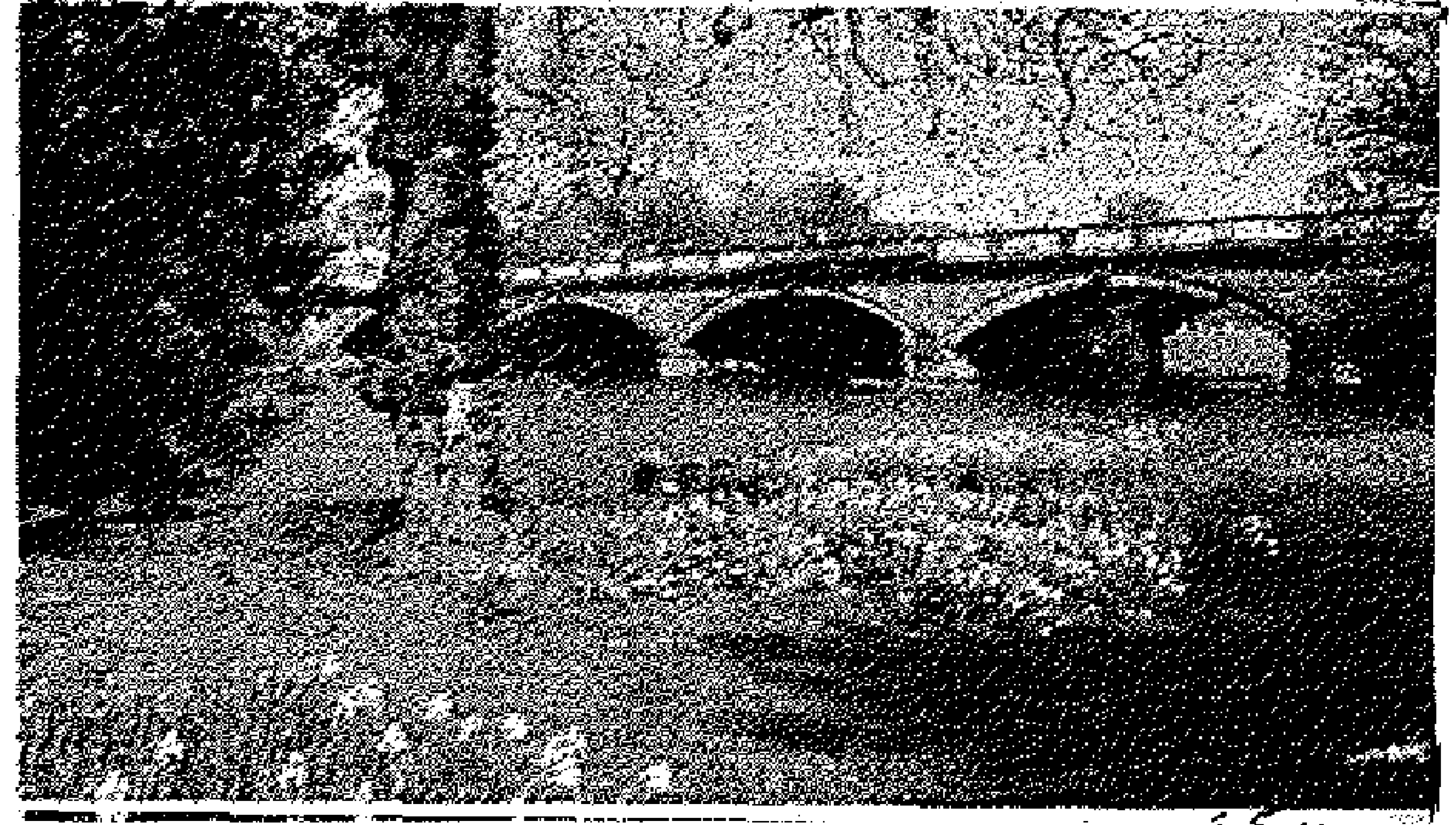
ناظر رسمول

حفاوتنا بالزائرين، حفاوة صديقة، حارة تهتم بك كل الاهتمام تماماً كما تريده أن يكون.

إن مكاتب الخطوط الجوية البريطانية هي أول مكان تشعر فيه بنوعية هذه الحفاوة. إتصل بنا فنوفر لك بكل سرور جميع المعلومات عن برنامج عطلات الخطوط الجوية البريطانية واقتراحات مفيدة أخرى بما

حرس ملكي في هايد بارك

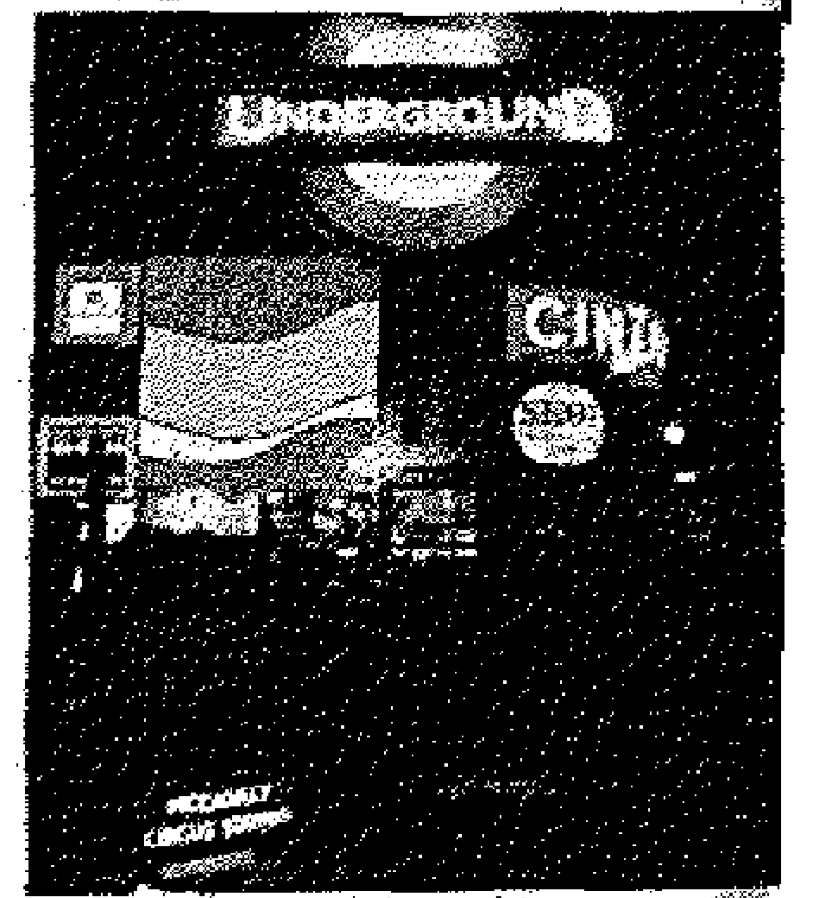
تقليد قديم في بريطانيا.



حدائق كنسنغتون

يساعد العائلة بجميع أفرادها على التمتع بعطلتها على أكمل وجه بأقل قدر من الإزعاج.

عطلتنا تتناسب بالطبع ولندن ومحلاتها الشهيرة بكل ما تحتويه من القيّم المفيد. لكن تذكر دائماً أنه يمكنك جمع التسوق إلى أنواع كثيرة أخرى من المتعة كالتنزه في بوند ستريت والتمتع



بيكاديللي سيركس

بمشاهدة كنوزه واجداً نفسك في نهاية المطاف وسط خضار "بركلاي سكوير" وأشجاره الرائعة التي تعود إلى القرن الثامن عشر. إجتز شارع اكسفورد بكامله وهناك إلى الناحية الأخرى



شارع ريجنت

من "ماربل آرش" تمتد أمام ناظريك المساحات الخضراء الجميلة التي تكون حدائق هايد بارك.

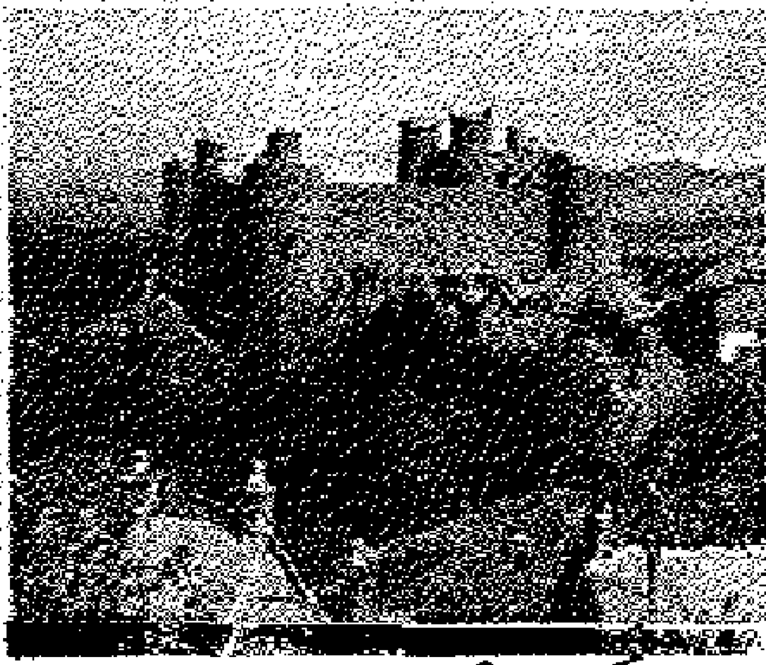
شاهدوا لندن أولاً بكل ما في الكلمة من معنى. انتقلوا بواسطة الأتوبيس في رحلاته حول لندن او استعملوا القطار فهما في متناول يدكم أينما كنتم والتعرف على المحطات سهل للغاية. ولكن بما انكم لا تستطيعون شراء كل شيء من محل واحد فلا تنتظروا مشاهدة بريطانيا بكاملها



كامبريدج

في لندن. تجولوا إذاً برحلة يوم واحد إلى خارج لندن وقارنوا بين جامعات أوكسفورد وكامبردج. اكتشفوا هندسة برايتون التي تعود إلى العهد الوصاية وتمتعوا

بمقاهيها وحاناتها وشوارعها الضيقة التي تسر الفضول.



قصر هارليك

بريطانيا تحتفي بك بأشياء متناقضة تنتظرك يومياً عند كل زاوية: من القصور إلى الحقول الخضراء الغنية



روست بيف

من المحلات التي تبيع الأشياء الأثرية إلى المطاعم الفخمة، ومن الشمس المشرقة إلى الأمطار الناعمة.

منذ اللحظة الأولى التي تأتي بها إلينا لتقرر فيها برنامجك مع عطلات الخطوط الجوية البريطانية وحتى اللحظة التي تعود بها إلى بيتك سالماً، سنحيطك بعناية أكبر.

ينحل الابيض الى الالوان المختلفة اذا ما أمسك بموشور انكساري على مجرى حزمة من شعاع الشمس المتسربة الى غرفة معتمة وعكس ما يصدر عن الموشور على شاشة بيضاء. فهو سيكتشف عندئذ ذلك الخط الملون الذي نسميه الطيف الشمسي. ومن جهة مماثلة، تتكون اقواس القزح نتيجة انكسار ضوء الشمس وانعكاسه على حبات المطر اثر زوال عاصفة. أما عظمة غروب الشمس فتتجلى حين تنسل خيوط الشمس الآخذة بالانخفاض الى جو الارض. وما النجوم كذلك الا جواهر متلألئة بالالوان. وهي وان كانت تبدو لنا فضية، الا انها تظهر للفلكيين الذين يراقبونها بالتلسكوب متوهجة اللون. وقد تحدّث رواد الفضاء عن رؤية أشعة مديدة متألقة تخترق اسوداد الفضاء.

وكم من مرة نجد، حين نستعيد لحظات قبضنا فيها على السعادة، ان النور كان متألقا فيها! وتعود بي الذاكرة الى وقت انتقلت اسرتي، وانا في الثانية عشرة، الى بلدة صغيرة في محاذاة البحر. وكانت باحة دارنا تنحدر حتى تتصل بالماء. وعلى مقربة من الامواج المتكسرة ارتفعت شجرة حور فضية ضخمة، للريح بين اوراقها همس وحفيف. وقد تدلت من اغصانها ارجوحة لي لا أزال أذكرها كلما تملكني الارهاق في رجولتي. وأذكر ان جزءا من تلك الشجرة ومساحة من مياه المحيط كانت تتلألأ تحت ضوء القمر وكنت أطير الى اوراق الحور وألج بقاعا عجيبة من النور مثلما ولجت الفتاة آليس في القصة الشهيرة، بلاد العجائب من خلال مرآتها.

ولكم حاول الفنانون أن يدمجوا الضوء في لوحاتهم، بل ان اللوحة تموت او تكتب لها الحياة بمقدار جودة ضوئها. وأذكر في هذا المجال اني علقت على حائط مكتبي ملصقا اعلانيا ضخما يمثل شارع "مونمارتر" في باريس، تبدو فيه السماء ذات زرقة تخطف الابصار. وقد رسم الفنان ضوء الشمس على حجار الرصيف وغسل جدران المنازل بضوء لامع يجعل في مقدورنا رؤية الالوان المتعددة في شارع باريسي. وتومض الشمس في هذه اللوحة على ازهار ابرة الراعي (الجيرانيوم) وعلى القلنسوات البيض التي تتوّج رؤوس الراهبات وهنّ يعبرن الشارع. وتأتي الظلال لتضفي عمقا على الأزقة وغموضا على هؤلاء الاشخاص الذين يوشكون على العبور من الساحة المستحمة بالشمس الى عتمة الظل. والانطباع العام الذي يخرج منه الناظر هو أن الفنان استخدم النور ليغمر لوحته بالبهجة.

افتح عينيك - على ان معظمنا ليس من الفنانين، فكيف يتسنى لنا نحن ايضا ان نتعلم تقدير الضوء واستخدام سحره؟ أنّى لنا أن نقبض على شعاع النور ونجعله جزءا من حياتنا اليومية؟

ان أول ما يجدر بنا فعله هو أن نفتح أعيننا لنرى كم هي كثيرة الاشياء التي تجدر رؤيتها. فلكَ ان تتابع في ليلة خريفية صافية مسار القمر وانتشار النجوم. ولك ايضا ان تنهض عند الفجر وتشاهد انبلاج

طلائع النور. كما يمكنك أن تراقب دوران شمس الصيف وظلالها فوق حقل من العشب والبرسيم وأن تكتشف التنوعات الضوئية على غصن شجرة.

انه لجدير بك ان تدرب نفسك على ملاحظة تبدّل الاشياء بفعل مرور الضوء. واذا كنت على مقربة من الماء، فانظر كيف يغير النور سطح البحر وكيف ينشر ظلاله ويرسل خيوطه الوضاءة على صفحة جدول في غابة. كذلك، حدد النظر الى سحب النغّاض المؤلفة من اكداس مدورة ذات قاعدة مسطحة، او الى النور الباهت بعد مغرب الشمس، أو راقب لمعان النجوم على صفحة بحيرة معتمة.

وقبل أي أمر آخر، تعلّم أن تحتفل بالنور. وأذكر ان فريقا منا سهر الليل بطوله على متن طائرة متجهة الى اوروبا فوق المحيط الاطلسي بانتظار بزوغ اول خيط ذهبي عند الأفق لنشرب نخبه. وفي اليابان تقام حفلات مراقبة القمر، فيجلس الضيوف بصمت ينتظرون ارتقاء القرص الذهبي قبّة السماء حتى تجلو الأنوار رؤوس الشجر وتجلل أوراقها بغمرة الأشعة.

اننا نفوق الأسلاف علما في ما يتعلق بالنور. وقد بلغت بنا المعرفة حدا يمكننا من استخدام سرّ الشمس للوصول الى النجوم أو الى... إنهاء الحياة على الارض. ويعلم الله ما سيقع عليه اختيارنا مستقبلا. اما الان فيكفينا أن ندرك ان النور يتساقط من السماء كتساقط تويجيات الأزهار، وان كل قطرة ندى هي مجد مصغر من الامجاد، واننا، نحن المنتفعين بنعمة تلك النجمة القصية، قادرون على ان نتعلم كيف "نرى النور" ونبتهج به.

■ اديس ويتمان



وصف ريفارول، الصحافي الفرنسي الذي عاش في القرن الثامن عشر، خطيب الثورة الفرنسية ميرابو بأنه "لا يتوانى عن القيام بأي عمل طمعا بالمال، حتى وان اضطره ذلك الى اداء عمل صالح".

اخلاق رياضية

برز ولدي كريغ ذو الاعوام الثمانية اخيرا كنجم في لعبة كرة القدم بين الناشئين. فخلال النصف الاول من اللعبة، حقق اربعة من اهداف فريقه الخمسة، فيما اخفق الفريق الاخر في تحقيق اي هدف.

وقبيل انتهاء اللعبة، ناور كريغ من جديد بالكرة حتى بلغ فوهة الهدف، وكان الهدف الجديد مؤكدا. لكنه - لدهشة الجميع - اسقط الكرة وراء قائمتي الهدف من دون ان يصيبه.

وبعد انتهاء اللعبة سألت كريغ: "ولكن لم فعلت ذلك يا بني؟ لقد كان في امكانك تسجيل هدف آخر".

فأجاب ولدي بحزن: "رأيت حارس المرمى يبكي يا أبي".

هـ.و.غ.

Luxury in solid gold, from Omega

الرفاهية والأبهة بالذهب، من أوميغا





هذه قصة كوكو، القردة المرموقة التي تستعمل لغة بمفردات يومية لا تقل عن ٣٧٥ اشارة، وتتمتع بشخصية تبدو انها تحطم بعض الحواجز التي تفصل بين الانسان والحيوان

القردة الناطقة

كوكو غوريلا "ناطقة" عمرها سبعة اعوام ووزنها ستون كيلوغراما. وهي موضوع عملي كعالمة نفسانية تطويرية، كما انها اصبحت صديقة عزيزة علي. ومن خلال اتقانها لغة الاشارات، كاللغة المألوفة التي يستعملها الصم، جعلتنا كوكو ندرك ان سلالتها المعنية وتشارك في الحساسيات التي يظن عموما انها تقتصر على بني الانسان.

ولنتطرق الى احساس كوكو المثير للعاطفة نحو بني جنسها من الحيوان. فلدى مشاهدتها حصانا في فمه لجام، اشارت اليه: "حزين حصان". وعندما سئلت عن سبب حزنه، ردت بالاشارة: "اسنان". وعندما شاهدت صورة "سنوفليك"، قرد الغوريلا الشهير الابيض الفروة وهو يكافح للتملص من الاستحمام، اشارت كوكو، التي تكره الاستحمام ايضا، بما معناه "انا ابكي هناك" (اي في الصورة).

ان كوكو تتجاوب مع حوافز اكثر تعقيدا ايضا. وهي تحب الدخول في حوار ولا تتقاعس عن توجيه الشتائم والاهانات، كما انها تلجأ الى الكذب للخروج من مشكلة. وبعد العمل معها ست سنوات ونصف سنة، صرت اعشق كذبها واستطيب حجتها واتوق الى شتائمها. والذي يزيد من روعة ذلك كله هو ان سلوكا من هذا القبيل ظل يعتبر، من وجهة نظر تقليدية، وقفا على الانسان. ولكن ها نحن امام قردة غوريلا تستعمل لغة وتستغلها كما يفعل الانسان.

طفلة الالعاب النارية ـ عندما التحقت بجامعة ستانفورد في كاليوفرنيا كطالبة دراسات عليا عام

١٩٧٠، اخترت موضوعا لابحاثي حيوانات الطبقة الاولى من غير الانسان. وفي عام ١٩٧١ وفد عالما النفس ر. الن وبياتريس غاردنر لالقاء محاضرات. وكانا قد تمكنا اصلا من تلقين القردة "واشو"، وهي من فصيلة الشمبانزي، لغة الاشارات (اميسلان) الامريكية التي يستخدمها قرابة ٢٠٠ الف من الصم في الولايات المتحدة. وتتألف اللغة من ايماءات تدل كل واحدة منها على كلمة او فكرة. وبحلول عام ١٩٧٠، كانت واشو قد اكتسبت ١٣٢ ايماءة تعبيرية واستعملتها في تبادل الاتصالات، ولكنها كانت قادرة على فهم اشارات كثيرة اخرى.

وامكن، من خلال مزيد من التجارب، اقامة تخاطب او اتصالات مع قرود منفردين من الشمبانزي الذين تبادلوا التخاطب باستعمال رموز بلاستيكية او بواسطة عبارات مطبوعة على لوحة مفاتيح دماغ الكتروني كانت مرتبطة مسبقا بصيغ رمزية. وساعدت هذه التجارب المهمة على اضمحلال الشكوك حول مقدرة القردة على استعمال اللغة.

وقررت المشاركة في البحوث اللغوية على قرود الشمبانزي من اجل متابعة الموضوع في ما يختص بالانسان. غير اني، وانا في حديقة سان فرانسيسكو للحيوان في احد الايام، شاهدت طفلة غوريلا وقد التصقت بامها بكل ما اوتيت من عزم. واطلق عليها اسم "هانابي - كو"، وهي عبارة يابانية تعني "طفلة الالعاب النارية"، وذلك لانها ولدت يوم الرابع من يوليو (تموز)، عيد الاحتفالات الامريكية بذكرى الاستقلال. الا ان ذلك الاسم اصبح "كوكو" للتحبب. واندفعت بحماسة الى مدير حديقة الحيوان سائلة اياه عما اذا كان مسموحا لي محاولة تلقين كوكو لغة الاشارات. فكان جوابه النفي، وكان على صواب، اذ ان كوكو في الشهر الثالث من عمرها لا يمكن فصلها عن والدتها. غير ان ذلك النفي لم يثبط عزيمتي، فبدأت اتعلم الاميسلان. وفي يوليو (تموز) ١٩٧٢، بعد انقضاء تسعة اشهر، كررت الطلب للعمل مع كوكو والاعتناء بها. وكان الجواب هذه المرة ايجابيا، لانها فصلت بسبب المرض عن مجموعة الغوريلا وباتت في حاجة الى ام وصية.

ان قرود الغوريلا يساء فهمها الى حد يبعث على الحزن. وعلى رغم كونها خجولة وهادئة ولا تضمر العداء لاحد، فالمأثور عنها انها شرسة، تسعى الى النيل من الانسان وقتله. وقد تبين من استطلاع رأي قطاع من تلامذة المدارس البريطانيين انهم يضعون الغوريلا في مصاف الجرذان والافاعي والعناكب من بين الحيوانات غير المستحبة.

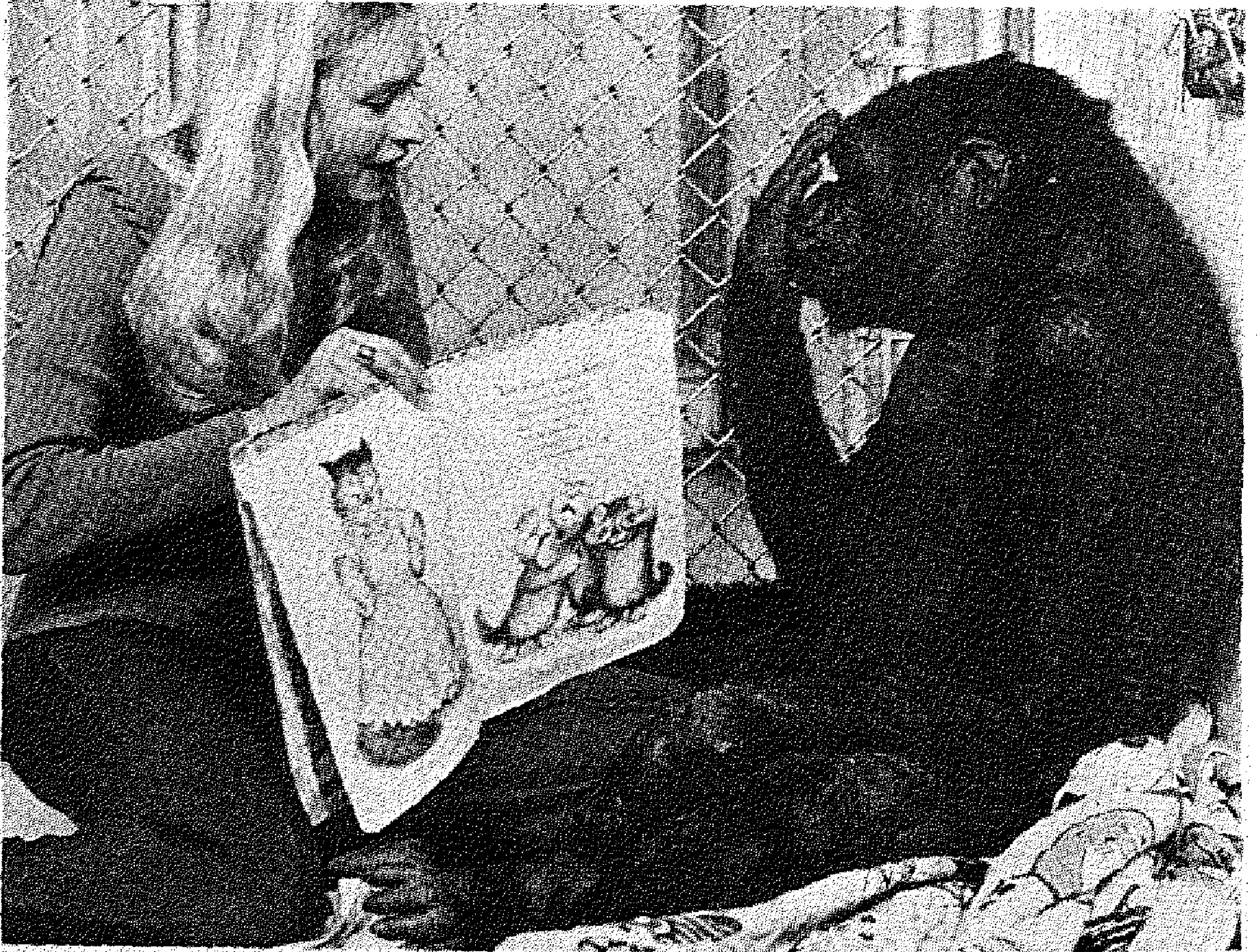
في لقائنا الاول، لم تفعل كوكو شيئا من اجل تنمية علاقات القرود العامة. فقد عضتني في ساقي تلك القردة الصغيرة التي كان وزنها عندئذ تسعة كيلوغرامات. الا ان ذلك لم يثنني عن عزمي. واليوم يسألني البعض عما اذا كان يساورني اي قلق من التفكير في التعامل معها عندما يكتمل نموها ويصبح وزنها قرابة ١١٥ كيلوغراما. وجوابي عن ذلك هو "لا"،

ولكن ببعض تحفظ٠ ومع ان وزنها الان ستون كيلوغراما، فهي اثقل مني، كما انها قوية الى حد يثير الاستغراب٠ وبينما يزداد العمل صعوبة مع قرود الشمبانزي في الاسر وهي تقترب من سن البلوغ٠ الا ان مزاج قرود الغوريلا يبدو مختلفا تماما٠

ولجعل كوكو تعبر بواسطة الاشارات والايماءات، استخدمت اسلوب "التشكيل"، اي وضع يديها على شكل الاشارة الدالة على عمل او شيء معين٠ وعندما يبدأ الحيوان بالربط بين حركة اليد والمعنى الذي تشير اليه الحركة، يأخذ المروض بتخفيف اشاراته الى ان يعتاد الحيوان اصدار الحركة او الاشارة تلقائيا٠ وكانت كوكو تحاول عضي في بداية الامر عندما كنت اقبض على يديها ٠

وفي حديقة الحيوان مشكلة اخرى هي تشويش الانتباه٠ ولذلك، كان من بواعث الشعور بانفراج كبير اني نقلت كوكو الى منزلها الخاص المتنقل، وهو قائم اليوم على ارض جامعة ستانفورد في كاليفورنيا٠ ومنذ ذلك الحين اتولى، بمساعدة زملاء لي، تسجيل الاشارات التي

الكاتبة تقص على كوكو حكاية الهرر الثلاث الصغيرة
التي ضيعت قفافيزها وأزعجت بذلك امها٠ وتحرك كوكو يدها باشارة: "هذا سيء"٠



كانت تصدر عفوا عن كوكو والمحادثات والالفاظ التي تخاطب بها نفسها. وقد سجلت تلك الاشارات على شريط صوري صوتي.

يوم النجم المتألق – ان ابتكار المفردات من افضل الدلائل على ذكاء الانسان. وقد تعلمت كوكو الاشارة الدالة على كلمة "اشرب" و"مزيد" في غضون اسابيع قليلة. وفي العام ونصف العام الاول، كانت تتعلم اشارة واحدة كل شهر. اما مفرداتها العملية الحالية، وهي المفردات التي تستعملها بانتظام في الحالات المناسبة، فتبلغ ٣٧٥ مفردة، من بينها: طائرة، سرة، مصاصة حلوى، صديق، سماعة طبيب.

تحولت غرفة المعيشة في منزل كوكو المتنقل الى حديقة اطفال وحقل تدريب بعد تركيب صندوق نوم معدني (حيث تفترش سجادتين وثيرتين موضوعتين على اطار دراجة نارية) وقضيب تمرينات وارجوحة بهلوان. وبعد وصول قرد الغوريلا الثاني "مايكل" في سبتمبر (ايلول) ١٩٧٦. وعمره ثلاث سنوات ونصف سنة، حولنا حجرة النوم الرئيسية الى حجرة تدريب ثانية. ويفصل الغرفتين باب خشبي قوي بمصراعين. وعند فتح الباب على مصراعيه، تصبح الغرفتان قاعة تدريب مشتركة كبيرة.

تفيق كوكو من نومها في الثامنة او الثامنة والنصف صباحا. وبعد ان تتناول فطورا من مشتقات الحبوب او خبز الارز المحشو بالزبيب، تشارك في تنظيف غرفتها. وتقضي كوكو نصف ساعة كل صباح تقريبا في درس على آلة كاتبة كهربائية. ولدى



حين طلب منها التزحلق على قطعة خشب ذات عجلات، سجلت كوكو مشاعر متناقضة.

شعورها بالتعب من ذلك الدرس، تقول لي: "ادخلي مايكل". ويلعب الاثنان معا قرابة ساعة، ثم يأتي دور تعليم الاشارات.

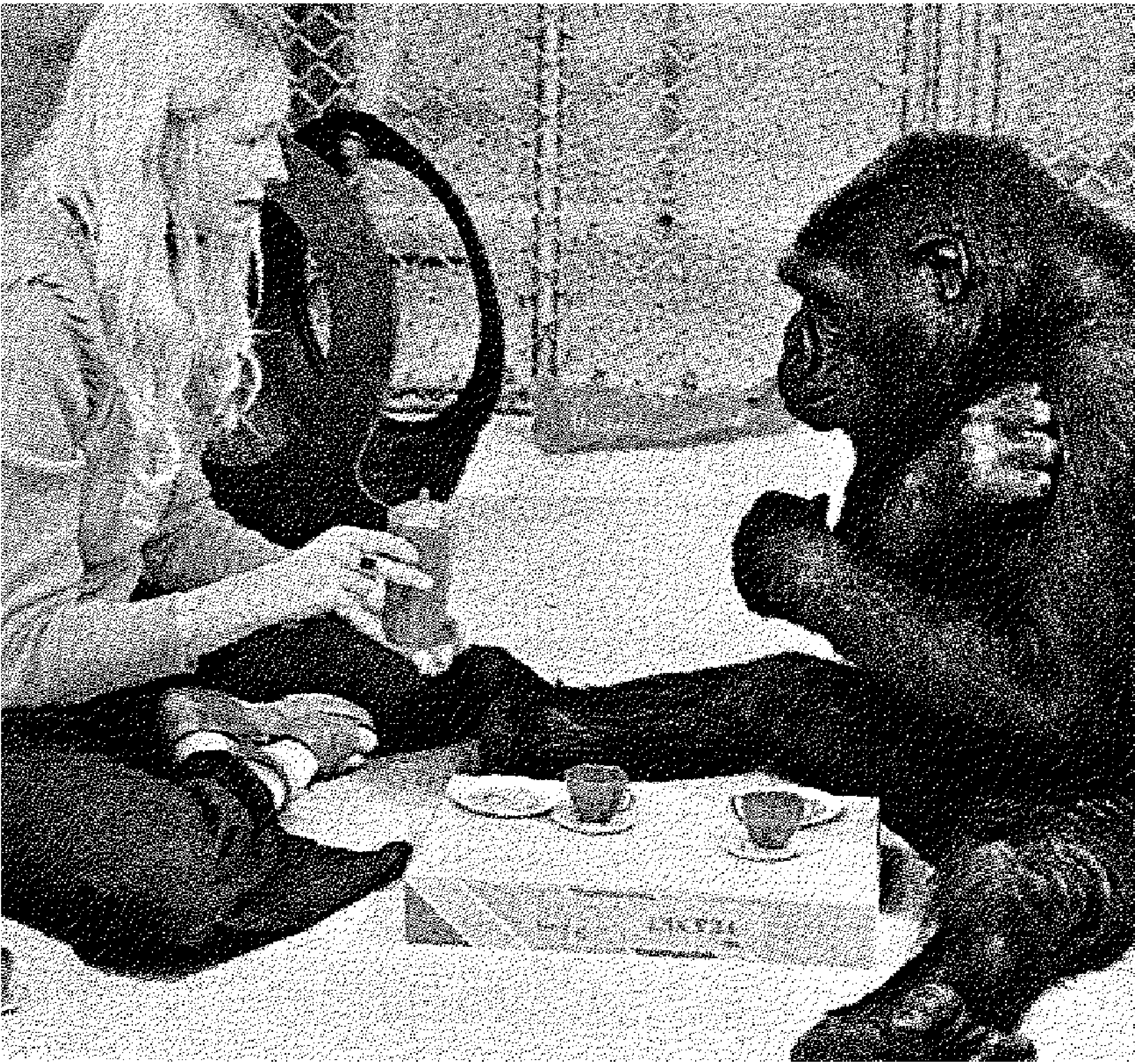
تتناول كوكو وجبة خفيفة في الساعة الواحدة بعد الظهر. وفي الثانية او الثانية والنصف تتناول شطيرة خبز مع زبدة الفستق او المربى. وفي بعض الايام اخرج مع كوكو ومايكل في نزهة او رحلة قصيرة بالسيارة. واحيانا تصدر كوكو التعليمات الي باشارات تقول فيها: "اتجهي الى هناك" (حتى لا نعود الى البيت) او: "اسرعي بنا لكي نشرب"، مشيرة الى آلات كهربائية تعطي الشراب بعد وضع النقود الصحيحة فيها.

وتتناول كوكو طعام العشاء في الساعة الخامسة مساء كل يوم، وهو يتألف من خضار طازجة، مثل عرانيس الذرة الصفراء والصماطم

(البندورة)٠
وعندما تأتي كوكو على كل ما في صحنها، تحصل على مكافأة من الحلوى، مثل الجلاتين المحلى او الفاكهة المجففة او قطعة جبن مع بسكوتة٠ وربما قضت فترة استراحة بعد العشاء وهي تتصفح كتابا او مجلة، وتشير باصابعها الى صورة ("ثلاث زهرات") وتتغطى بلحافها ("ذاك طري") او تضع اذن دميتها على اذنها ("تلك اذن")٠

وبعد تنظيف الاسنان بالفرشاة ووضع زيت اطفال لوقاية الجلد، يتناول قردا الغوريلا كوكو ومايكل في حدود السابعة مساء وجبة ليلية اخيرة من الفاكهة، لجعل وقت النوم باعثا على السرور٠ وفي معظم الليالي، تأخذ كوكو بالبكاء عندما اتركها٠

سجل التعليم ـ منذ بدء مراقبتي كوكو، طبقت عليها تجارب اختبار الادراك الانساني٠ وقد راوح معدل ذكائها بين ٨٤ و ٩٥، وهو اقل من معدل مستوى ذكاء طفل بشري بمقدار ضئيل، على رغم الانحياز الثقافي الذي تنطوي عليه التجارب٠ وعلى سبيل المثال، تطلب احدى هذه التجارب من الطفل ان يختار المكان الذي سيتوجه اليه لاتقاء المطر: قبعة، ملعقة، شجرة، بيت٠ ومن



كوكو تستجيب لوعاء الحليب المقدم لها باشارتين: "كوكو" (بيدها اليمنى) و"محبة" (بيديها الاثنتين)٠

الطبيعي في هذه الحال ان تختار كوكو الشجرة٠ لكن التعليمات تقضي بتسجيل جوابها على انه خطأ٠

وهناك "اخطاء" اخرى تتيح القاء نظرة فاحصة عميقة على شخصية غوريلا في سن المراهقة٠ فقد شاهد احد زملائي كوكو وهي تفعل الاشارة الدالة على عبارة "ذاك احمر" بينما كانت تبني لنفسها عشا من منشفة بيضاء٠ واصرت كوكو بالاشارة على ان المنشفة "حمراء"، حمراء، حمراء"٠ واخيرا امسكت بخيط رفيع من الكتان الاحمر كان عالقا بالمنشفة البيضاء وقد علت وجهها ابتسامة عريضة لادراكها انها كانت صادقة٠

يبدو احيانا ان كوكو شغوفة بفعل نقيض ما يطلب منها٠ وقد تمكن احد مساعدي من ايقافها عن كسر الملاعق البلاستيكية عن طريق اعطائها تعليمات بما معناه: "حسنا،

اكسريها!" فامتنعت كوكو عن ثني الملاعق وكسرها، وصارت تقبلها توددا. كما انها تدرك متى تسيء التصرف. فحين شعرت مرة بالغضب، اشارت الى نفسها بعبارة وصفية دقيقة: "طفل عنيد".

وبالمقدار عينه من الدقة، تحتفظ كوكو بمفردات تستعملها لتوجيه الاهانات، مثل: "نتن"، "شاذ"، "ارعن"، الى من يسيئون التصرف في نظرها. وعندما استاءت مني مرة، اشارت الي بعبارة: "شيطانة قذرة كالمرحاض".

وهناك من الشواهد الواضحة ما يدل على قدرة كوكو على اصطناع المواقف كما هي الحال بالنسبة الى بني البشر. وقد اكتشفت، وهي في الخامسة من عمرها، منفعة الكذب. ففي احد الايام شاهدتها مساعدتي كيت مان ترتطم بمغسلة وتكسرها. ولما سألت كوكو في ما بعد عمن فعل ذلك، اشارت الى المغسلة بما معناه: "كيت اساءت هناك". (ولم تكن تعرف اني سأكشف تضليلها).

غير ان بعض كذب كوكو ينطوي على براعة مذهلة. فبينما كنت منهمكة بالكتابة في احد الايام، التقطت كوكو قلم تلوين شمعيا احمر وراحت تعلكه. وحين رأيت ما كانت تفعله بالقلم، سألتها اذا كانت تعلكه. فاشارت كوكو الى شفتها، واخذت تحرك القلم على شفتها العليا ثم السفلى وكأنها تتزين باحمر الشفاه.

ازدواج اللغة ـ ثمة تحد جديد يواجه كوكو اليوم. فهي تفهم مئات الكلمات المنطوقة وتتجاوب معها. ونضطر احيانا الى تهجئة كلمات مثل ح - ل - و - ي - و - ع - ل - ك - ة حتى لا تعرف عما نتحدث. كما انها تحاول النطق بدافع ذاتي، وقد حاولت استعمال الهاتف! اما الان فان الاستاذ باتريك سابس وزملاءه في معهد ستانفورد للرياضيات المطبقة على العلوم الاجتماعية صمموا لوحة مفاتيح موصولة بدماغ الكتروني يتيح لكوكو الحديث من خلال جهاز لتركيب الكلام. والهدف الرئيس من هذا الجهاز هو تقييم ادراك الغوريلا لترتيب الكلمات المنطوقة.

وعندما تضغط كوكو على مفاتيح آلة كاتبة كهربائية، يصدر عن ذلك كلمات منطوقة. وبالاضافة الى الحروف والارقام التي تحملها الآلة، فقد دهنت مفاتيحها على نسق هندسي بسيط بحيث يمثل كل مفتاح كلمة. واذا وضعت تفاحة مثلا امام كوكو، فهي قد تضغط على مفاتيح كلمة "اريد" و"تفاحة" و"آكل" باحدى يديها، بينما توضح ذلك في الوقت نفسه باشارة من يدها الاخرى. وفي هذه الاثناء يحول الدماغ الالكتروني رسالتها الى كلام منطوق تجاوبا مع المفاتيح المضغوطة. انها غوريلا تستعمل كلتا يديها بسهولة متساوية، كما انها مُزدوجة اللغة.

وقد تولت كوكو الان مهمة تعليم مايكل (الغوريلا الذكر) كيف يؤدي اشارات معينة. لكنه لا يفعل ذلك بالسرعة الكافية. فقد حاول مرة في العام الماضي ان يؤدي اشارة يطلب فيها السماح له بالدخول للعب مع كوكو. وبعدما اومأ باشارة "الخروج"، اخذت كوكو تتبرم في

غرفتها لان صبرها عيل. واشارت الى مايكل من خلال الشبكة الحاجزة بعبارة "اسرع في التفكير". وعندما اضاف القرد الذكر عبارة "كوكو"، ابدت هذه ارتياحا عظيما واثنت عليه باشارة "مايكل يفهم جيدا"، ثم "ادخل مايكل".

اما الان وقد اصبحت ولية امر قردين من الغوريلا، فاني بت ادرك مسؤولياتي تجاه هذه الفصيلة المهددة. ومن هذا القبيل اني انشأت "مؤسسةالغوريلا" (★)لتوفير الدعم المالي للمشروع وحماية متسقبل كوكو ومايكل. واكبر امل لدي هو ادخالهما الى مكان مخصص لدارسة الغوريلا والحفاظ على هذه الفصيلة في ظروف من الحرية النسبية.

ان فنون التعبير والاتصال لدى كوكو تزداد مرونة ودهاء. وبات في امكانها ان تحدد الاشياء من حيث وظائفها. فحين اسألها: "ماذا نفعل بالفرن؟" تجيب: "نطبخ فيه". وهي تدرك الخطأ من الصواب، لكنها حساسة عند توجيه اللوم اليها. وحين تحاول سرقة بعض العنب من وعاء، اوبخها بقولي: "لا تكوني شرهة على هذا النحو. بل كوني مهذبة واطلبي الشيء مني. فالسرقة كالعض والاذى، خطأ، خطأ، خطأ".

ثم اسألها: "وما الذي افعله انا من اخطاء؟ "فتقول كوكو: "تكسرين اشياء، تكذبين، تطلبين مني ان اكون مهذبة عندما اكون شديدة الجوع".

واخيرا، تتعلم كوكو تقدير الذات. فهناك صحافي يسأل عنها وكأنها شخص. فاستدير الى كوكو واقول: "هل انت حيوان ام انسان؟"

وترد كوكو باصرار: "حسنا، حيوان غوريلا".

■ فرانسين باترسون

(★) في امكان القراء مساعدة المؤسسة وتسلم نشرتها بعد ارسال مبلغ عشرة دولارات الى:

The Gorilla Foundation

P.O.Box 3002 STANFORD, CALIFORNIA 94305

سبب معقول

اصطدمت سيارة شحن ذات حمولة عشرة اطنان بسيارة اجرة، واخذ عابرو السبيل يتجادلون حول الحادث. فسأل احدهم: "كيف حدث الأمر؟".

فأجاب اخر: "لا احد يعرف، ولكن يبدو انهم كانوا يتسابقون لدهس احد المشاة".

(صحيفة "وجهة نظر - صور من العالم"، فرنسا)

منطق

كان احد ضيوف صديقتي يلاطف ابنتها ذات الاعوام الخمسة، فسألها: "ماذا ستصبحين حين تكبرين؟" وذهل الجميع حين اخذت الطفلة المعروفة بالمرح تبكي. واستغرق الامر بضع دقائق لمعرفة سبب انزعاجها. فقد مسحت الصغيرة دموعها وقالت بحزن: "هل تتحول الفتيات الصغيرات الى اشياء؟".

ف.ب.

حضنت هذه الارض عددا لا نظير له من الاساطير والآثار والرجال بحيث بات نادرا ان نقع على ارض اخرى صقل ماضيها حاضرنا على نحو أبلغ أثراً .

تركيا
خليط شعوب وملتقى حضارات

كنيسة القديس بطرس في انطاكية، وهي الكنيسة المسيحية الاولى.

في هذه الارض خرج نوح من فلكه ليطأ قمة الجبل الشامخ آرارات. وهنا ازدهرت طروادة بأبهتها وشيّدت اثنتان من عجائب العالم القديم السبع هما معبد آرتميس والضريح الفخم. وفي هذه الارض قطع الاسكندر الكبير بسيفه عقدة غورديوس ملك فريجيا. وهنا التقى انطونيو للمرة الاولى كليوباترا. وعلى هذا التراب أبلغ يوليوس قيصر قومه، بعد انتصار خاطف، قولته المأثورة: "جئتُ ورأيتُ، فاستوليت". وهنا أنشأ رسل المسيح أولى الكنائس. وفي هذا المكان قيل ان مريم العذراء أسلمت الروح. وعلى سطح هذه الارض عاش القديس نيقولاوس الذي انطلقت من كراماته اسطورة سانتاكلوز (بابانويل) العالمية.

من ذا الذي كان يظن ان هذه الصنوف المتباينة من معالم البشرية

قد اجتمعت كلها في ما أصبح يسمى "الجمهورية التركية" اليوم؟

ينشأ البر" التركي من الكتلة الآسيوية الوعرة على هيئة شبه جزيرة مستطيلة حتى يلامس شواطىء الريفييرا الاوروبية عند مضيقي البوسفور والدردنيل· وتمور الارض من قمة أرارات على الحدود الشرقية مندفعة غربا مسافة ١٦٠٠ كيلومتر على شكل أنجاد مموجة وملو"نة بألوان الظبي، الى ان ترتفع أخيرا كقشرة الفطيرة وتختفي في هامات سلسلة الألب الجليلة· وتنبسط في أسفل الهيكل الجبلي المثلم الذي يطوق تركيا من ثلاث جهات سهول ساحلية ُخضر تغسل شطآنها أمواجُ البحر الاسود العاصف شمالا والبحر الابيض المتوسط المتألق بأنوار الشمس جنوبا وبحر ايجه غربا·

السواحل المغرية ـ ولطالما أغرت تلك السواحل الممتدة على طول ٨٠٠٠ كيلومتر، قبل أن تكتسب اسمها وحدودها الحاليين، الغزاة والمهاجرين من الجيران المحيطين بها· فاكتسحت ارضها عبر القرون ذهابا وايابا جحافل الفرس من البلاد التي ندعوها اليوم ايران، ومن الدوريين والأيونيين الاغريق، ومن الرومان والسلتيين والغال والقوطيين والصليبيين الذين دخلوها من اليونان· كما أبحر السلافيون اليها من روسيا وبلغاريا وجالوا فيها، وولجها العرب من مناطق العراق وسورية· وأخيرا دهمها فرسان البدو الأتراك ذوو البشرة البيضاء من مناطق آسيا الوسطى وخاضوا غمار هذا المعترك، بل هذا الجسر البشري ايضا، وكأنما جاء غزوهم عنصرا أخيرا في اول بوتقة انصهارا بشري في العالم بعد ألف سنة من الميلاد·

يعتبر البر التركي في الاناضول، بهذا الخليط المتجانس، بداية الشرق· وتشكل مساحته ٩٧ في المئة من الاراضي التركية بالقياس الى ذلك المثلث الصغير من الارض الذي تتكو"ن منه تركيا الاوروبية ويدعى تراقيا· ويد"عي بعض المؤرخين وعلماء الحفريات ان حوض الاناضول هو مهد المدنية الاول حيث برزت معالم الحضارة الغربية· فهذه الارض هي آسيا الصغرى التي راجت حولها الخرافات والاساطير· وهي المسرح الذي لعبت الاحداث على خشبته ادوارها ردحا من الزمن يقرب من تسعة آلاف سنة·

وهذا الممر القاري" كان فعلا مهد كثرة لا نظير لها من الاساطير والآثار والرجال، بحيث لا توجد أرض أخرى في تاريخنا صقل ماضيها حاضرنا على نحو أبلغ أثرا· وينبض تاريخ هذه الارض الديني والثقافي بأسماء مجيدة ومآثر كبرى لا يزال يشار اليها في يومنا هذا·

انطلقتُ في سفري - وكان معظمه بواسطة "الدولموس"، وهي سيارة عمومية يتشارك ركابها في الاجرة والاتجاه - متوجها الى تلك القطعة من الفسيفساء النابضة بالحياة، وهي الأناضول· واكتشفتُ للتو" ان تركيا اليوم توفر للسائح كل ما يحتاج اليه تقريبا، من آثار مدنيات دارسة الى مشاهد طبيعية خلا"بة· أما طقسها المشمس فيكاد لا يضاهيه طقس آخر· وتستمر السباحة هنا في أنظف

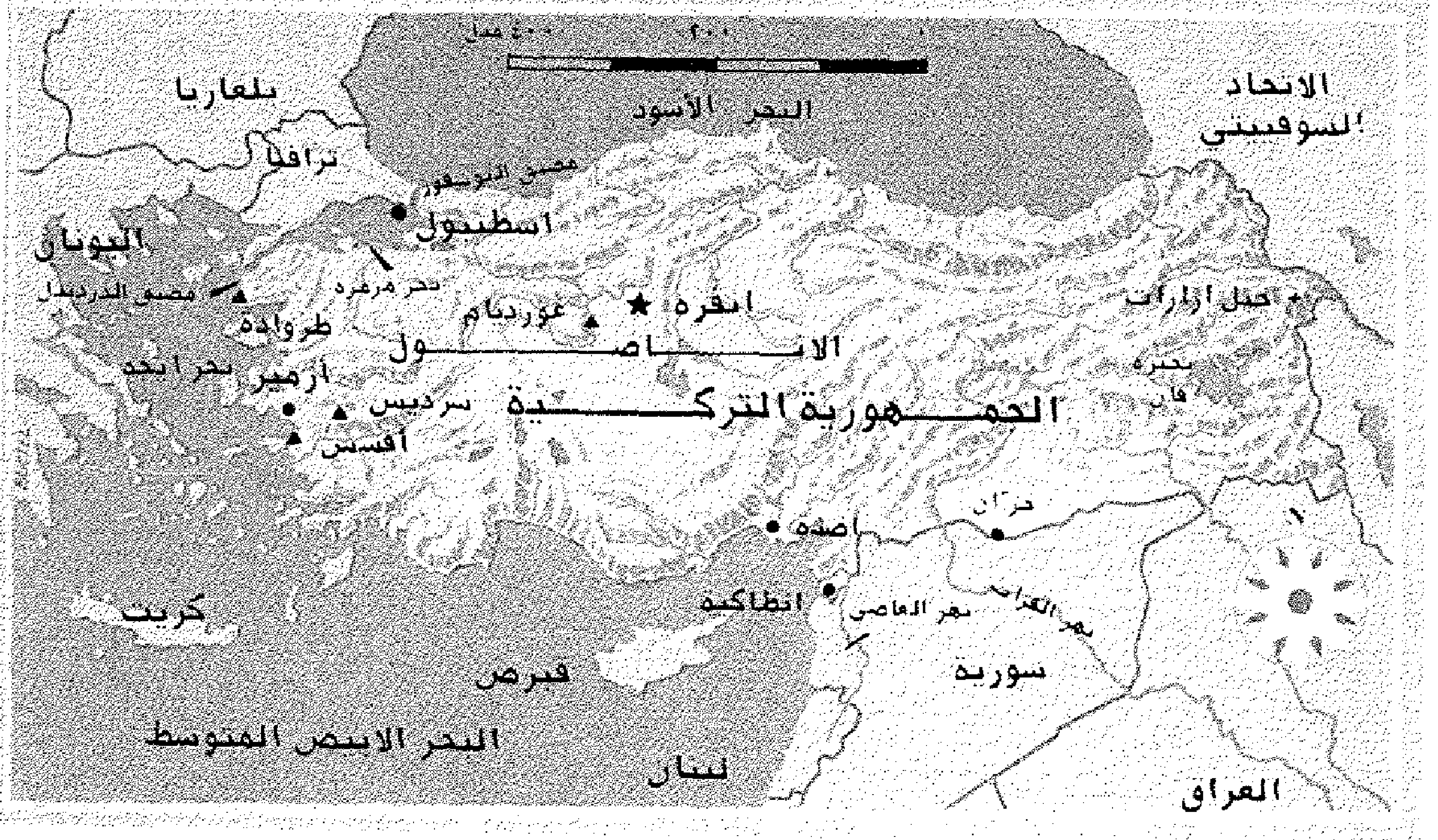


جبل ارارات.

مياه البحر الابيض المتوسط طوال ثمانية أشهر من السنة. أضف الى ذلك المأكولات الطازجة الشهية والمعشر الطيب. فالناس هنا ودودون بصفة استثنائية، وكثيرا ما يتغلبون على حواجز اللغة بالحركة والاشارات المضحكة.

وحدة في التعدد ـ تتألف تركيا المعاصرة في حقيقة الامر من ثلاثة بلدان، لا بلد واحد، من حيث المكان والزمان. فهناك المنطقة البدائية المعزولة من الأناضول في شرق البلاد ووسطها، حيث يعيش الناس في تقشف شبيه بما ترويه التوراة. فعلى سهوبها التي تحرقها أشعة الشمس احيانا وتغطيها طبقات الثلج احيانا أخرى، يعيش الفلاحون الكادحون داخل اكواخ مجبولة بالطين والحجر ولا نوافذ لها. ومن هنا جاءت تسميتهم بـ"التُرك"، ومعناها الأشداء. وهم يرعون الماشية من الخراف والماعز من أجل أجبانها وجلودها، ويزرعون أهم محصول تركي، وهو القمح. فالخبز ذو القشرة السميكة يُزوّد السكان بنصف السُعر او الوحدات الحرارية التي يحتاجون اليها في حياتهم. والجانب المبهج الوحيد في حياة هؤلاء الناس الذين يقاسون الأمرّين من الفقر المدقع هو ظهور أزهار البراري في فصل الربيع، وهي الأزهار التي تحاكيها النسوة في ما ينسجنه من البسط.

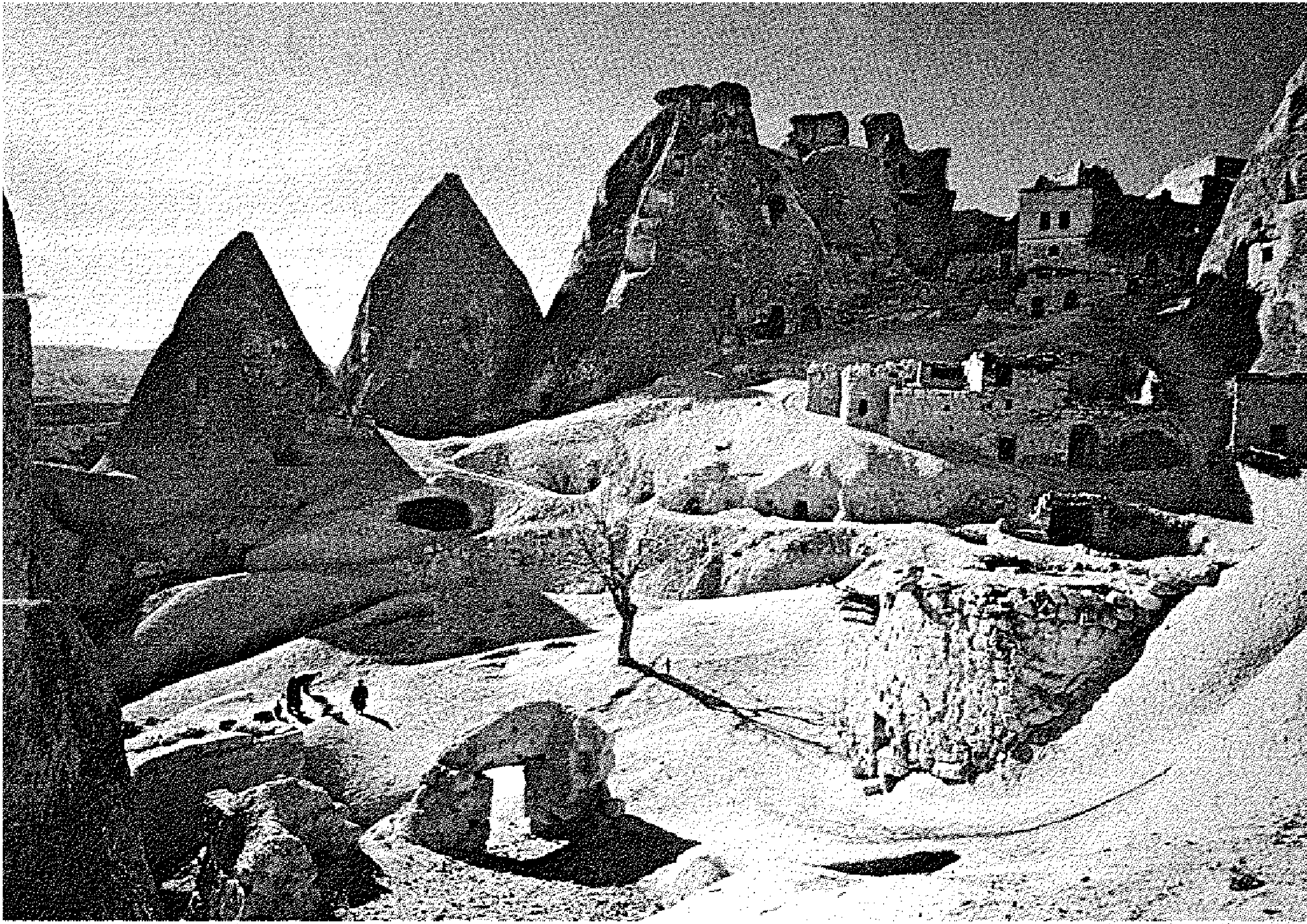
أما تركيا الثانية فهي الطوق



الساحلي المحيط بها كأنه سجادة صلاة نسجت خيوطها الازهار وفرشتها ابتهالا عند سفوح جبال الالب الشديدة الانحدار والتي تكلل قممها الثلوج. ووسط كتلة من نباتات البوغنفيلية المعترشة والميموزا والدفلى والورد، يعيش المزارعون الميسورون نسبيا في بيوت من الجص متباينة الألوان: فمنها ما هو بلون المغرة الصفراء، ومنها القرنفلي والأخضر اليشبي والأزرق. أما اللون المفضل اجمالا فهو الأرجواني الباهت. وقد صنعت سطوح المنازل كلها من القرميد الاحمر البهيج.

وفي الساحل الغربي، حيث تكيّف الناس بالاتجاه الاوروبي والأعمال التجارية، يتولى التجار المتمرسون بيع التبغ الآجي والتين الشهي والعنب وزيت الزيتون والمشمش والدرّاق، بالاضافة الى الصناعة السياحية طبعا. فهنا تقبع الآثار الفريدة من العصر الهليني اليوناني، حيث كان اليونانيون بخوذهم والرومان بتنانيرهم يختالون تيها في مدنهم العظيمة، وحيث يجوب الان القرويون بسراويلهم الفضفاضة على ظهور حميرهم دروب الشواطىء الرائعة ومسالك الهضاب المتوّجة بأشجار الصنوبر.

أرض خيرات ـ وينعم المزارعون في سواحل البحر الابيض المتوسط بمناخ شبه استوائي، مما ييسر لهم زراعة الحمضيات كالبرتقال والليمون من ناحية، وزراعة القطن من ناحية اخرى. والواقع ان الارض خصبة الى الحد الذي يتبجح معه الاهالي بقولهم: "لو زرعت عصا هنا لنبتت لها فروع وأوراق في ربع ساعة". وفي المدارج الزراعية فوق ساحل البحر الاسود وعلى مقربة من الحدود الروسية، يُزرع الشاي التركي ذو المذاق الحاد. وربما رأيت في القرى



كهوف كبادوكيا الصخرية في سهل الاناضول، التي كوّنتها انفجارات البراكين وعاش فيها الرهبان المسيحيون الأوائل·

أحيانا صفوفا من رجال طويلي القامة نابضين حيوية، وقد راحوا يتمايلون جذلا او يقفزون في الهواء على الطريقة القوقازية في رقصات متهللة بعد صيد وافر من سمك الحفش الذي يُستخرج منه الكافيار أو من سمك التن·

اما تركيا الثالثة فتتكون من بضع مدن غربية الطراز، ومنها مدينة انقره في وسط الاناضول، التي اصبحت عاصمة البلاد منذ ٥١ سنة· وهي تتكشف لك في حُلة من بنايات تتزايد علوا باستمرار ومبانٍ حكومية ومنشآت صناعية· وقد أخذت جنباتها تتوسع في امتداد مدني لاستيعاب أكثر من مليون نسمة· وتقع انقرة في تجويف جبلي حافل بسحب الدخان والضباب حتى انها تعتبر في السجلات الرسمية أسوأ بيئة في العالم من حيث التلوّث· أما ميناء أزمير الرائعة على بحر ايجه فهو الميناء الرئيسي لتصدير الانتاج الزراعي الوافر وكميات متزايدة من المنتجات الصناعية· وفي الجنوب تتولى مدينة أضنه جمع القطن وتصنيعه، وقد أصبح القطن أكبر محصول تركي لكسب العملة الاجنبية·

قارتان في مدينة – وفي الشمال الغربي تقع مدينة اسطنبول العريقة التي يمتد تاريخها زهاء ٢٦٠٠ سنة الى الوراء· وهي المدينة الوحيدة في العالم التي تضم طرفي قارتين، حيث



هيكل الامبراطور ادريانوس في أفسس.

تتلاقى ضواحيها الآسيوية عبر جسر معلق فوق البوسفور مع الطرف الرئيسي من المدينة الذي يقع في القارة الاوروبية. وقد تم بناء الجسر حديثا، ويبلغ طوله ١٦٠٠ متر. وتتباهى اسطنبول بوجود ٩٠٠ كنيسة ومسجد تقريبا، يعود تاريخ عدد كبير منها الى أيام القسطنطينية الباهرة والى العهد العثماني حيث كانت المدينة "بوابة السعادة" في نظر السلاطين. ويبلغ عدد سكانها اليوم أربعة ملايين نسمة. وهي تمتد طولا مسافة ٩٦ كيلومترا. وتعتبر الميناء الاول في تركيا والمركز الرئيسي للتجارة والملاهي.

هذا الصراع العنيف بين المدينة والريف يجعل من التجوال في تركيا مغامرة متصلة من التباين والتقابل. وبينما ترى القرويين يسوقون عربات تجرها الخيول، ينطلق أهل المدن في سيارات المرسيدس، وفي حين يصوم الريفيون الممتنعون عن المسكرات طوال شهر رمضان المبارك بوازع من البر والتقوى، يتزود رجال المدينة بأقداح "الراكي" او العرق المصنع من كحل اليانسون، وقودا لحفلاتهم الليلية العامرة بهز البطون. وفي الوقت الذي تُباع الفتيات الفلاحات بأثمان العروسة، ترى نساء المدن العصريات من حملة شهادة الدكتوراه يوجهن برامج برلمانية وأخرى في مجالات علم النفس.

على انه، مهما تفاوتت مستوياتهم الثقافية وأوضاعهم المادية، فان الاتراك جميعا متساوون من حيث تقاليد الضيافة والكرم. فالزوار والاغراب يوضعون دائما في المقام الاول، واليهم يُقدّم أفضل ما في

متناول اليد. "انه واجب علينا، فانتم الضيوف": هذا ما يقوله الاتراك على الدوام مع انحناءة خفيفة، مسندين أكفهم الى الصدور.

ويعتمد كل شيء تقريبا لدى هذا الشعب المسلم في ايمانه على القرآن الكريم ومشيئة الله. لكن تركيا شهدت مع ذلك تطورات عدة، يهودية ومسيحية حيوية، بحيث انها وُصفت بـ"أرض الله عزّ وجل بعد القدس الشريف".

يُعرّف سفر التكوين قمة أرارات المغطاة بالثلج بأنها المرسى الذي حطت فيه سفينة نوح المطلية بالقار إثر انحسار الطوفان. وعلى سفح هذا الجبل الذي يرتفع ٥٠٨٣ مترا، ابتسم في وجهي الدليل الكردي قائلا بمنتهى التسليم: "هناك فلك نوح". وثمة كثيرون سواه يؤمنون بالشيء نفسه. لكنّ المتسلقين لم يعثروا في مسالكهم الا على خيام الرعاة والدببة، ولم يشهدوا في قممه سوى الغيوم والاعاصير الثلجية.

وفي منأى الى الجنوب من مرتفعات أرارات وسحرها المبهم، وبعد اجتياز جوهرة الكوبالت في بحيرة فان، تقصّيتُ في أسفاري آثار حرّان التي ورد ذكرها في التوراة، وهي مراعٍ فسيحة جدا يحدّها نهر الفرات.

انطاكية السورية - وعلى بعد ٣٢٠ كيلومترا فقط الى الغرب من حرّان، قامت أول كنيسة مسيحية في قلب أكثر المناطق التركية عروبة اليوم، والتي تمتد الى هضاب سورية الخضراء المطلة على المتوسط. ووقفتُ في غار القديس بطرس غير المضاء والمنحوت في جوف الجبال الكلسية ذات الاجراف المتحدرة، وقد قامت في أسفلها مدينة انطاكية المغبرة فوق طبقتين متباينتين ارتفاعا حيث ينساب نهر اورونتس (العاصي).

وهناك كنيسة أخرى، يرجع عهدها الى القرن الرابع الميلادي على مسافة الى الغرب من انطاكية. ففي ميناء دير الصغير على ساحل المتوسط وهي بلدة تكتنفها بساتين الحمضيات، قامت كنيسة القديس نيقولاوس العزيز على قلوب الاطفال. ولا يزال على جدران الكنيسة رسم بَهُتت معالمه لذلك الاسقف المتقشف ذي الجسم الناحل واللحية الشعثاء. ولم أدر، وانا ادقق النظر في رسمه، كيف حوّلت اسطورة سانتاكلوز (بابانويل)، التي ابتدعتها اوروبا وامريكا، هذا الرجل الجليل الى رجل بدين وضاحك يرتدي بزّة حمراء.

ان جميع الاديان التي هيمنت في سماء الاناضول دعت الى التوحيد. وبين الاضرحة المقدسة في تركيا ضريح يؤمه سنويا ٢٠٠ ألف زائر من المسيحيين والاهالي المسلمين على حد سواء. وذلك هو ضريح السيدة مريم العذراء الذي شُيّد حوله معبد من الحجر والقرميد على جبل البلبل فوق ميناء أفسُس القديم على ساحل ايجه المختنق بنباتات القصب. وهناك ايضا آثار كنيسة القديس يوحنا الواقعة على هضبة أفسس حيث كتب القديس يوحنا انجيله وحيث وافته منيته بعد عمر مديد في نحو السنة المئة بعد الميلاد.

طروادة الاغريق - على ان اعظم الكنوز الأثرية في تركيا هي، بلا

منازع، انقاض طروادة التي تقع وسط بساتين الزيتون الفضية الخضراء على سفح هضبة آسيوية تبعد مسافة ٢٤٠ كيلومترا شمال مدينة ازمير. وهي في محاذاة ايجه وتنخفض قليلا عن مضيق الدردنيل. ولم يتم اكتشاف اي من مدن الاساطير الطروادية التسع الا في الحفريات التي جرت عام ١٨٧٠. وكان منظرها فاتنا وخلابا كملحمة هوميروس الخالدة التي تحكي قصة ذلك الوجه الذي من أجل محاسنه أبحرت الف سفينة للقتال. وإذ وقفتُ على مشارف مدن طروادة التسع - وهي تسع طبقات من الجدران السميكة والاستحكامات والمتاريس - أطلقتُ العنان لأحلام اليقظة ورحت أملأ السهل الفسيح، الذي تموج فيه سنابل القمح، بالأبطال الخالدين من أمثال أخيل وفطرقل وهكتور.

ثم انطلقتُ شرقا مسافة ٤٨٠ كيلومترا الى أنجاد غورديام المتموجة، فدخلتُ بوابتها الجدارية الهائلة التي كشفتها التنقيبات اخيرا، وهي البوابة التي فُتحت للاسكندر. وعلى مقربة من العاصمة الحصينة تقوم تلة تراب يرقد تحتها الملك ميداس الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد. والى جانب كونه أول من يُكنّى بـ"الاصبع الذهبي"، فان ميداس يُذكَر بأنه باني مدينة انكيرا القريبة الى هذا المكان، والتي دبّت فيها الحياة من جديد باسم انقره. وفي جبال هذه المنطقة تعيش ماعز الانغورا ذات الصوف الابيض الحريري المعروف باسم "موهير".

وفي ظلال وادي سرديس الوارفة المتدثرة بكروم العنب الكثيفة والمشرئبة بأشجار الحور، عاش الملك كرويسس أغنى رجال الارض ُطر"اً. ويعود الفضل في ثروته الى الليديين الذين َسكّوا له أول قطع نقدية من الذهب في العالم، وكان ذلك في حدود عام ٦٨٠ قبل الميلاد. ولا يزال في الامكان رؤية عشرات الاحواض الارضية الضحلة او البوتقات بطول ثلاثين سنتيمترا حيث كان الصيّاغ ينقون هذا المعدن الثمين من شوائبه تحت الحراسة. لكن فخيرة الذهب ولت منذ زمن طويل، ولم يبق من بلاط كرويسس سوى اساطير ايزوب الذي قيل انه كان القاص الملكي في بلاط ذلك الحاكم.

لكن ما من شيء أثارني مثلما أثارني دخول المسرح الاغريقي الضخم في أفسس. وكان بعض السياح يصيحون: "عظيمة هي أرتميس الأفَسُسيين"، اشارة الى ما ورد في سفر "أعمال الرسل" من العهد الجديد - وهي صيحة الفزع التي أطلقها ُصيّاغ أفسس من جراء ما فعله القديس بولس الرسول اذ استمال اعدادا كبيرة من الناس الى دينه.

وكان من أثر الهداية المسيحية ان تدنت مبيعات الصياغ من تماثيل الألهة أرتميس الذهبية... هذا المشهد، وغيره من المذكرات النابضة بالحياة لهذا الأرث الفريد، جعلني أدرك ان اسفاري في تركيا أضافت الى عمري آلاف السنين التي تعود بالأيام الى عهد نوح بل الى قرون قبله.

■ آن تيرنر برونو



اصداء من عالم الطب

خفض اخطار زراعة الكلى

أدت الاساليب المتبعة في مستشفى بيتر بينت برايام في بوسطن الى تقليص مذهل لاخطار التلوث المميت المصاحب لعمليات زرع الكلى، بحيث غدت الجراحة "بديلا جذابا" لعملية التحليل المائي (الدياليسيس) • ويفيد تقرير نشر في مجلة (نيو انغلاند) الطبية بان خطر الموت تدنى بنسبة ٢ في المئة لدى المرضى الذين يتسلمون كلى من اقاربهم الاحياء وبنسبة ٥ في المئة حين يكون مصدر الكلى متبرعين بعد الوفاة • ومن ناحية ثانية، تراوح نسب الوفاة في عدد كبير من المستشفيات الامريكية الاخرى بين ٥ و٨ في المئة بالنسبة الى من يتسلمون كلى من اقاربهم الاحياء و١٤ في المئة بالنسبة الى من يحصلون عليها من أشخاص متوفين •

ويتولى الدكتور نيكولاس تلني وزملاؤه في مستشفى بيتر بينت برايام خفض كمية العقاقير التي تعطى عادة للمرضى بهدف اعاقة رفض الكلية المزروعة عبر كبت جهاز المناعة في جسم المريض • لكنهم يزودون الجسم في الوقت نفسه بجرعة واحدة قوية من المضادات الحيوية خلال العملية • ويؤدي هذا التغيير الى تقليص خطر الموت الناجم عن المضاعفات عبر تمكين الجسم من مكافحة الاصابة من دون زيادة خطر رفض الكلية •

ويقول الدكتور تلني: "لقد حاولنا مرارا في الماضي انقاذ الكلية على حساب سلامة المريض • اما الان فما نفعل هو العكس تماما • فاذا اخذت الكلية بالعمل، كان ذلك خيرا على خير • واذا لم تعمل كما يرجى، فان علاجنا يلحق ضررا بالمريض • ويمكنه العودة الى عملية التحليل، لا بل يمكنه أن يقصدنا ثانية لاجراء عملية زرع الكلية من جديد" •

(اسوشيتدبرس)

هل تود ان تعرف؟

هل يرغب المصابون بداء مميت معرفة ذلك؟

هذا السؤال بنصه كان محور استفتاء لمؤسسة غالوب، اشرف عليه الدكتور مايكل بلومنفيلد وزملاؤه في المركز الطبي لوسط مدينة نيويورك، ونشر في باب "رسائل الى المحرر" في مجلة "نيو انغلاند" الطبية • وكانت النتيجة أن ٨٧ في المئة من النساء و٩٢ في المئة من الرجال ابدوا رغبتهم في معرفة ذلك، على رغم ان بعضا من هؤلاء، كما يعترف بلومنفيلد وزملاؤه ربما غير رأيه اذا كان مصابا فعلا بمرض خطر •

(المجلة الطبية البريطانية)

النظام الغذائي الفعّال

هناك اربعة عناصر ترتكز عليها أية خطة ناجحة لضبط الوزن، وهي: الانتظام على التمرين الجسماني والتغذية السليمة ومراعاة انماط السلوك، اضافة الى الالتزام بالحمية في طبيعة الحال. ومن شأن كل من هذه العناصر ان يتسبب في بعض التغيير، كما ان من شأن كل تغيير ان يسفر عن بعض الانخفاض في الوزن الكلي للجسم، كما ان العناصر الاربعة تفضي، معا، الى نتائج اكثر سرعة وابعد اثرا باعتبار انها تكوّن خطة مثلى لانقاص الوزن في الامد الطويل.

ان تاريخ الحميات الغذائية الطويل الموحش يكاد يكون مليئا بالتغييرات الجذرية التي لا يلبث المرء ان يتخلّى عنها. والدرس الذي يستخلصه الانسان من ذلك هو ان افضل النظم الغذائية هو النظام الذي يتطلب اقل مقدار من التضحية لاطول مدة ممكنة.

ولئن كانت الخطة المثلى، اسوة ببقية نظم الحمية، يعتورها النقص وتقصر عن استمالة المحميين وكسب عطفهم، الا انها تعوض ذلك وأكثر بنتائج فعاليتها، وهي نتائج اكيدة!

ولقد كان لكل من النصائح التي نوردها هنا حسناتها الخاصة بالنسبة الى هذا او ذاك من الناس. فما عليك الا ان تكتشف بنفسك ايها تناسب حالتك اكثر من الاخرى:

المرحلة الاولى:

التمرين الجسماني: ان الميزة الخاصة بالتمرين الجسماني هي انه يتيح انقاص الوزن من دون اي تغيير في العادات الغذائية الاساسية. الا ان التمرين يعتبر مفيدا عموما بصفته عاملا مساعدا للبرنامج السليم لتخفيض الوزن اكثر منه عنصرا اساسيا لهذا البرنامج.

واذا ما تركّز الاهتمام على خفض الوزن، فان الانتظام على التمرين الجسماني له فائدة كبرى في هذا الصدد اذ ان السعرات الحرارية التي "يحرقها" الجسم يتوقف عددها على ثقل الجسم وتحريكه على مدار اليوم. ومن ثم، فان ايسر طريقة لحرق السعرات الحرارية تقوم على تحريك الجسم بكامله لفترات طويلة.

تجنب الرياضة الجمبازية العنيفة: ان برامج التمارين الرياضية المفتعلة

لا تبعث على الارهاق والوهن فحسب، بل انها ايضا غير فعالة كوسيلة لخفض الوزن. فالمشي بنشاط مدة نصف ساعة يساعد الجسم على حرق، مقدار من السعرات يفوق ما تسبب في حرقه ١٥ دقيقة من تمارين "التخفيض المركّز" للوزن، فضلا عن ان المشي أقل ارهاقا.

استخدم عدّاد الخطى (لقياس مسافة السير) واحمله طوال اليوم، وقس المسافات التي تقطعها. ولا تنس تسجيل المجموعات الجزئية ايضا قبل كل وجبة، ثم ادرس جدول المسافات وانظر ما ينبئك به: هل هو يشير الى قلة نشاطك في الصباح؟ ام الى انخفاضه كثيرا بعد الرابعة مساء؟ ام الى انك لا تكاد تتحرك على الاطلاق يوم الاحد؟ وما هو تأثير نمط نشاطك اليومي على ما تأكله؟

ان التمارين الجسمانية ذاتها لا تتسبب في الجوع، ولكن اذا تبين لك، مثلا، ان الفترة التي يبلغ نشاطك فيها ذروته هي نهاية الصباح، وانك تقبل بنهم، لدى خروجك من هذه الفترة، على طعام الغداء، فقد يكون من الافضل ان تؤجل بعض هذه الانشطة الى ما بعد فترة الغداء مباشرة.

امش الخطوة الزائدة: سر على قدميك الى الجهاز التلفوني الابعد، والى صندوق البريد البعيد، واوقف سيارتك في ابعد مكان تجده في موقف السيارات. واذهب مشيا الى بعض الاماكن التي تتوجه اليها عادة بسيارتك، مثل عودتك الى البيت من مكان العمل او من محطة القطار. وزد المسافة التي تمشيها كل يوم، وزد كذلك سرعتك في المشي بأن توسع خطوتك عن عمد، لان ذلك يزيد من السعرات التي تحرقها.

السلم خير لك من المصعد: في مستشفى "مايوكلينيك" طبيب في مستهل الستين من عمره مشهور بجدوى جولاته بين المرضى. وهو لا يستخدم مصاعد المستشفى اطلاقا وانما يفضل صعود السلالم على قدميه مثنى، مثنى. وهناك بعض الاطباء المقيمين في المستشفى يعانون زيادة في الوزن مما لا يعانيه هذا الطبيب. فصعود السلالم يحرق ضعف السعرات التي يحرقها المشي، كما انه يحسن طاقة القلب والرئتين.

قف على قدميك: انك عندما تقف - وان بلا حركة - تحرق من المواد الدهنية مقدارا اكبر مما تحرقه وانت جالس. واذا قضيت ساعة اضافية وقوفا كل يوم، فيسعك ان تفقد ربع كيلوغرام من وزنك في الشهر الواحد. واذا ازعجك الوقوف فتمشَّى، لان هذا يساعدك على ازالة بعض التوتر، كما انه يريحك من ثلاثة كيلوغرامات اخرى في العام.

اجمع بين النشاط والتسلية: مارس السباحة او كرة المضرب. واذا تمكنت من الجمع بين متعة التمارين المنشطة ومتعة الاجازة، فيسهل عليك بعد ذلك الانتظام على هذه التمارين في حياتك اليومية.

المرحلة الثانية:

التغذية: ان محلات المواد الغذائية تعرض للبيع مختلف مقومات الطعام المتوازن، فيتوقف عليك ان تهتدي الى الاختيار السليم، ولا يكلفك ذلك الا مراعاة الحكمة.

المواد الدهنية تزيدك سمنة بسرعة: ان الغرام الواحد من الدهن يحتوي على ضعف السعرات التي يحتويها الغرام الواحد من المواد الكربوهيدراتية او البروتينية، ولذا فان اول مبادىء التغذية السليمة هو ان تتناول ادنى حد ممكن من الدهن. ويمكنك ان تتبين من اي جدول للسعرات مقدار الدهون والزيوت الطبيعية التي تحويها الاغذية (كلحم الضأن والافوكادو وجوز الهند والسردين وسمك ابو سيف الضخم والطويل المنقار والفواكه الجافة مثل الكاشيو والجوز الامريكي، الخ)، او التي تحتوي على كمية اقل من هذه الدهون والزيوت (كاللحم البقري الهبر ولحم الدجاج المسلوخ الجلد والخضر، السلطة والمهروسة، والقريدس (الجمبري) وسمك موسى وبعض الاسماك الاخرى، وبقية انواع الفاكهة). ومن اسهل الطرق لتخفض ما تتناوله من الدهون ان تتجنب ما يضاف منها الى الطعام في اثناء اعداده، ومثال ذلك:

١ - تجنب طلب الاطباق المقلية عندما تتناول الطعام خارج بيتك، لان هذه الطبقة الدهنية التي تغطي المقليات كفيلة بتحويل الخضر الاقل احتواء للسعرات، مثل الكوسى والبصل، الى نوع من "الكابوس" الغذائي.

٢ - تعود الطهي من دون مادة زيتية. فجميع الدهون والزيوت، سواء كانت مشبعة او غير مشبعة، تضيف سعرات الى الاغذية التي تُطهى بها. ومن الافضل استخدام اوعية الطهي التي لا يلتصق بها الطعام ولا تستلزم اي زيوت او دهون، كما ان اللحوم المسلوقة وحدها لا تقل في لذة طعمها عن اللحوم المقلية في الدهن او الزيت.

٣ - اسلق الاطعمة التي درجت على قليها. واطه بالبخار الاطعمة التي اعتدت ان تقليها بسرعة في قليل من الدهن، وستجد ان الاسماك والخضر المطهية على هذا النحو تحتفظ بطعمها المتميز بدلا من ان يتيه طعمها في طعم الدهن، لانها تحتفظ بمقدار اكبر من لونها الطبيعي وقيمتها الغذائية ونكهتها الاصيلة.

ركز اهتمامك على الخضر: ان الخضر تزودك بكميات وفيرة من الفيتامينات الطبيعية والالياف، مع انخفاض شديد في محتواها من السعرات بالنسبة الى احجامها. جرب الخضر الطازجة المخلوطة بملء ملعقة من اللبن (الزبادي) وعصير الليمون مثلا، او مع قليل من المايونيز المنخفضة السعرات وصلصة الفلفل.

قوة البطاطس: ان البطاطس هي اكثر الاطعمة المعرضة للتشهير من دون سبب في ما يختص بالحمية، وهي اول ما يتخلى عنه الذين يعملون على خفض اوزانهم. وحقيقة الامر هي ان الثمرة الصغيرة الكاملة من البطاطس قد لا تحتوي على اكثر من ٧٠ سعرا حراريا، واذا اضيف اليها قليل من الملح والفلفل الاسود الخشن، فانها تصبح من اشهى الاطعمة المغذية المشبعة، مع تميزها بانخفاض سعراتها.

الاغذية الطازجة المحفوظة: كثيرا ما تضاف السعرات، في شكل سكر مكرر، في كل واحدة من مراحل تصنيع الاغذية المحفوظة. ومثال ذلك ان كوبا مليئا بالفاصوليا الخضراء الطازجة لا يحتوي عادة على اكثر من ٢٥ سعرا حراريا، بينما هو يحتوي على ٤٥ سعرا في حالة الفاصوليا

المعلبة، ويرتفع هذا الرقم الى ٦٠ سعرا في الكمية المماثلة من الفاصوليا المجمدة. اما الفاكهة المحفوظة فتحتوي عادة على ثلاثة اضعاف السعرات الموجودة في نظائرها الطازجة. فتذكر اذا عندما تذهب الى محل بيع الاغذية ان تختار الخضر والفاكهة الطازجة او تلك التي تكون محفوظة او مجمدة ولكن من دون اضافة سكر اليها... وعليك ان تقرأ البطاقات الملصقة على العلب والاغلفة للتأكد من ذلك.

قدر قيمة الهواء: ان الاغذية المنفوخة ذات الحجم الظاهري الكبير تحتوي عادة على مقدار قليل من السعرات. فالارز المنفوخ، مثلا، الذي يمكن تناوله على شكل حبوب او بسكويت لا يحتوي الكوب المليء منه على اكثر من ٥٥ سعرا. وينطبق هذا القول ايضا على الفشار (البوبكورن) الخالي من الزبدة، كما ينطبق على الارز ودقيق الشوفان والطحين التي تنتمي كلها الى هذه الفئة. ومن اقوى الاسباب التي تدعو الى تناول الحبوب غير المحلاة في طعام الصباح انها تمثل مصدرا جيدا للالياف كما ان محتواها من السعرات معتدل.

انتبه لما تتناوله من السكر: ان السكر المكرر مشحون بالسعرات، وهو، مثل الملح، من المواد الغذائية التي تعتادها عن طريق الاكتساب. واننا، لسوء الحظ، نكتسب حب السكريات في سن مبكرة جدا، فيصبح ذلك عادة عميقة الجذور لدينا. وعلى رغم هذا، فان في استطاعة أي من الكبار ان يتحرر من تعلقه الزائد بالسكر، وذلك بان يقلل بالتدريج من الكميات التي يستخدمها منه بما لا يزيد في كل مرة على ملعقة صغيرة.

المرحلة الثالثة:

تعديل السلوك: من الارجح ان تكون عاداتك في تناول الطعام خاضعة، الى حد كبير، للمؤثرات الخارجية، بمعنى انك تستجيب لمنظر الطعام ورائحته وشهيته اكثر مما تستجيب للجوع وحده، وذلك حتى اذا كان وزنك يزيد على المعدل الطبيعي بنسبة ١٥٪. وقد يكون الحل في هذه الحال عن طريق تغيير طريقة تناولك للطعام وليس بتغيير الطعام نفسه.

ولكي تفعل ذلك، احتفظ بمسجل شخصي تدوّن فيه كل يوم، وباكبر مقدار من التفصيل، ما اكلته ومتى وكم استغرقت من الوقت في تناول الطعام وكيف كان مزاجك وانت تتناوله ومن الذي تناول الطعام معك. وكلما كان هذا السجل اليومي مفصلا كلما كان اكثر فعالية كوسيلة للتحكم في السمنة والوزن. فتعديل السلوك يعني احداث تغييرات طفيفة، ولكنها ذات اثر في عادات تناول الطعام. ومثال ذلك:

- لا تشتر الاغذية الا على اساس قائمة تعدّها سلفا، فالنظام الغذائي يبدأ تنفيذه في محل بيع المأكولات. ولا شك في ان الامتناع عن شراء الفطائر المحلاة اسهل من الامتناع عن اكلها اذا استقرت في مطبخك. وعليك ان تدرب نفسك على ذلك.

- اجعل من ثلاجتك شيئا مملا كي تنهى نفسك عن الاكل المتكرر في ساعات الليل المتقدمة، وتحمي وزنك من اغراء عينك الشرهة الى

الاطايب. ويمكنك ان تخزن الاطعمة ذات المحتوى العالي من السعرات داخل ثلاجتك في اوعية غير شفافة. واذا ثبت ان هذا غير كاف لصدك عن شراهتك، فجرّب ان تنتزع المصباح الذي يضيء جوف الثلاجة.

- تناول طعامك دائما في مكان واحد لان الوجبات الخفيفة تبدو لك وكأنها كاملة كما يبدو محتواها من السعرات واضحا لك عندما تتناولها جالسا الى المائدة. وضع في طبق كل شيء تريد ان تأكله، مهما كان صغيرا، لان اخطر انواع "اللقيمات" هي تلك التي تتناولها من اوعيتها مباشرة، قطعة تلو قطعة.

- استعمل طبقا صغيرا، لان الكميات الصغيرة تبدو مشبعة اذا وضعت في طبق صغير، حيث يؤدي الانطباع البصري بالوفرة الى بعث الاحساس النفسي بالكفاية الكمية. ومما يساعد على ملء الطبق ايضا ان تضيف اليه بعض الخضر الطازجة، كغصين من البقدونس، وورقة خس، الخ.

- امضغ كل ما تأكله بعناية لان استجابة مركز الاحساس بالشبع، في المخ، تأتي لاحقة لاستهلاك الطعام بالفعل. ولهذا فان استهلاك الطعام غالبا ما يتجاوز الكمية التي يتطلبها الجوع بالفعل. ووسيلة التغلب على ذلك هي اطالة المدة التي تستغرقها الوجبة مع خفض كمية الطعام مقدار الامكان. ومن الطرق الناجعة في تحقيق ذلك ان تضع شوكتك من يدك بعد كل لقمة.

- تعمد ان تفشل احيانا فقد ثبت لاختصاصيي علم النفس، ولاسباب لم يستطيعوا تفسيرها تفسيرا كاملا حتى الان، ان "الانزلاقات" العرضية من شأنها دعم العادات الحديثة العهد بدلا من افسادها. فمجرد توصلك الى اكتشاف هذا "الاحتيال" معناه انك قد تعلمت التمييز بين الاسلوب الصحيح والاسلوب الخاطىء في تناول الطعام.

المرحلة الرابعة:

الحمية الغذائية: يقول بنيامين فرانكلين (البدين)، في كتابه "تقويم ريتشارد الفقير" محذرا قراءه: "اختصر في طعامك كي يطول عمرك". ولم يهتد الطب حتى الان الى افضل من هذه النصيحة، لكن معظم الاطباء لا ينجحون كذلك في تحديد "القليل" الذي يمكن حذفه من الطعام لكي يؤدي بصاحبه الى خفض وزنه.

فأنت تستطيع ان تخفض وزنك باطراد وعلى نحو دائم بفضل تعديلات ضئيلة في غذائك. فاذا استغنيت، مثلا، عن قطعة من الزبدة كل يوم امكنك التخلص من كيلو غرامين ونصف كيلوغرام في العام. واذا شربت الماء القراح بدلا من زجاجة مياه غازية محلاة كفل لك ذلك التخلص من خمسة كيلوغرامات خلال السنة. واذا حذفت قطعة (توست) خبز خاص بالحمية واحدة كل صباح لنقص وزنك ثلاثة كيلوغرامات في العام. وربما فضلت ان تستغني عن واحد من هذه العناصر في (اسبوع، ثم تستغني عن الآخر في الاسبوع التالي. ويحسن بك ان تختار الاشياء التي يسهل عليك الاستغناء عنها

اكثر من غيرها لان هذا يقلل شهيتك لما حرمت نفسك منه. ولكن، ايا تكن التضحيات التي تقوم بها، احرص على ما يأتي:

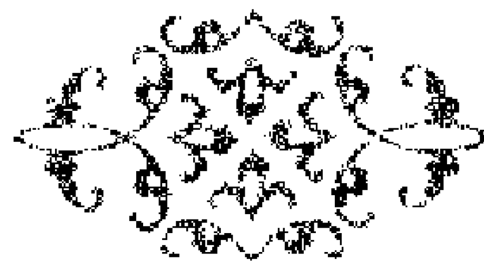
لا تعد السعرات: لان عدها يقوي اقتناعك بأن اتباع الحمية الغذائية حال مصطنعة تنطوي على حرمان موقت، في حين ان البرنامج الناجح للتحكم في الوزن هو نقيض ذلك تماما، باعتبار انه شيء دائم وطبيعي وغير فضولي.

لا تزن نفسك اكثر من مرة واحدة في الاسبوع: فمن الاسباب الرئيسية لفشل الحمية الغذائية هو ان من يتبعونها، كثيرا ما يتخلون عنها قبل ان تاح لهم فرصة النجاح. والباعث الاساسي على ذلك هو ان معظم الحميات الغذائية تنذر بفشلها منذ البداية، ذلك ان الجسم قد يظل محتفظا بسوائله فلا يبدو، بعد الاسبوع الاول او نحو ذلك، اي انخفاض ظاهر في الوزن على مدى اسابيع. وعلى رغم احتراق الانسجة الدهنية بالفعل، الا ان ذلك لا يظهر اثره فورا على الميزان. واما اذا امتنعت عن وزن نفسك خلال هذه الفترة، فلن تعطي الفرصة للميزان كي يثبط عزمك.

تناول وجبات صغيرة بينية (خفيفة او "سناك"): ربما بدا هذا التدبير من اغرب الاقتراحات على الاطلاق، ولكنه قد يكون انجعها. ذلك ان عملية الاكل بالذات، مقترنة بادنى مقدار من السعرات يمكن التزود به قبل موعد الطعام بساعة واحدة، تؤدي الى تقليل الاحساس بالجوع في اثناء الوجبة نفسها، مما يتيح لك ان تبلغ الشبع في الوجبة الرئيسية بعد استهلاك كمية من الطعام تقل عن المعتاد. لكن المهم هنا هو ان تتأكد من اختيار الوجبة البينية التي تحتوي على كمية كبيرة من الماء والخضر الكبيرة الحجم القليلة السعرات، وعصير الفاكهة الطبيعي او الفاكهة الطازجة او الخضر الطازجة.

ولا حدود هناك للتركيبات الناجحة التي يمكن التوصل اليها من الجمع بين بعض هذه الاقتراحات. وامر الاختيار متروك لك انت. وقد لا يكون كل واحد من هذه الاقتراحات ناجعا في كل حال، لكن احدها سينجح بلا ريب في حالك. فلا تخش ان تجرب عناصر هذه الخطة فتختار من بين اقتراحاتها ما يناسبك منها.

■ ادوين بيرد



محطة بطاطا

عندما بدأ شقيقي بيع أكياس البطاطا زنة ٤٥ كيلوغراما في محطة البنزين التي يملكها أثار عمله هذا غضب بائعي المواد الغذائية المحليين. وذات مرة جاء الى المحطة رجل يملك "سوبرماركت" وسأل شقيقي: "منذ متى تبيع المواد الغذائية؟"

فرد أخي: "منذ اليوم الذي بدأت تبيع فيه سائل منع التجمد".

كلّنا في حاجة الى الأحلام

يبدو اننا جميعا في حاجة الى الاحلام· والذين يحرمون الاحلام تنتابهم تغيرات خفية في الشخصية، منها فقدان القدرة على التركيز

اعتبرها سقراط ممثلة لصوت الضمير· ونبذها فولتير لكونها اثرا اعتباطيا لتوعكات جسدية· ودعاها فرويد "الطريق الملكية الى اللاوعي"· لكن مهما شعر الانسان حيال الاحلام، فانها تظل ينبوعا لا ينضب من السحر والافتتان· وهي، في السنوات الاخيرة، غدت مصدرا لتدفق عدد من اكثر الكتب رواجا· وتفرعت بسببها "معامل" وحلقات دراسية وتألفت جماعات العلاج بالاحلام·

وفي موازاة تزايد الاهتمام الشعبي العام بها، هناك نمو واضح في مدى الاهتمام العلمي الذي كرس لدراسة الاحلام· فقد اصبحت الصلات التي تربط بين٢٥ في المئة من اوقات النوم التي نقضيها حالمين وانواع المزاج والذكريات والمشاعر التي تعترينا في ساعات الصحو موضوعا لبحوث مستفيضة هذه الايام· وعلى رغم الخلافات الجمة التي لا تزال قائمة في صددها، الا ان اطارا عاما لنظرية جديدة آخذ في التبلور شيئا فشيئا· وان شئنا المبالغة في التبسيط، قلنا ان النظرية ترى البشر كمعامل لتنظيم المعلومات مجهزة للعمل في اتجاهين لتدبير شؤون عالم غير متناه في تعقيداته·

ويشمل الاتجاه الاول نصف الدائرة الايسر من الدماغ، وهو الجانب الذي نعتمده خلال ساعات الصحو ليسوس بفعالية متناهية سيلا دفاقا من الحقائق التي ينبغي التحكيم فيها: فاما قبولها لانها ذات معنى واما نبذها لخلوها من المعنى· اما الاتجاه الثاني فيشمل نصف الدائرة الايمن من الدماغ، ويعنى بالمشاعر المحسوسة اكثر مما يعنى بالحقائق المجردة· وهذا هو الطابع الذي يغلب على العقل الحالم· فالمشاعر التائهة ولمحات العواطف المتفرقة التي سجلها الدماغ في النهار من دون التعرف عليها والتدقيق فيها، تجب معالجتها في اثناء النوم لرؤية مدى تناسبها مع انفسنا·

عملية توفيق – وتقول روزاليند كارترايت: "هذا النوع من تنظيم المعلومات هو من اختصاص نوبة العمل الليلي المنتظمة التي تعنى على الغالب بالمعلومات المتعلقة بماهية انفسنا· فنحن نعمد في الليل الى التوفيق بين المعلومات الجديدة

وذاتنا القديمة والجمع بينهما بحيث يمكننا النهوض في الصباح لمواجهة يوم آخر من الكفاح".

تتخلل الاحلام ساعات النوم مرات عدة في كل ليلة من سني حياتنا. وهذه سمة تشاركنا فيها القطط والكلاب وبقية فصيلة الثدييات تقريبا التي جرت دراستها. وان ذاك النسيان اللطيف الذي نقرنه بهدوء السبات لا وجود له في واقع الامر، لان الرقاد ليلا هو الوقت الذي ينشط فيه اداء الاعضاء لوظائفها السوية والعمليات الذهنية المجهدة.

وحتى تلك الحال الهادئة من الضبابية التي تغشى العقل الواعي والتي نقرنها عادة بالغفو ما هي الا وهم خادع. فقد اظهرت التجارب التي اجريت على عدد من الاشخاص شدت جفونهم شدا بمواد لاصقة لابقاء عيونهم مفتوحة ان هؤلاء الاشخاص يعون ما يحيط بهم لبرهة من الزمن ثم تعمى العيون عن الرؤية على انفتاحها.

وبعد عشر دقائق من السبات يبدأ النائمون بالهبوط التدريجي خلال نصف الساعة التالي في اربع مراحل من الرقاد تتميز كل واحدة منها بذبذبات دماغية معينة يصعب معها تنبيه النائمين. وعند نهاية المرحلة الرابعة يبدأ التصاعد من جديد الى مراحل النوم الخفيف. ويستغرق هذا الصعود من عمق النوم مدة تراوح بين عشر دقائق وعشرين دقيقة. وهذا التصاعد او "الاستيقاظ" يمثل مرحلة محفوفة بالمرعبات والسير خلال النوم وتبليل الفراش. كما ان معظم كلام النوم يحدث في هذه المرحلة.

وبدلا من الاستيقاظ لدى وصولنا الى اخف مراحل السبات، فاننا ندخل في طور يسميه الباحثون "تحرك العين السريع". ولهذا الطور صلة وثيقة بنشاط محموم من الاحلام، وفيه ينقطع النائمون فجأة عن التقلب في الفراش، ويتوقف الغطيط، ويتبدل التنفس على نحو يعوزه النظام، بل قد يتوقف كليا بضع ثوان وترتفع درجة حرارة الدماغ ويزداد تدفق الدم اليه ، ويغدو جسم النائم رخوا كلعبة من الخرق، وتشل العضلات الكبيرة في الذراعين والساقين والبدن ما بين الوركين والرقبة، فلا يشهد المراقب سوى ارتعاش طفيف في اليدين والوجه. وفجأة تبدأ العينان بالتحرك السريع من جانب الى آخر ويتبين، اذا ما فتح الجفنان برفق، ان النائم ينظر الى شيء محدد، وفي الوقت نفسه تنقبض العضلات وسط صحني الاذنين، كأنما النائم ينصت الى بعض الاصوات.

الماء الاخضر ــ واذا اوقظ النائمون في نهاية هذه الفترة وجد ان غالبيتهم يصفون الاحلام باسلوب يختلف عن النهج الواقعي في الوصف حين يفيقون من نومهم في غير طور تحرك العين السريع. فبدلا من ان يقول النائم مثلا باسلوب واقعي: "كنت افكر في الذهاب في نهاية الاسبوع الى السباحة"، ربما قال: "يا للروعة! كنت استحم في حوض من المرمر بلون القرنفل وكان الماء اخضر!" ويستمر طور تحرك العين السريع في البداية مدة عشر دقائق، يبدأ النائم على اثرها بالهبوط في مراحل النوم العميق من جديد.

ويدلف النائم الى طور تحرك العين السريع من اربع مرات الى ست مرات في الليلة الواحدة على فترات تفصل الواحدة منها عن الاخرى تسعون دقيقة تقريبا٠ وفي كل مرة تالية يعبر فيها النائم طور تحرك العين السريع تطول مدة مكوثه فيه تباعا بحيث يدوم هذا الطور عند بلوغ الحلم الرابع او الخامس ساعة كاملة من الزمن٠ وثمة اكثر من مئة وظيفة جسدية مختلفة، من انكماش المعدة الى افراز الهورمونات الى عمليات ذهنية متعددة، تتكرر في دورات كل تسعين دقيقة٠

ويقول العالم النفسي بول باكان: "في كل ليلة، وفي اثناء فترة الحلم القصيرة، يغدو الجانب الايمن من الدماغ، وهو الجانب اللامنطقي العاطفي المفعم بالصور، منعتقا من ربقة الجانب الايسر العقلاني٠ وهذا هو السبب في اندفاع طوفان الصور والاصوات والمشاعر التي نسميها حلما"٠ فالصور تتلاحق بالوانها الباهرة (وكل الاحلام بالالوان) في "تيار الحلم" وتضرب قوانين المنطق عرض الحائط في كثير من الاحيان فاذا بشجرة الصنوبر الباسقة تنمو، في هذا العالم الغريب، في الرف الاسفل من الثلاجة، وبالهر الصغير الاليف يتحول الى وحش ضار طوله ثلاثة امتار٠

ظواهر غير طبيعية – يبدو اننا جميعا في حاجة الى الاحلام، وانه كلما صغرت السن عظمت الحاجة٠ حتى ان الاطفال يقضون زهاء نصف نومهم في طور تحرك العين السريع٠ وقد اثبت الباحثون ان الاشخاص الذين يحرمون الاحلام تنتابهم تغييرات خفية في الشخصية، فتراهم يزدادون مشاكسة وانفعالا وقلقا، وكثيرا ما يفقدون القدرة على التركيز٠

وقد ظهرت لدى احد الاشخاص الذين هم قيد الدراسة عوارض جنون التشكيك والارتياب بعد انقطاع الاحلام لديه، بينما راح شخص آخر يغش الخادمات في المطاعم لدى دفع الحساب٠ وما ان يزول الحرمان من طور تحرك العين السريع حتى يندفع المحرومون في "عرس من الاحلام" فيكثروا من الفترات التي يقضونها في طور تحرك العين السريع حتى يستهلك هذا الطور احيانا نوم الليل بأكمله٠

على ان الانغماس في الاحلام يؤذي بمقدار ما يؤذي انعدامه٠ ويقول احد الباحثين: "اذا انت واصلت الصبحة او نومة الغداة الى ساعة متأخرة، خصوصا ايام الاجازة الاسبوعية، فغالبا ما تشعر لدى نهوضك بالتعب الشديد٠ والسبب في ذلك انه كلما طال نومك طالت احلامك٠ والاحلام عمل مرهق"٠ والمعروف ان للاقلاع عن الكحول وانواع المسكنات والمنومات والمهدئات من البربيتوريت والامفيتامين وغيرهما – ومن عادتها تخفيف نسبة الاحلام في النوم – نتائج جانبية، من اسوأها صرف الليالي المرهقة في احلام تغلب عليها صفة الكوابيس٠

لماذا نحلم؟

يبدو ان عملية الحلم تساعد في تدبر مشكلاتنا والتغلب عليها٠ ويظهر

ان الناس حين يواجهون اوضاعا صعبة، كمقابلة من اجل وظيفة جديدة او الانهماك في اتقان عمل جديد وما شابه ذلك، يظهرون عادة زيادة حادة في مدى الوقت الذي يقضونه في طور تحرك العين السريع لدى النوم.

وقد تحير الباحثون من قدرة العقل الحالم على اعطاء حلول لمشكلات مستعصية. وهناك عشرات من عباقرة المبدعين، امثال البرت اينشتاين وموزار وادغار الن بو، ممن اعتمدوا الحلم بصورة منتظمة ليفتح لهم البصيرة من الداخل. وهناك ايضا فريدريك كيكوله، العالم الالماني الذي صرف سنوات بلا طائل محاولا اكتشاف بنيان الجزيء من سائل البنزول او البنزين الملتهب. لكنه ذات ليلة رأى في حلم افعى تتلوى داخل دائرة، فادرك ساعة نهوضه من النوم ان الافعى شكلت في تلويها شكلا مسدسا، وان جزيء البنزين هو فعلا سداسي الشكل. وكانت هذه الومضة من ومضات البصيرة من المع النبوءات في تاريخ الكيمياء العضوية.

منطق الاحلام – ويتبع معظم الاحلام تسلسلا موحدا ومنظما الى حد بعيد. فأول الاحلام واقصرها يتخذ عادة صيغة الزمن الحاضر. وهو بمثابة مقدمة للاحلام التالية، وغالبا ما يدور موضوعه حول مشكلة شغلت العقل قبل الخلود الى النوم. ويمهد هذا الحلم الموضوع الرئيسي للاحلام اللاحقة. اما الحلمان التاليان فيدمجان مشاعر من الحاضر، الا انهما اكثر اهتماما بالماضي. واما الحلم الرابع فيكون في الغالب نوعا من التمني (كيف اغدو لو تخلصت من هذه المشكلة؟) ويستخدم الحلم الخامس، الذي قد يكون الاخير لدى معظم الناس، مواد من جميع الاحلام السابقة، فيبني منها صرح خاتمة فخمة في صيغة الزمن الحاضر.

ولئن كانت الاحلام معروفة باختفائها في طيات النسيان بعد بضع دقائق من الاستيقاظ، الا ان ما يبقى في الذاكرة منها، في احد المستويات على الاقل، هو اكثر مما تقر به عقولنا الواعية. فقد تبين ان امزجة عدد من الاشخاص الذين هم تحت الدراسة تنوعت بحسب احلام الليلة السابقة، على رغم انهم لم يقدروا احيانا على استعادة تفاصيل احلامهم. والاهم من ذلك – وقد لا يكون هذا مجرد مصادفة – ان الناس الذين يواجهون مشكلات مقلقة ينزعون الى التيقظ لدى نهاية كل طور من اطوار تحرك العين، مما يزيد من فرص تذكرهم للاحلام. ويقول باحث في علم النفس: "من المرجح ان تستعيد ذكرى احلامك على نحو جيد اذا كنت منغص البال. ومن يدري؟ ربما لا يكون من الحكمة تناول حبة المنوم. ولعل من الخير لك ان تحلم بالموضوع الذي يقض مضجعك".

وغالبا ما يقتبس الباحثون ملاحظة العالم كيكوله الذي انهى خطابا له في مؤتمر علمي عقد لبحث اكتشافه تركيب جزيء البنزين، قائلا لمستمعيه المشككين: "دعونا ايها السادة نتعلم كيف نحلم، ومن ثم ربما وفقنا الى اكتشاف الحقيقة!"

■ لورنس شيري

أزمة الصّناعة الأوروبيّة

ثمة حاجة ملحة الى جهود جبارة من أجل تأمين سبل العيش لعشرات الآلاف من العمال الاوروبيين الذين يواجهون البطالة في ميادين صناعية مختلفة

قلما عرفت اوروبا الغربية، منذ اندلاع الثورة الصناعية التي تواجهها، مثل هذا التحول العنيف في زمن السلم. فاقتصادياتها الصناعية تنتقل من عصر رخاء لم يسبق له مثيل الى مستقبل من النمو الاقتصادي الغامض، عبر ازمة يتعذر معها سهولة التحديد ووصف العلاج، وان كانت اعراضها مألوفة تماما: تقاعس الانتاج في الصناعات الكبرى وتزايد التضخم في عدد من البلدان وتفاقم البطالة بشكل مقلق واتجاهها الى الاستفحال في بعض المناطق. ولم تدرك الجماهير الا بالتدريج مدى التغير الذي تجتاح امواجه الانماط الصناعية القديمة في اوروبا.

ولقد كان لهذا التحول وقعه القاهر على عشرات الالوف من العمال في طائفة من المناطق المصابة والمرتكزة على صناعة واحدة، انطلاقا من جنوب ايطاليا حتى اسوج. وفي شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٧٨، اضرب عمال الصلب في مقاطعة اللورين الفرنسية يوما واحد احتجاجا على الخطة التي ارتأتها الحكومة لانقاذ صناعتهم من الافلاس، والتي تقضي - ضمن اشياء اخرى - بالغاء ٢٠ ألف وظيفة من الآن حتى عام ١٩٨٠. وفي اوائل عام ١٩٧٩ الحالي، اضرب من جديد آلاف العمال في اللورين، واوقفوا القطارات واقفلوا عددا من مدن صناعة الصلب احتجاجا على تسريح العمال الاخير. وفي مدينتي مرسيليا الفرنسية وهامبورغ الالمانية، حيث تم اغلاق عدد من احواض بناء السفن، تظاهر العمال لمطالبة الحكومة باتخاذ اجراءات تحول دون المزيد من اغلاق الاحواض. وقبل ذلك ببضعة اشهر سار عمال الغزل والنسيج في منطقة الفوج الفرنسية في مظاهرات

اخترقت المدن الصناعية اعرابا عن استيائهم من تسريح العمال والغاء الاشغال على أثر انهيار امبراطورية "بوساك" الجبارة للغزل والنسيج.

تدهور الصناعات الضخمة - ويعود سبب الخطر الاجتماعي والاقتصادي الرئيسي، في ما يبدو، الى تدهور تلك الصناعات الضخمة، ولا سيما صناعات الصلب والغزل والنسيج وبناء السفن، التي تكفل اسباب الحياة لأربعة ملايين و٣٠٠ الف اوروبي. ذلك ان كثيرا من الشركات الصناعية القائمة في هذه القطاعات المتعبة قد اصابها ما اصاب الدينوصور من حيث انها تضخمت الى احجام تصعب السيطرة عليها وتدنت جدارتها الى مستوى اصبحت معه عاجزة عن التنافس في عالم متغير قاس. ولكي تتمكن هذه الشركات من البقاء، فقد اصبحت مكرهة على الانكماش والتطور والتجديد.

ويوجه القادة السياسيون والاقتصاديون انذارات حذرة حول الاضطرابات التي قد يفضي اليها هذا الوضع. فيقول وزير مالية المانيا الغربية هانز ماتهوفر: "اننا بلد يتميز بارتفاع الاجور وارتفاع كلفة التأمينات الاجتماعية فيه، ولن نسعى ابدا لنكون من جديد بلدا منتجا للصلب والمنسوجات على نطاق واسع او لنعودمرة اخرى بلدا منكبارالبلدان بناة السفن". ويصفايتيان دافينيون، مفوض المجموعة الاوروبية للشؤون الصناعية التحدي القائم بقوله: "ان الامر لا يقتصر على احتمال اجراء التغييرات، وانما يجب علينا ان نوجد الوظائف البديلة للوظائف الملغاة".

والسبب الاكبر لقلق الاوروبيين ازاء المستقبل مرده الاقتحام الاستفزازي للاسواق العالمية الذي قامت به بعض البلدان مثل كوريا الجنوبية والبرازيل وتايوان وسنغافورة. فقد اتقنت هذه البلدان المتخلفة النمو تطبيق القواعد في عدد من الصناعات القليلة التعقيد نسبيا، واصبحت تعرض مجموعة من السلع المراوحة من قمصان الفلانيلة الى قضبان الصلب الضخمة باسعار تقل كثيرا عن اسعار المنتجين الاوروبيين.

وقد احدث هؤلاء الوافدون الجدد اكبر مقدار من الاضطراب في اسواق صناعة النسيج. ففي عام ١٩٧٨، كانت نسبة المنتجات القطنية التي اشتراها الاوروبيون من خارج اوروبا ٤٠ في المئة، بل انها كانت احيانا من انتاج مصانع انشأها بعض الاوروبيين في الخارج. وكان ابرز الموردين هونغ كونغ وتايوان وكوريا الجنوبية. فان هذه البلدان وغيرها تستفيد بكل بساطة من الاجور العالية التي يتقاضاها عمال النسيج في اوروبا. ففي بلجيكا يبلغ متوسط اجر العامل في الساعة الواحدة ستة دولارات امريكية، وفي المانيا الغربية ستة دولارات ونصف دولار، وفي ايطاليا ثلاثة دولارات، في حين ان عمال النسيج في هونغ كونغ يتقاضون اقل من دولار واحد في الساعة، ويتقاضى نظراؤهم في كوريا الجنوبية اكثر قليلا من نصف دولار.

العالم الثالث ينتج الصلب - بعدما كان العالم الثالث يستورد الصلب من اوروبا، بات يعمل الآن على انتاجه

بنفسه. وقد بلغت البرازيل والمكسيك مرحلة الاكتفاء الذاتي في انتاج صلب البناء وبدأتا تتجهان الى تصديره. وكذلك الارجنتين وشيلي، فان طاقتهما الانتاجية تتزايد باطراد. وفي ميدان بناء السفن، يوجد لدى كل من البرازيل وكوريا الجنوبية عدد من الاحواض التي تضاهي احدث احواض اوروبا الغربية. وهما تستطيعان - ومثلهما في ذلك مثل بولونيا وتايوان - انتاج سفن الشحن وناقلات النفط باسعار تقل حتى عن الاسعار اليابانية.

غير ان كثيرا من الاقتصاديين يسلمون في الوقت نفسه بان المنافسة الاجنبية المتدنية الاسعار ليست العامل الوحيد الذي ادى الى تدهور صناعات الصلب والنسيج وبناء السفن. بل ان سوء التخطيط - كالزيادة المفرطة في الطاقة الانتاجية واهمال الادارة - يلعبان دورا مهما في هذا الصدد. كما يشكو المخططون الاقتصاديون وقادة الاعمال في اوروبا من ان هناك اسبابا اجتماعية وسياسية جعلت من الصعب تسريح العمال الفائضين. ومن نتائج ذلك ان الشركات التي يتناقص انتاجها لا تستطيع خفض نفقاتها، بل تضطر الى الاقتراض، لا لكي تستثمر الاموال المقترضة في تقنيات ومعدات جديدة، بل لمجرد الاحتفاظ بتشغيل مصانعها.

ويقول هنري دو بودينا، الخبير الباريسي في مشكلات الصناعة لدى مؤسسة آرثر ليتل الاستشارية الامريكية: "من القواعد الاساسية للرأسمالية ان القطاعات الصناعية تبلغ مع تطورها حدا اقصى من النمو ثم تبدأ بالتدهور. فقد حدث ذلك لسكك الحديد، كما هو يحدث الآن لصناعة الصلب. ومن المحتمل ان تواجه صناعة السيارات المشاكل بعد عشر سنوات". ويرى بودينا ان ما جعل من عملية التكيف الصناعي ازمة حادة هو الاحجام عن ابدال الصناعات المتدهورة واحلال صناعات اخرى محلها. ويلاحظ دو بودينا "ان الاقتصاديات الرأسمالية فقدت مرونتها". فالبنوك تنفر كثيرا من تقديم القروض للمغامرة في احياء المشروعات المخفقة، كما ان الحكومات كثيرا ما تثبط عزائم القيمين على مثل هذه المشروعات باغراقهم في متاهات الاجراءات الادارية.

ويقول بودينا: "اذا حدث لمشروع صغير او متوسط الحجم ان اعترضته مشكلة وقتية تتعلق بالسيولة النقدية، فانه ينتهي على الارجح الى الافلاس. اما الصناعة الضخمة التي تعاني سكرات الموت فتستطيع، بصفة عامة، ان تعتمد على الاعانات الحكومية. وهذا امر مناقض تماما لقاعدة "بقاء الاصلح"، باعتبار انه يحافظ على بقاء الدينوصورات الهائلة الحجم ويبيد في الوقت نفسه الغدد الثديية".

أوضاع القطاعات ـ بعد هذا لا بد من التساؤل عن مدى احتضار الدينوصورات في اوروبا الصناعية واستعراض اوضاع الصناعة قطاعا بعد اخر:

الصلب: يقول دافينيون: "لو اتيح لقوى السوق ان تؤدي دورها بحرية،

لافضى ذلك الى اضمحلال ثلث صناعة الصلب الاوروبية تقريبا"٠ غير ان المعاناة التي تنجم عن مثل هذه التصفية قد تبلغ حدا لا تجرؤ معه الحكومات الوطنية ولا السوق المشتركة على اباحة مقدار كبير من الحرية لقوى السوق٠ ففي الاعوام الثلاثة الماضية وحدها الغيت في هذه الصناعة ٦٠ ألف وظيفة مع استبقاء ٦٩٠ الف وظيفة يشغلها عمال يفترسهم القلق٠ ويقدر خبراء السوق الاوروبية المشتركة ان العودة بالصناعة من جديد الى وضع يمكنها من المنافسة تقتضي الغاء عدد اخر من الوظائف يراوح بين مئة الف و١٤٠ الف وظيفة من الآن حتى عام ١٩٨٥٠

النسيج والغزل: لا تزال هذه الصناعة تسجل اكبر عدد من الوظائف في القارة (٢،٩ مليون عامل)٠ ولقد كان هذا القطاع اول القطاعات التي عانت الامرين من الواردات المنخفضة الكلفة٠ ثم تفاقم الامر من جراء التوسع في استخدام الآلات التي تحل محل العمال فضلا عن تناقص الطلب، مما ادى الى انكماش عنيف في الصناعة٠ وقد حدث على مدى السنوات الخمس الماضية (١٩٧٤ - ١٩٧٨) ان تم اغلاق ٣٥٠٠ مؤسسة على الاقل في هذا الميدان، فاسفر ذلك عن الغاء نصف مليون وظيفة٠ ويقدر الخبراء عدد العمال الذين ستضطر هذه الصناعة الى الاستغناء عنهم من الآن حتى ١٩٨٥ بمليون عامل آخر٠

بناء السفن: انتهى فجأة العصر الذهبي لهذه الصناعة عام ١٩٧٤ مع صدمة ارتفاع اسعار النفط الى اربعة أضعاف ما كانت عليه، وما اعقب ذلك من انكماش اقتصادي٠ ومنذ ذلك التاريخ، تفيد التقديرات ان حكومات دول المجموعة الاوروبية صرفت ما يقرب من ٦٥٠ مليون دولار سنويا على اعانات مختلفة في سبيل المحافظة على استمرار تشغيل احواض بناء السفن وابقاء ١٦٠ ألف عامل في وظائفهم٠ اما الآن فان موظفي السوق الاوروبية يخططون لاجراء خفوضات كبيرة٠ ففي عام ١٩٨٠ لن تتجاوز طلبات بناء السفن لدى الاحواض التسعة نصف الحجم الذي كانت عليه عام ١٩٧٧ (٤،٥ مليون طن قائم)، وقد تستوجب الحال الاستغناء عن ٧٥ ألف عامل٠ غير ان الدول التجارية الرئيسية تلح باصرار على حماية هذه الصناعة٠

والالمان الغربيون هم الوحيدون في اوروبا الذين يجاهرون بمعارضة تدابير الحماية٠ ويشكو احد خبراء وزارة الاقتصاد في بون من "ان هذه الحماية هي مجرد تغطية لاولئك الذين ليسوا على استعداد للتغيير"٠

اما الزعماء السياسيون وقادة الاعمال الآخرون فيرون ان هذه الحماية شر لا بد منه ولو موقتا٠ لكن الحماية، مهما كانت مبرراتها في الامد القصير، فانها تبعث على خلق المشكلات اكثر مما تبعث على تحقيق الفوائد٠ ولا شك في ان المغالاة في سياسة الحماية في الثلاثينات ساهمت بقسط كبير في اندلاع الازمة الاقتصادية٠ وانه لمن الجدير بالصناعات الاوروبية المهددة ان تستغل المهلة الزمنية التي توفرها تدابير الحماية و"طعام الكفاف" الذي

تقدمه الاعانات، لكي تعمل على انجاز عملية التحديث الواسعة النطاق، وقد بدأت هذه العملية فعلا. ويرى الخبراء ان هذه الصناعات، مهما تفاقمت علتها، فهي غير محكوم عليها بالفناء. ويقول الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان: "خلافا لكل ما كتبه الكثيرون، ليس هناك اي قطاع مهدد بالموت، وانما هناك مؤسسات تحتاج الى اعادة النظر في تنظيمها، وهو امر اخر مختلف تمام الاختلاف".

وفي المانيا الغربية، نجد ان عبارة "التغيير البنيوي" تتردد باستمرار على شفاه رجال الصناعة والسياسة والاقتصاد ورؤساء نقابات العمال. ويشمل هذا الاصطلاح مجموعة متنوعة من التدابير، منها: التحول الى انتاج منتجات مربحة، والاستثمار الضخم في شراء آلات جديدة مختلفة عن الآلات الحالية، واعتماد العقل والمنطق في تحديد القوى العاملة او خفض حجمها عند الاقتضاء، واعادة تدريب العمال الذين يفقدون وظائفهم تمكينا لهم من تولي اعمال اخرى، وحتى الاهتمام بتحويل النظام التعليمي عن ميدان العلوم الانسانية وتوجيهه الى التدريب التقني على الصناعات الجديدة.

تعديل النظام - ولا شك في ان الالمان سبقوا غيرهم، وبنشاط اكبر، في تعديل نظامهم الصناعي على نحو جذري، كما يبرهن على ذلك الفائض الكبير في الميزان التجاري لالمانيا الغربية. ويقول المستشار هلموت شميدت: "يتعين على صناعتنا ان تنتج انواع السلع التي لا يزال الآخرون قاصرين عن تسويقها وانتاجها في السنوات العشر المقبلة. وهذا معناه السعي لايجاد تكنولوجيا جديدة واسواق جديدة. وليس امامنا بديل اخر عن ذلك". ويبدي الفرنسيون الرأي نفسه. فيقول وزير الصناعة الفرنسي اندريه جيرو: "ان خروجنا من هذا المأزق مرهون بان نصنع منتجات لا ينتجها الآخرون او لا يصنعونها بالجودة ذاتها".

والحقيقة ان هذا الجو المتشائم لا يخلو، مع ذلك، من بعض مظاهر النجاح المدهشة. ففي ميدان المنسوجات، تنهض بلجيكا بصناعة نشطة للسجاجيد، الى جانب محافظتها على قدرتها التنافسية في مخمل المفروشات. وتحتل كل من فرنسا وايطاليا مركز الصدارة في صناعة ازياء الرجال والنساء. وفي ميدان انتاج الصلب تتولى المصانع الصغيرة، التي يستقر معظمها في شمال ايطاليا بالقرب من "بريشيا"، استخدام الافران المزودة بالاقواس الكهربائية، فيجيء الصلب المنخفض الدرجة الذي تنتجه لاغراض البناء رخيص الثمن، لا يقبل المنافسة. ومن ثم فقد تمكن هؤلاء المنتجون في اواخر ١٩٧٨ من الاستئثار باكثر من نصف السوق الاوروبية لصلب البناء. وفي مجال بناء السفن، اخذ الالمان يتحولون عن بناء السفن البسيطة لشحن البضائع الى بناء سفن الصهاريج المعقدة وحاطمات الجليد وسفن الثلاجات والمصانع القائمة. وركز الفرنسيون من جهتهم على بناء ناقلات الغاز الطبيعي السائل.

وتعتبر سويسرا مثال البلد الذي

يرفض باستمرار تقديم العون المالي للصناعات الخاسرة. فعندما بدأ صانعو الساعات في منطقة جبال الجورا يفقدون سوقهم لصالح الساعات اليابانية الالكترونية، عمد السويسريون بكل بساطة الى اغلاق المصانع القديمة الطراز وسارعوا الى الانتقال الى ميدان الالكترونيات، فغدت سويسرا من اهم المنتجين والمنافسين في صناعة ساعات "الكوارتز".

ويتوقع اسار ليندبيك، اختصاصي الاقتصاديات الكبيرة في معهد ستوكهولم للدراسات الاقتصادية الدولية في اسوج، ان ينتقل جانب كبير من الانتاج الصناعي الموحد النوعية الذي ابتكرته اوروبا الى البلدان النامية. وهو يتنبأ بان يستولي المنتجون الصناعيون في العالم الثالث في اواخر القرن الحالي على ٤٠ في المئة من الانتاج الصناعي العالمي مقابل ٧ في المئة الآن. وسيؤدي هذا التحسن الى رفع مستوى المعيشة في تلك البلدان وتمكينها من زيادة مشترياتها من البلدان الاخرى. وينتظر، في الوقت نفسه، ان ترتفع كلفة الايدي العاملة في العالم الثالث.

غير ان ليندبيك وقرناءه لا يتوقعون لاوروبا ان تصبح قارة مليئة بالتقنيين ذوي المعاطف البيضاء الذين يعملون في مختبرات حديثة لا تشوبها شائبة. فسوف تستمر الصناعة الثقيلة على نحو او آخر. ويقول دافينييون: "ان الفكرة القائلة بان العالم المتنامي سيتولى امر اليد العاملة الكثيفة بينما نتولى نحن امر العمل التكنولوجي الكثيف، فكرة مردودة لا يتقبلها التفكير". وهناك في الامد الطويل عدد من البدائل الاخرى. فصناعات الخدمات - كالسياحة والترفيه والبحوث - تتميز من ناحية العمالة بضخامة امكانات النمو في اوروبا والواقع ان ثلثي السكان العاملين في الولايات المتحدة الامريكية يشتغلون في قطاع الخدمات والمساندة، في حين ان النسبة المناظرة في اوروبا لا تتجاوز الخمسين في المئة.

عبرة الازمة - الا انه قبل حدوث هذه التحولات التدريجية، لا بد اولا من حل مشكلة اسباب مقومات الحياة لعشرات الآلاف من عمال المصانع الاوروبيين الذين تتلاشى وظائفهم تدريجا. ولعل الزعماء السياسيين وقادة الاعمال يتعظون بالدرس الواضح الذي ابرزته الازمة الحالية، وهو: ان حيوية الصناعة لا تتوقف على مجرد القيام بتكييف واحد لبنيتها، وانما هي ترتهن ايضا بالعودة الى نظام اقتصادي اكثر مرونة يتيح الاستجابة السريعة لتطورات السوق. وقد اظهر الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان ادراكه للمشكلات القائمة في هذا الصدد عندما امر الجهاز الحكومي المرهق الذي سيطر على الحياة الاقتصادية طيلة الثلاثين عاما الماضية، بأن يتيح للمنشآت الفرنسية مقدارا من الحرية لم يسبق له مثيل.

ولا شك في ان هذا التغير الكاسح الشامل في ميدان الصناعة سيسفر عن تفاقم التوتر من جميع الانواع في المجتمعات الاوروبية المقيدة بالتقاليد. غير انه كلما طال تأجيل اتخاذ القرارات الصعبة، تعسر التحول واصبح موجعا.

■ **مقال من مجلة "تايم"**



مجد الباليه أعطي له

مارغو فونتين تروي حكايتها الفنية مع رودولف نورييف الذي رافقت شهرته خطوة خطوة حتى غدت رفقتهما اسطورة في تاريخ الباليه المعاصرة

لقد امتدت حياتي الفنية اجلا طويلا غير مألوف في الوسط الفني ورقصت مع عدد كبير من الزملاء الذين امتازوا جميعا بالوسامة والشهامة. لكن اشتراكي مع بعضهم في اداء ادوار البطولة يترك في نفسي اثرا خاصا. واني لاذكر بوضوح بدايات احدث زمالة فنية منذ ١٩٦١.

كنت، بوصفي الراقصة الاولى في فرقة الباليه الملكية في انكلترا، محاطة بالمال والشهرة والاصدقاء ومتنعمة، فوق كل شيء، برجل ديبلوماسي من بناما اسمه روبيرتو (تيتو) ارياس، انقذ القلب البشري من سجنه بين ضلوع راقصة الباليه. لكن تيتو لم يطلب مني اعتزال الفن بعد زواجنا، وانما انا التي وجدت في الانفصال عنه فترات طويلة، خلال تجوال فرقتنا في ارجاء العالم، امرا لا يطاق. اضف الى ذلك ان اصابة قدمي كانت تسبب لي آلاما مبرحة. ولهذا فكرت، اذ نظرت في المرآة

ذات يوم، انه لا يمكنني الاستمرار زمنا طويلا· وما كنت لاصدق آنذاك اني سأظل ارقص، حتى بعد ١٥ عاما وانا في الخامسة والخمسين، مع نابغة شاب لم أكن تعرفت عليه بعد· فما احكم ما قاله لي احد الاصدقاء: "ثمة مثل صيني قديم: لا تقل ابدا من اي بئر لن تشرب"·

توجهت فرقة البالية الملكية في شهر يونيو (حزيران) من ذلك العام الى روسيا، وبدأت جولتنا على مسرح كيروف الشهير في لينينغراد· وتقرر، في مقابل زيارتنا، ان تحيي فرقة كيروف للباليه حفلاتها على مسرح "كوفنت غاردن" في لندن اثر زيارتها الى باريس· وبعد مضي ثلاثة ايام على الافتتاح، سمعت احدى الراقصات في فرقتنا، بعد مخابرة زوجها في لندن، ان افضل راقص شاب في فرقة كيروف هجر فرقته وطلب حق اللجوء الى باريس·

انف النابغة ـ كان ذلك الشاب رودولف نورييف· وسرعان ما توافرت الاسباب لتذكيري باسمه لدى عودتي الى انكلترا حيث بدأنا نبحث عن عنصر فني فذ لاجتذاب الجمهور الى احتفال كبير لجمع الاموال خلال شهر نوفمبر (تشرين الثاني)· وقالت كوليت كلارك، وهي من عاشقات الباليه التي دأبت على تنظيم الاحتفالات: "سمعت ان الولد الذي فر من فرقة كيروف رائع"· واذا باللجنة المسؤولة عن الاحتفال توافقها الرأي: "يا لها من فكرة لامعة"· وللتو شرعت كوليت في تقصي اخباره هاتفيا، وتبين لها انه كان يعمل في كوبنهاغن مع فيرا فولكوفا التي كانت معلمتي قبل سنوات· وتبودلت الاحاديث بين فيرا وكوليت، ونقلت فحواها الى نورييف والي شخصيا· واذكر ان الحديث في لندن دار على النحو الآتي:

كوليت: انه يريد ان يرقص معك·

مارغو: لكني سألت جون غيلبن ان يرقص معي· بالله اسألي فيرا اذا كانت تظن انه راقص جيد·

كوليت (في اليوم التالي): فيرا تقول انه يصر بعناد على الرقص معك انت· وهي تقول انه راقص رائع·

مارغو: أف كم يبدو لي انه شخص مضجر· لم يريد ان يرقص معي وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره ولم تقع عيناي عليه قط؟

كوليت: يقولون ان له حضورا مسرحيا· يكفي ان يمشي فوق خشبة المسرح ويرفع ذراعيه حتى تبصرن البجع عند البحيرة! فيرا تقول ان لانفه "فتحتين"· وأنت تعرفين ان للنوابغ "فتحات انف"·

وأوسعت فيرا فتحتي انفها للتدليل على ما تقول·

واخيرا تخلى رودولف عن اصراره على الرقص معي – الى حين – وطالب بشيء آخر: هلا هيأ فريدريك اشتون، مصمم رقصات فرقتنا، مشهدا منفردا له؟ ووافق فريدريك على ذلك باضطراب كبير، وتم ترتيب كل شيء·

ولما كان رودولف شغوفا برؤية لندن فقد وجهنا اليه الدعوة للحضور سرا لمدة ثلاثة ايام والنزول في دار السفارة البنامية مستخدما اسما مستعارا لئلا يكتشف الصحافيون امر وجوده· واصبح من المقرر ان يصل

مساء احد الايام في تمام الساعة الخامسة والنصف· وفي الساعة الثالثة والنصف رن جرس الهاتف، وقال صوت رخيم عميق· بلكنة اجنبية واضحة: "انا نورييف"· فسألته: "اين انت؟" اجاب: "انا في مطار لندن منذ ساعة"· فقلت: "اوه! توقعنا وصولك في وقت لاحق· انتظر وسأرسل لك سيارة"·

– ساستأجر سيارة تاكسي·

□ لا، لا تفعل، المسألة معقدة· نتظر حيث أنت!

وأنطلق السائق بالسيارة الى المطار·

وبعد ٤٥ دقيقة، رن جرس الهاتف مرة اخرى:

– انا نورييف!

□ ألم يجدك السائق؟

– كلا·

لقد استأجر سيارة تاكسي على رغم كل شيء؟ واذ ترجل من السيارة بينت انه اصغر حجما مما توقعت · لقد كان وجهه صغيرا ونحيلا وشاحبا على نحو غريب· ولاحظت فتحتي انفه على الفور·

ورحت اتفحصه خلال تناول الشاي محاولة تكوين رأي فيه· وفعل هو الشيء نفسه بالنسبة الي· وكان في غاية اللطف والدماثة، وتكلم معي بوضوح من ضمن معرفته المحدودة للغة الانكليزية· وكانت جميع افكاره تنعكس في وجهه الذي تبدل من حال الى حال في سرعة البرق· ولحظت مرة او مرتين فتورا يطرأ على عينيه، واني لادرك الان ان ذلك لم يكن سوى مظهر من مظاهر خوفه الذي ظل قابعا تحت غطاء سطحي، متأهبا للبروز لدى أقل اشتباه بالمهاجمة· الا ان رودولف كان يضحك ويفقد حيطته وتوجسه كلما تحدثت اليه في امور طفيفة لا قيمة لها·

لحم الضأن ولحم الحمل – وفي وقت لاحق راقبت رودولف في التمرين الاول الذي يتولاه بمفرده على المشهد المسرحي الجديد، ولاحظت توتره واضطرابه وهو يكرر اداء كل خطوة من خطواته المرة تلو المرة بكل ما اوتي من قوة، حتى كاد ان يصرع نفسه من فرط جهوده· وأحسست بانه لن يقوى على انهاء مشهده المنفرد الطويل اذا ما فتىء يشحن كل حركة من حركاته بأقصى طاقاته·

والحق انه لم يكن هناك داع للقلق· وعندما ارتفعت الستارة عن اول عرض له في لندن، كان رودولف يقف متدثرا بعباءة حمراء طويلة· ثم اندفع الى الامام نازعا دثاره ليرقص بحرية وقوة على الحان سكريابين الجياشة العاطفية· وسواء أكان جمهور الناس الذين اسبغوا على العباءة الحمراء المقيدة للحركة تفسيرا رمزيا محقين في رأيهم، ام لا، فالذي لا شك فيه هو ان الاثر المسرحي كان هائلا·

وكذلك كان دور رودولف في الرقصة الثنائية في "بحيرة البجع"· وبعد انتهاء الاحتفال تجمهر الناس حوله وطوقوه خارج المسرح· واتضح لي انه سيكون، ولا ريب، حديث الناس المثير ذلك العام·

وبعيد الاحتفال ابلغتني نينيت دو فالوا، المديرة العامة لفرقة الباليه الملكية، ان رودولف سيرقص في تمثيلية "جيزيل" على مسرح "كوفنت غاردن" في شهر فبراير (شباط)

وأردفت: "هل تودين ان ترقصي معه؟" وكان رد فعلي الاولي هذه المرة: "الا تظنين ان الزمن فاتني؟ لشد ما اشعر بان الرقصة ستبدو كالجمع بين لحم الضأن ولحم الحمل!" لكني بحثت الموضوع مع زوجي تيتو، وقر رأينا على ان من الخير لي ان التحق بالركب، والا فالاعتزال اولى بي.

ولما حان وقت التمرين الاول، كنا كلانا منفعلين ومتوترين. ولا عجب في ذلك. فالرقص مع شريك جديد يقتضي شيئا من حذق النجار للجمع والتوفيق بين طرفين مختلفين. والذي يحدث عادة هو ان يواصل كل من الراقص والراقصة اداء دوريهما على ما الفاه سابقا، الى ان تجيء مرحلة يتعذر معها الانسجام. وجرت العادة حينذاك على ان يقول الراقص للراقصة: "ما الذي تفعلينه الان؟ ساحاول انا ان افعل الشيء نفسه". الا ان رودولف كان يعلم ما يريده بالضبط، فقال: "الا تظنين ان هذه الطريقة افضل؟" ثم دخلنا في مفاوضات، وبدل كل منا بضع خطوات مجاراة للآخر،ومرت ساعتان خلتهما طرفة عين. ولكم كان لسهولة العمل معه، على غير توقع، من اثر عميق في نفسي.

لقد ظن الجميع ان رودولف شرس الطباع، عفوي الحركة، خصوصا لانه ابن فلاح، نشأ في الجمهورية التتارية الغريبة التقاليد الواقعة في الجزء الشرقي من روسيا الاوروبية، ولم يحظ بالقبول في فرقة كيروف الا بعد سنوات من الكفاح. ولكن من المتناقضات ان يكون هذا الشاب التتاري "الشرس" متحمسا للتقيد باصول الرقص واحكامه، بينما انا، الراقصة الانكليزية ذات المزاج "البارد"، اشد اهتماما بالتعبير عن المشاعر. وكان رودولف يريني، بدقة غير متناهية، كيف لي ان احسن بعض خطواتي، خصوصا لان قدمي اليسرى لم تعد تؤلمني.ومع ذلك فان اشد ما اثار اهتمامي كان مدى اندماجه وتفاعله مع دوره. فقد تقمص شخصية الكونت البرخت تماما، كما اصبحت انا جيزيل، الفتاة الفلاحة الحيية التي اودى بها حبها له الى الخيانة والجنون. وكان هناك انسجام عظيم فوق العادة في تشخيصنا للدورين، حتى اني نسيت عقدتي في ما يتعلق بلحم الضأن والحمل.

وفي هذه الاثناء راح رودولف يكتشف لندن والحياة اللندنية. وتبينت من اول مؤتمر صحافي له ان في امكانه تدبر شؤونه على خير وجه. ومع ذلك، فقد كانت فيه مسحة من الصبي الضائع تبعث الآخرين على حب مساعدته. ومن دفاعاته عن نفسه في سنيه الاولى تلك الانتقادات اللاذعة. فكأنما كان يتوقع ان يجد في انكلترا فردوسا حقيقيا تسكنه مخلوقات لامعة على جانب عظيم من الجمال. ولهذا كنا، بطبيعة الحال، مصدر خيبة لآماله. واعتذرت له مرة عن بشاعتنا، فأجاب: "انا لم أقل اني لا احبكم. ثم ان البشاعة قد تكون جذابة وفاتنة".

وبدت له بعض العبارات في حياتنا الاجتماعية، مثل "شكرا لمساعدتك"، زائفة ومتكلفة. لكنه في نهاية

العرض الاول لباليه "جيزيل" وامام جمهور متحمس ايما حماسة، بلغت به العاطفة حد الركوع على احدى ركيتبه وتقبيل يدي. وتلك كانت طريقته في التعبير عن صادق مشاعره من دون شوائب الكلام. ومنذ ذلك الحين ترسخ بيننا ارتباط غريب لم نستطع له تفسيرا. ويمكن وصفه بانه رباط من المودة العميقة او الحب، ولاسيما اذا كان المرء مؤمنا بان للحب اشكالا ودرجات متعددة.

وفي يوليو (تموز) ١٩٦٢، رقصت مع رودولف في باليه "بحيرة البجع" في ايطاليا. وكان رودولف قلقا من جراء مشهد لم يعد جزءا من الباليه الروسية، وهو المشهد الذي اقص فيه انا الحكاية بالايماء. وقد ظن رودولف انه سيبدو سخيفا اذا وقف امامي بلا حراك. وقال: "اخشى ان افسد عليك بحيرتك". فأجبته بهدوء: "ما عليك الا ان تحاول فقط". وعندما بدأنا التمرين الاول، اعترضت على التغييرات التي اقترح هو ادخالها قائلة: "اتعلم اني امثل هذه الباليه منذ ١٩٣٨؟" فغرق رودولف في الضحك واستدركت بسرعة: "لا اظن انك كنت مولوداً". واجاب:بلى. انه العام الذي ولدت فيه". ولم نستطع بعد ذلك مواصلة العمل. وفي اليوم التالي اوقفنا التمرينات بعد الاختلاف مرة ثانية، وذهبنا لتناول الغداء والضحك على امور اخرى. وكان ذلك - باستثناء صباح واحد قضيناه على خشبة المسرح - مجمل تمريناتنا على التمثيلية الراقصة.

طعام للشائعات ـ كان رودولف لا يزال غرا قليل التجارب في أول عهدنا بالعمل معا. وكان يرقص بما يشبه حماسة الهاوي غير المحترف. وتعلم في ما بعد ان يصطنع الانفعال قبيل كل عرض مسرحي باغضاب نفسه. ذلك لانه ايسر للراقص ان يؤدي دوره وهو في حال انفعال واحتدام من ان يؤديه في حال من الفتور او تعمد الحركات. وكنت اراقبه وهو يفتش عن عذر لكي ينفجر بالتعنيف او التجديف مرة او مرتين قبل ارتفاع الستارة عن عرض ذي أهمية. والواقع اني كنت اتفهم اسلوبه ذاك خير تفهم، لاني عمدت شخصيا الى اسلوب مماثل لا باظهار الغضب، وانما بادخال الرعب في نفسي.

وتعاظمت قوة رودولف في رقصه على مر الايام حتى غدت حركاته، عندما أدينا معا ثنائية باليه "كورسير"، وكأنها من لحمة الاساطير وسداها. وبدا، وهو يقفز عاليا في الهواء طاويا قدميه تحته، اشبه ما يكون بالمتربع على بساط سحري غير منظور. واثارني رقصه الى حد نسيت معه اضطرابي واندمجت في اداء ادواري بحرارة ونشوة وابتهاج. وفي اثناء جولة فرقة الباليه الملكية في امريكا صفق لنا الجمهور في نيويورك ما لا يقل عن عشرين دقيقة متواصلة. ولم ينقطع التصفيق الا بعدما رفعت الستارة عن المشهد التالي.

وجاءت بعد ذلك فترة حرجة في حياتنا الفنية، حيكت فيها حول رودولف وحولي خيوط علاقة عاطفية شاعت حكاياتها المختلفة بين الناس ايما شيوع. وانا لا اخفي اني كنت اكن له اعمق الحب والتقدير، الا ان شعوري نحوه غدا منطلقا لكل من اراد

ترويج الشائعات· وبلغت الضجة ذروتها لدى جولتنا الثانية في انحاء امريكا· فقد حدث ان دعينا مع رهط من الاصحاب خلال زيارتنا لسان فرانسيسكو الى حفلة في منطقة الاحداث المتمردين على التقاليد المعروفين بـ"الهيبيين"· ولما كان يحفزني فضول كبير للتعرف على المكان، ذهبنا الى تلك البقعة حيث قدمت الينا فعلا لفافات "الماريجوانا"، ولكن احجمنا عن تناولها نظرا الى كوننا من غير المدخنين· وحين اوشكنا على مغادرة المنطقة، حضر رجال الشرطة واعتقلوا جميع الموجودين· ولم نخرج من السجن الا بعد تدخل مدير فرقة الباليه الملكية· ولم ننج حينذاك من مداهمة الصحف وحملاتها· غير ان رودولف احسن مواجهة الهجوم، علما بأنه لم يرد اصلا الذهاب الى تلك الحفلة· ومع ذلك، لم اسمع منه او من زوجي تيتو الذي كان يخوض آنذاك معمعة الانتخابات في بناما كلمة تأنيب واحدة· ومنذ ذلك الحين عزمت على ان أراعي في المستقبل نفوري الطبيعي من ارتياد الاماكن السياحية·

اما بالنسبة الى الشائعات والفضائح التي حامت حول رودولف وحولي، فلم يسعني سوى الصبر وانتظار هدوء الزوبعة· والحق اني ، طوال عملي مع رودولف والخروج بصحبته، لم أره في يوم من الايام يدخل باب داره· فهو كان يذهب وحده تحت جنح الظلام، ويبدو وهو ينأى عبر الشارع المهجور كطيف وحيد يتلاشى شيئا فشيئا في بطن الظلام، ولوقع خطاه المبتعدة رنة حزن بعد صخب مائدة العشاء والضحك· وهذه في الغالب حال اهل المسرح الذين يدفعون ثمنا للظهور تحت الاضواء الساطعة بالتوجه وحيدين الى بيوتهم في غمرة الظلام والمطر·

لقد اختفت نظرات الحيطة والحذر من عيني رودولف منذ وقت طويل· ولكم كان سعيدا خلال جولتنا في اوستراليا عام ١٩٦٣ حيث رقصنا على المسرح ليليا· اما انا فقد وجدت في تلك الجولة ارهاقا جسديا، ولكن رأيت من المهم للجمهور ان يشاهد رودولف، لانهم بمشاهدته يفوزون باضعاف ما بذلوه في الحضور· وكثيرا ما سئلنا عن سر شراكتنا ولم ندر بماذا نجيب· ولكن عدنا فعللناه على اعتباره تواردا في الافكار وتوازيا في ما كنا نفعله على المسرح، حيث يلهب الواحد منا خيال الآخر ويلهمه في الابداع والتفوق من ضمن النهج الذي سرنا عليه·

لا وقت للتقاعد ـ تعلمت ، ولا شك، الشيء الكثير من مجرد مراقبة رودولف· وهو الذي اقنعني بالتتلمذ على ايدي اساتذة جدد، كما شجعني في وقت متقدم من حياتي على ان اضيف الى حصيلتي من ادوار الفتيات المتيمات بالحب ادوارا جديدة· وعلق على ذلك كله بقوله:"اني اتعلم منك، ولهذا يجب ان تبقى قدرك مصقولة وفي غليان مستمر"·

وبقي رودولف صديقا صادقا ايام الشدة· وحين بلغني النبأ المفزع في ٨ يونيو (حزيران) عن اطلاق احد المنافسين السياسيين في بناما

الرصاص على تيتو، كنا في غرب انكلترا نستعد لتقديم الباليه في مهرجان مدينة باث الموسيقي السنوي. وكان رودولف هو الذي عثر علي وانا انتحب في خلوة القاعة غير المضاءة في الفندق حيث اختبأت لاني لم اقو على تحمل التفكير في موت تيتو.

غير ان تيتو لم يمت، بل اصيب بشلل فوري. ومع مرور الوقت تمكنت من تفهم ما كان يدركه كل شخص سواي، وبالتالي، من قبوله، وهو احتمال بقاء تيتو مشلول الاطراف مدى الحياة. ومع مرور الوقت ايضا، تحسنت حالته الصحية الى حد سمح لي بالعودة لمزاولة الرقص، علما بان القلق المالي الذي بدأ يدهم حياتنا ازال كل تفكير في اعتزال الباليه والتقاعد. كما ان مقدرتي على الرقص اصبحت الان اشد مضاء مما مضى، نظرا الى الضرورة، التي حتمت علي المحافظة على مقدار من القوة مواز لما يتمتع به الراقص التتاري الممتلىء حيوية وعنفوانا والذي اوشك على الدخول في اوج حياته الفنية.

لكن الظروف شاءت ان تكتنف حياتي بكابوس جديد. ففي مدينة سبوليتو الايطالية، حيث كنت استعد مع رودولف لتقديم باليه "ريموندا" جاءني نبأ من انكلترا قبيل التمرين السابق للافتتاح يستوجب العودة الى دياري على جناح السرعة لان تيتو، الذي كان يتلقى المعالجة في احد المستشفيات لاعادة تأهيله جسمانيا، اصيب بتشنج افقده الوعي ولم يعد من المحتمل بقاؤه على قيد الحياة.

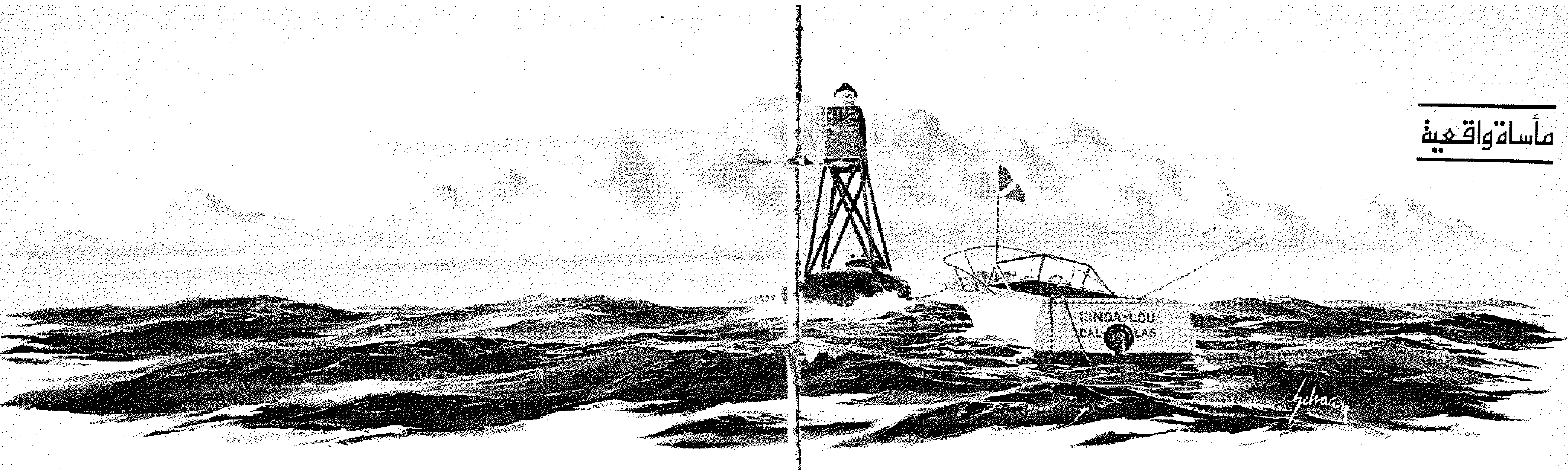
وكنت ادرك مدى اهمية "ريموندا" بالنسبة الى رودولف، ولكنه قال لتوه: "اذهبي فورا ولا تفكري في الباليه". وبعد يومين افاق تيتو من غيبوبته. ولكم افرحني انه استطاع في غضون عام واحد، ان يتعافى ويحضر حفلة افتتاحنا لباليه "روميو وجولييت" في اخراج جديد.

بقي تيتو في المستشفى مدة عامين، ثم اصر على العودة الى بناما حيث حرارة المناخ الاقليمي المفيدة تساعده على التخفيف من لوعته بعدما اصبح اسير كرسي للمقعدين كالبعض ممن تعرضوا لذلك.

ولا تزال التزاماتي الفنية تقصيني عن تيتو بين الحين والآخر. ولا ازال ايضا مقيدة - ان في حياتي اليومية او في الرقص او في حبي للباليه - بروابط لا تنفصم، من بينها الرابطة مع رودولف نورييف الذي جاءني بالتجديد في حياتي الفنية وكأنه وهج حمرة خريفية.

ان رودولف يواصل الان حياته الفنية بحماسة لا تعرف الوهن، كراقص فذ في عالم الباليه. وهو ليس راقصا مبدعا ورائعا فحسب، وانما له كذلك شخصية فذة. ولعل احب ما فيه الي بديهته وسرعة خاطره في اختيار الكلمات والتعابير. واني لاعتز كثيرا بملاحظته التي ابداها عندما سأله صديق مشترك في اثناء جولته مع فرقة الباليه القومية الكندية قبل وقت قريب: "اين مارغو الان؟" فأجابه رودولف بعدما تقنع بوجه مأساوي: "انها تراقص شابا أصغر مني!".

■ مارغو فونتين



ضائعون في البحر

كان الرجال الثلاثة من امهر الغطاسين، لكنهم ارتكبوا غلطة اذاقتهم الامرين وكادت ان تودي بهم، فلم ينقذهم سوى الحظ

القى هال سولز نظرة على ابرة بوصلته للتأكد من صحة الاتجاه، فوجد انها تشير الى ١٤٠ درجة، اي الجنوب الغربي بالنسبة الى خليج ماتاغوردا في تكساس. وكان من المتوقع للمركب الصغير "ليندا لو" الذي ينقله مع رفيقيه والذي لا يتجاوز طوله سبعة امتار، ان يصل في غضون ساعتين الى موقع السفينة "ليبرتي" الغارقة على بعد خمسين كيلومترا في خليج المكسيك. وهناك، كان ينبغي للرفقاء الثلاثة ان يرتدوا ملابس الغطس ويتأكدا من سلامة عدتهم وينزلوا في الساعة الثالثة على اكثر تقدير الى الماء حيث يقضون ١٥ دقيقة بين فحص السفينة على عمق ٣٠ مترا والاستمتاع بالمناظر البحرية الجوفية، قبل ان يعودوا الى مركبهم "ليندا لو"، فيتلهون على متنه بصيد الاسماك او ينعمون بحرارة شمس الخليج الرائعة، وكان ذلك اليوم الجمعة الموافق التاسع عشر من مايو (آيار) ١٩٧٨ يوم عطلة واستجمام لهؤلاء الثلاثة من ابناء دالاس.

ولم يسبق لاي منهم ان مارس الغطس في خليج المكسيك، الا انهم قد تهيأوا من قبل للقيام بمهمتهم وحسبوا لكل شيء حسابه. فقد تدرب الثلاثة معا (نورمان جين، سمسار البورصة الحذر المتحدر من اصل صيني والبالغ ٢٩ سنة من العمر، وجو مارشال تاجر السلع المستعملة، والاجتماعي المعشر وعمره ٣٦، وهال سولز الرسام الهندسي الذي يناهز الاربعين) على الغطس طوال ثلاثة اعوام، وحقق كل منهم ما لا يقل عن ثلاثين غطسة، فضلا عن انهم قد غطسوا من قبل الى عمق مماثل في البحر الكاريبي. وكانوا يعلمون ان ليس في مقدورهم البقاء على عمق ٣٠ مترا اكثر من ١٧ دقيقة، خصوصا ان المياه هنا قد تكون اكثر هياجا واضطرابا من مياه الكاريبي. وانما القواعد الاساسية تظل هي ذاتها في كلا الحالين، اي انه يقتضي ان يبقى كل من الغطاسين على مرأى رفيقيه الاخرين، وان يتصرفوا جميعا بتؤدة وهدوء وان يراقبوا ساعاتهم لضبط الوقت. وكان الطقس في ذلك اليوم جيدا: الرياح معتدلة، والسماء صافية.

وفجأة ظهرت لهم عوامة الارشاد مشدودة بسلسلة الى بدن السفينة الغارقة. وبدت السفينة في القاع وكأنها حيد (صخر) بحري اصطناعي على عمق ٣٠ مترا. وربط الغطاسون زورقهم بالطافية واخذوا يستعدون للنزول. فارتدى كل منهم ثياب الغطس من "النيوبرين" المبطن بالنايلون وسترة للنجاة زاهية اللون وشدوا الى اجسامهم احزمة الثقل وخزانات الهواء المضغوط والزعانف التي يبلغ طولها ٤٥ سنتيمترا. واخيرا نظفوا اقنعتهم وانابيب التنفس.

الكوكب الغريب — كان نورمان اول من نزل على حبل الهبوط. وتلاه هال. اما جو فقد نزل في الوقت نفسه

CONDENSED FROM D MAGAZINE (DALLAS FORT WORTH) (OCTOBER '78). COPYRIGHT 1978 BY DALLAS SOUTHWEST MEDIA CORP. 2902 CARLISLE, DALLAS, TEXAS 75204

مباشرة الى الماء على بعد مترين تقريبا. ولما لحق هال بنورمان تلفظ الاخير باسم جو، وهو يهز كتفيه كأنه يتساءل: اين جو؟". واومأ هال برأسه نحو السطح وانتظرا قليلا ثم اشار نورمان بالهبوط علما منه بوجوب الاقتصاد في استهلاك ما لديهما من هواء كيما يتسنى لهما البقاء ١٧ دقيقة تحت الماء. فقد مضت على وجودهما في الماء ثلاث دقائق، واذا هما لم يسرعا فلن يتوافر لهما الوقت الكافي لتفقد السفينة. ولعل جو قد عاد الى المركب "ليندا لو".

وافلت هال ونورمان الحبل واخذا يغوران في اللجة الرمادية الخضراء وكأنهما يهبطان بالمظلة من احدى الطائرات في دماسة الليل. وفي قاع المحيط، كانت المياه هائجة كدوامة من الرمال والطحلب البحري، لكنهما بعد ان عثرا على بدن السفينة الصلبي وارتفعا الى مستوى ظهرها وجدا الماء هادئا هدوءا عجيبا، صافيا صفاء رائعا، والرؤية واضحة تمام الوضوح. ووقع نظر سولز على افواج من مختلف الاسماك ما بين صغيرة تنزلق بخفة ورشاقة وكبيرة تتحرك بتثاقل ويبلغ طول بعضها احيانا مترين ونصف متر. ورأى سولز فجأة سمكة ضخمة تفغر فكيها عن فم يتسع لرأس انسان.

اهذه روعة الغطس؟ — ذلك هو السؤال الذي تبادر على الفور الى ذهن سولز وهو يتلفت من حوله بحثا عن نورمان. وهل كان المشهد يبرر مثل هذا العناء؟ المرحلة التي استغرقت سبع ساعات من دالاس الى هناك ومشاق الاستعداد للقيام بها. فمن لم يجرب الغطس لا يستطيع ان يدرك ما يجري في القاع ولا يمكن ان ينتابه هذا الشعور بأنه يزور كوكبا غريبا ينفرد بلغته وشرائعه.

وبعد الثالثة والدقيقة العشرين بقليل اخذ سولز ونورمان يبحثان عن حبل الهبوط المثقل ولما لم يعثرا له على اثر قررا ان يصعدا من دون الاستعانة به، وقدرا انه اذا حدث وبلغا السطح عند نقطة بعيدة عن المركب، فان جو سيسارع ولا شك الى انتشالهما.

ولكن جو مارشال كان حينذاك عاجزا عن ان يصدق ما يجري له. فها هو يسبح منذ عشر دقائق طلبا للنجاة بحياته لكنه ما زال يبتعد عن "لنيدا لو" بدلا من الاقتراب منه. فكيف حدث ذلك؟ لقد نزل الى الماء على بعد مترين تقريبا من حبل الهبوط وغطس بسهولة واحكام حتى وصل الى عمق ١٥ مترا لكنه لم ير هناك اثراً لهال ونورمان فقرر ان يعود فورا الى السطح لعله يهتدي الى موقعهما وما ان بلغ السطح حتى ادرك ان هناك ما يبعث على الحرج والقلق في موقفه. فقد ابتعد عنه المركب حوالي ٦٠ مترا واصبح مضطرا الى السباحة باقصى طاقته كي لا تتسع هذه المسافة، ثم خفف سرعته طلبا لبعض الاسترخاء واراحة عضلاته التي اوجعها الالم. وخطر له ان يسبح تحت التيار فشهق شهقة عميقة من خزان الهواء في فمه وحرر الهواء من سترة النجاة المنتفخة ثم غطس الى عمق سبعة امتار ونصف متر وسبح خمس دقائق لكنه عندما طلع الى السطح تبين انه لا يزال بعيدا عن المركب. فتساءل اين اذا هال ونورمان؟ وقال في نفسه: "لا بد انهما قد عادا الى

السطح الان، وانما لا يسعني ان انتظرهما، والامر يضطرني الى مواصلة السباحة.

والقى جو نظرة عجلى هنا وهناك، في كل الاتجاهات فلم ير الا الافق المنبسط الخالي. وتضرع الى الله كي يشد ازره ويمده بالعون.

اما هال سولز ونورمان جين فقد ارتفعا في آن الى السطح واتجها على الفور نحو المركب الرابض على مسافة تراوح بين ٥٠ و٧٥ مترا من موقعهما، وكانت الامواج تؤرجحه برفق. وسبح الاثنان طوال عشر دقائق ولكنهما لاحظا انهما لم يتقدما شبرا واحدا. وغمغم سولز: "ماذا جرى؟" واستأنف السباحة بشدة وحدة، من دون ان يحرز اي تقدم. ونادى باعلى صوته: "جو، يا جو! تعال وانتشلنا. نحن هنا"، معتقدا ان جو موجود على المركب، وانه لن يعتم ان يجيء لنجدتهما.

شعر سولز بتشنج عضلي فقرر ان يستريح قليلا، ونظر الى الوراء فرأى نورمان الى يمنيه يتخبط في الامواج، وبدا له ان ثمة وراء نورمان قناعا آخر وانبوبا للتنفس فقال: "هذا هوجو اذا".

سمك القرش المفترس – ورأى سولز رفيقيه نورمان وجو ينحدران نحو الافق في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين. وفي الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة غاب المركب عن مرآه. فهو اذا اصبح وحده الان، لكنه تمكن بفضل سترة النجاة من ان يحتفظ برأسه وكتفيه فوق سطح الماء فاستبعد عنه احتمال الغرق وركز امله على بوصلته لعلها الوسيلة الوحيدة التي تيسر له العودة الى المركب. في الصباح، رأى سولز على بعد سنادا يمكنه الارتكاز عليه فراح يسبح في اتجاهه معللا الامل بسكون التيار والافلات من الخطر.

وخطر له ان ينزع البوصلة من خزانتها البلاستيكية وان يضعها في ثوبه الرطب فاخرج مديته من قرابها واخذ يعملها في خزانة البوصلة. ثم خيل اليه انه ازاء مشهد سينمائي بطيء بحيث انه رأى المدية تقطع عقدة الاصبع الوسطى من يده اليسرى فانتابته رعبة حقيقية لعلمه بان قليلا من الدم يكفي لاجتذاب سمك القرش المفترس.

وسارع الى سد الجرح بابهامه اليسرى واخذ يضغط عليه فتزايد الالم حتى بات لا يطاق. ثم اخذ النزف يخف بالتدريج، وانما كان هو ملزما بالاحتفاظ باصابعه في وضع معين طالما بقي في الماء. لكنه حتام يبقى في الماء؟ فلا مفر له من الانصياع للواقع: كان الوقت قد دانى الغروب من يوم الجمعة. وكان الجميع يجهلون موقعهم ذلك انهم قد انصرفوا على عجل في الصباح من دون ان يملأوا "خطة الطفو" الواجب تقديمها الى خفر السواحل. اضافة الى ان اسرهم لم تكن تتوقع عودتهم قبل الساعات المتقدمة من ليل الاحد.

والواقع ان مخفر السواحل في بورت اوكونر لم يتلق نداء الاستغاثة الا قرابة الاولى والنصف بعد ظهر السبت، عندما بلغه اشعار سفينة الصيد "تروفي" التي كانت تتنقل في جوار السفينة الغارقة "ليبرتي"، فوجدت المركب "ليندا لو" مشدودا الى عوامة الارشاد وعليه راية الغطس غير انه لم يبد على ظهره اي اثر لانسان، طوال ساعات.

وتحسر رئيس مخفر السواحل مارتن دوبرين آسفا: "لماذا لا يتعظ الناس؟ لماذا لا يفهمون ان خليج المكسيك غير مأمون؟ فتياراته تتبدل بسرعة تضاهي تقلبات النسيم الصيفي. وارجح الاحتمالات هو ان الغطاسين قد اهملوا ابقاء احدهم على السطح. فلما عادوا من القاع وقعوا فريسة التيار الجارف مما يعني انهم يتخبطون الان في مكان ما في عرض الخليج؟". واخذ دوبرين يعد خطة لبحث عن الغطاسين الضائعين.

وفي هذه الاثناء كان هال سولز مستلقيا على ظهره في الماء يرقب الشمس وهي تختلس النظر من خلال السحب. وما اصعب ان يضيع المرء في عرض البحر طوال عشرين ساعة، فتلك تجربة مخيفة رهيبة وتشكو أساسا من انها ايضا مثيرة للضجر.

واما في الليل فهناك الاهوال، عندما تتلاعب الظلال بحواس الانسان وتبدو الامواج المزبدة وكأنها تلال رهيبة ويتعالي دويها المتضخم وكأنه الخطر الداهم. وهناك البرد القارس الذي تقشعر له المفاصل. وقد تشنجت ابهام سولز وتخدرت من فرط ضغطها على اصبعه المجروحة. وتورم لسانه وجف حلقه ظمأ وتشققت شفتاه بفعل الماء المالح وانحصر معه البول.

وما عدا ذلك، كان هناك سمك اللشك البغيض الذي يحمل في اعلى رأسه قرصا ماصا يلتصق بالجسم والذي يعيش على الجيف، فكان يحيط به طوال الليل ويتحسس ضلوعه وساقيه. ويبدو ان هذه الاسماك الصغيرة الكريهة ظنته نوعا من سمك القرش فراحت تحاول الالتصاق به.

وانقشعت كآبته مع شروق الشمس، لكن شعوره بالظمأ صار يلح عليه وما زالت اصبعه تدمى وان بدأت عليها بوادر التجلط. ثم انتزع جيبي سترة النجاة لكي يحشو بها قناعه عندما ترتقي الشمس الى سمتها وبذلك يقي عينيه.

وعند الاصيل استلقى سولز على ظهره طلبا للاسترخاء واخذ يتلهى بصفع الماء بزعنفتيه ومضى يرقب القطرات تتطاير في الهواء وتتساقط على السطح من جديد. ثم ومضت في خاطره فكرة مباغتة: وماذا عن سمك القرش؟ فهذا السمك لا يعبأ عادة بأي شيء يلقاه ساكنا لا حراك به. واما اذا بدت اي حركة في الماء فلا بد ان تعني له ان ثمة سمكا وبالتالي غذاء له. وعندئذ انقلب على نحو عمودي في الماء ولم يلبث ان شعر بشيء يرتطم بباطن ربلته (بطة ساقه) اليمنى فتلفت من حوله متوقعا ان يرى بعض الزعانف الظهرية لكنه لم ير اثرا لها. وانزل قناعه تحت سطح الماء واخذ يتفحص مقدم ثيابه المبتلة وساقيه.

ورأى عينين تحملقان فيه، بيضاويتين، سوداوين، واسعتين لا تقل المسافة في ما بينهما عن نصف متر. لقد كانتا عيني قرش. وتطاير عقل سولز، لكنه احتفظ بسكونه من دون الاتيان بادنى حركة. واخذت تتبلور في ذهنه خطة التصرف في هذا الموقف الحرج. فظن، خطأ، ان القرش يهاب الدرافيل حتى وان يكن هناك درفيل واحد، فما كان منه الا ان خرج على رأي الخبراء وراح يقلد حركة الدرفيل بما فيها من تموج وايقاع، ولو انه توقع في كل لحظة ان تدهمه الفكان الضخمتان.

وبعد بضع دقائق، استجمع سولز اطراف شجاعته وعاد يتفحص الماء فلم يجد شيئا على الاطلاق. لقد خدمه الحظ، ومضى القرش في سبيله، وعندئذ قرر سولز ان يستلقي على ظهره وان يلزم الهدوء، تقديرا منه بان تلك هي الطريقة الوحيدة لكي يبقى على قيد الحياة.

بغل التحميل - منذ غاب المركب عن البصر لم يتوقف جو مارشال عن السباحة، اي منذ عشرين ساعة. وكانت تلك الليلة قاسية اضنت جسده وسببت له ألما مبرحا حمله على التفكير جديا في الانتحار، لكنه تمكن من اقناع نفسه بالعدول عن هذا الحل وقال لنفسه: "اذا كان لا بد ان اهلك، فلأهلك وانا اقاوم". وقد كان في استطاعته، وهو يسبح نحو اليابسة بدلا من السباحة ضد التيار، ان يقطع مسافة تراوح بين ٧٠٠ و ٨٠٠ متر في غضون ساعتين، وان ذلك قد يتيح له ان يصادف في طريقه مزيدا من المراكب والقوارب.

وقد افضى به التفكير الى ابراز تلك الغلطة الساذجة الغبية التي قلما يرتكبها غطاسو المحيط، وهي انهم لم يفطنوا الى ابقاء واحد منهم على سطح الماء. فلكم حاول مدربوهم على الغطس ان يرسخوا هذه القاعدة البسيطة في اذهانهم. وتضرع الى الله طوال الليل، وتابع السير.

وقد رأى عند الاصيل شكلا ضخما في الافق تخيل انه جهاز لرفع الاثقال، فاستجمع قواه وشق الماء في اتجاهه بكل عزيمة ومن دون كلل كبغل التحميل. ولم تمر ثلاثون دقيقة الا وكاد ان يصل الى الهدف حيث يصبح في امكانه، بعد بضع دقائق، ان يتمسك بجسم صلب. وما ان بلغ الرافعة الضخمة ومد يده نحوها حتى اختفى اثرها على الاطلاق. فعيناه لم تريا الا اضغاث الاحلام والاوهام.

الدرفيل الاملس - اما نورمان جين فكان ينعم بنوم عميق، وقد تسنى له في اثناء الليل ان ينام لفترات تطول حتى تبلغ عشرين دقيقة، لكن الليل كان مليئا بالمتاعب من جراء حركة السفن العابرة التي كانت مزعجة للغاية. وقد حدث كذلك مرة في ضوء القمر ان تفجر الماء من حوله وتكشف عن اشباح رمادية براقة تشبه الصواريخ وتشق العباب. فتساءل: "اهل هي مجموعة من سمك القرش؟" ثم تبين انها حشد من الدرافيل. ومد يده فاحس بجسم املس ينسل تحتها ويمسحها. وكاد ان يقول للدرفيل: "لقد ضللت طريقي، فواكبني الى الشاطىء"، لكن الدرافيل سرعان ما اختفت.

وقد اوحت له غريزته بان يستلقي في سكون وان يمتنع عن تبديد قواه. فقد علمته ممارسته للجودو والكاراتيه على الصبر والصمود، وقرر ان يتصرف كما لو كان جزءا لا يتجزأ من البحر وان يتحرك مع التيار بدلا من مواجهته.

وفي اصيل يوم السبت اغمض عينيه وراح يحلم بثمار الخوخ والاجاص المليئة بالعصير الشهي. وتخيل انه في احد المقاهي المكسيكية يرتشف عصير الاناناس المثلج. غير ان هذه الخواطر العذبة لم تبرح من دون ان تعقبها فكرة مزعجة، فقد حضرته، قبل ان يغفو مرة اخرى، صورة صديقه جو طافيا على ظاهره فاغرا فاه ميتا.

النجدة ! النجدة! — واستدار هال سولز على ظهره والقى نظرة على ساعته فكانت الرابعة والنصف بعد الظهر، وكانت اشعة الشمس قوية موجعة احرقت شفتيه فصارتا تؤلمانه الما ممضا. وحاول ان يرقب الافق مرة اخرى لعله يهتدي الى سفينة مقبلة. وانتزع قناعه وبطانة النايلون البرتقالي التي كانت تحمي عينيه.

ولاحت في الافق سفينة كبيرة منمقة الطراز. وقال سولز لنفسه: "ليس هذا سوى ضرب من الوهم"، لكنه لم يلبث ان سمع هدير المحركات. وكانت السفينة حاملة النفط تتقدم في اتجاهه فراح يسبح باندفاع لم يعهده من قبل. وما ان اقتربت السفينة الضخمة حتى رأى سولز زورق خفر السواحل الرقم ٤١٤٠١ يجري حول مقدمها ويطلق العنان لصفاراته.

وعلا صياح سولز: "النجدة! النجدة!" ثم اندفع نحو حبل الانقاذ وقبض عليه كالكلاب. وتم انقاذه وانتهت محنته وتملكه الشعور بالخطأ والذنب..

وفهم رئيس المخفر دوبرين من التقرير الصادر عن الزورق الرقم ٤١٤٠١ ان العثور على سولز قد جرى على بعد ١٠ كيلومترات تقريبا الى الغرب عن "ليندا لو"، بعد ان قضى في الماء قرابة ٢٥ ساعة.

وكان رجال خفر السواحل لا يزالون منذ اربع ساعات يقومون ببحث شامل لانقاذ الغطاسين الآخرين. لكن الشمس قد انحدرت صوب الافق واخذت السحب تتجمع. فاذا مرت ليلة اخرى على الرجلين امتدت فترة بقائهما في الماء الى ٣٦ ساعة واصبحا بالتالي على وشك الانهيار، ومن المعروف ان تناقص الماء في جسم الانسان، من جراء تعرضه للعوامل الجوية، يؤدي الى تركز الملح فيه مما يؤثر بدوره على الدماغ ويفسد قدرته على التفكير السليم.

فلا بد اذا من العثور على الرجلين الباقيين والا انتحرا.

•

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة بقليل من صباح الاحد، واخذ الدكتور ايد بويير يستنشق هواء البحر الرطب باستمتاع. وقد درج على الابحار في زورقه في نهاية الاسبوع طلبا للاستجمام من عناء مهنته كطبيب، فلا يسمع الا صدى تلاطم الامواج وحفيف الريح والشخير الهادىء الرتيب الصادر عن احد رفاقه النائمين في اسفل الزورق. واذا به يسمع صوتا من نوع آخر، خافتا، بعيدا، وكأنه صوت طفل يئن في اثناء نومه. وأجال بويير نظره في الماء بحثا عن مصدر الصوت فرأى شبحا يطفو على قمة موجة فظن انه جذع شجرة. ثم بدل ظنه وقال: "بل هو ذراع بشرية تلوح في هلع". وكان الرجل يرتدي ثياب الغطس ويصيح: "النجدة! النجدة!"

وسارع بويير الى تغيير اتجاه زورقه حتى صار في محاذاة المستنجد، واستعان برفاقه في رفع الرجل المنهك الى الزورق واجلسوه في مؤخره واطعموه وسقوه. ولم تمض دقائق حتى وصلت احدى طائرات الهليكوبتر التابعة لخفر السواحل فانتشلت نورمان جين في كرسي الانقاذ، وما ان وصل الى الطائرة حتى تهاوى على احد المقاعد فاحكم حزامه قبل ان يتملكه الانهيار.

صرخة الفرح – ووقف رئيس مخفر السواحل كينيث بيرد على منصة ربان الزورق "بوينت بيكر"، واخذ يتفرس في الافق الرمادي، فلقد انتشل الغطاس الثاني نورمان جين بعد ان قضى ٤٠ ساعة في الماء. وأذهل الباحثين ان يكون موقع اكتشافه لا يبعد اكثر من ثلاثة كيلومترات عن الشاطىء، وقد استنتجوا من ذلك ان المياه قد جرفته على مسافة ثلاثة واربعين كيلومترا.

ولم يكن من السهل بعد هذا ان يهتدى الباحثون الى موقع الغطاس الثالث. فلقد كانت المسافة بين موقعي العثور على الغطاسين الاولين لا تقل عن ٣٠ كيلومترا تولت تفتيشها طائرات الهليكوبتر والزوارق مترا فمترا. واما الان، فلم يبق امام الباحثين متسع من الوقت لاكتشاف الرجل الثالث على قيد الحياة. ومع هذا، فكان جو مارشال يجهل تماما نقطة موقعه من الخليج، وقد قضى ليلة ثانية في البحر محفوفة بالرعب والذعر، ومليئة بالاهتلاس والاوهام وخداعات السراب، وما فتئت اذناه تسمعان طوال الليل دوي محركات السفن ومكبرات الصوت وترصد عيناه الانوار البراقة. وسرعان ما تتلاشى الاصوات وتختفي الاضواء لكي تبرز احيانا من جديد في اشكال مختلفة توهمه بالنجاة.

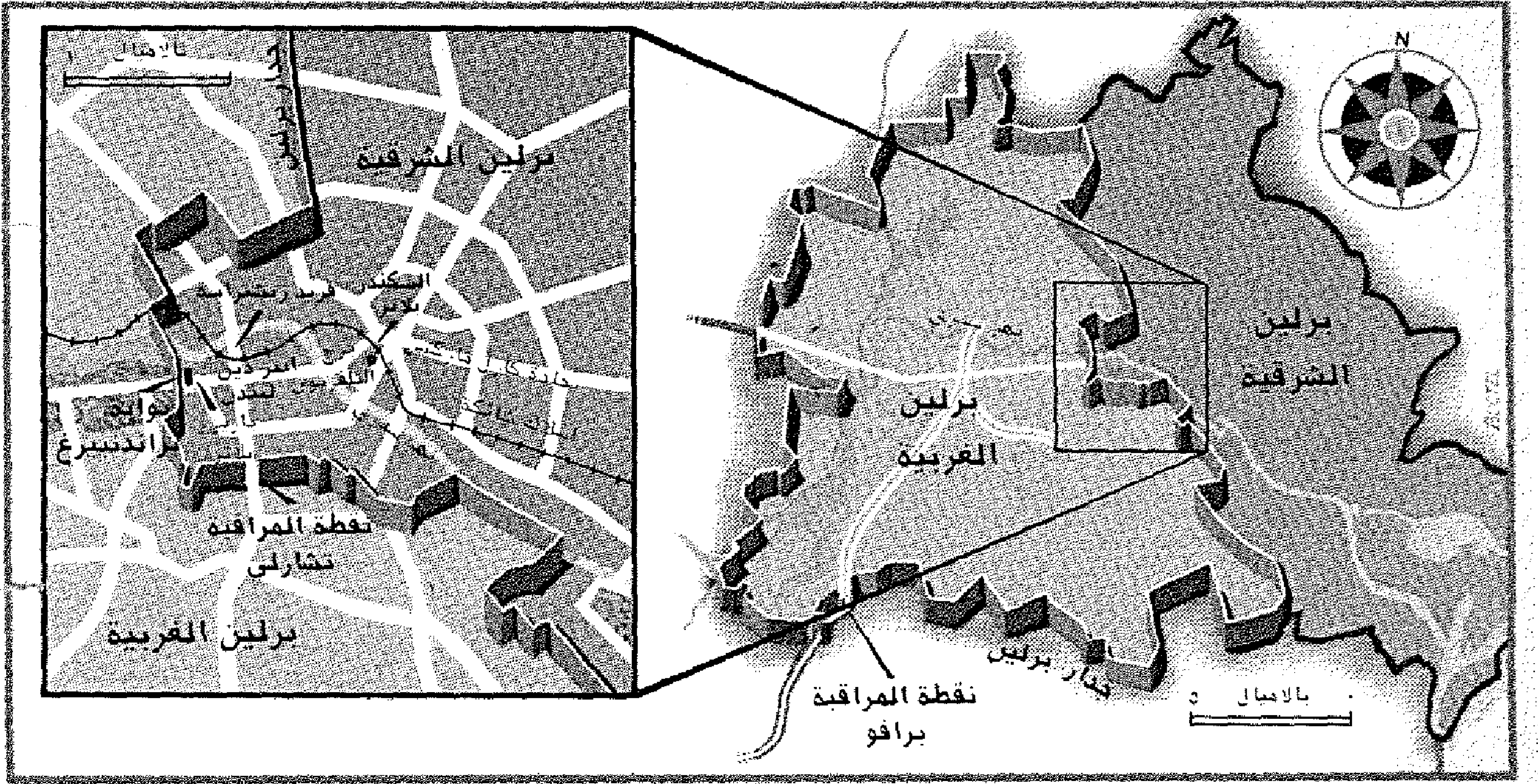
وبالكاد لاحظ بزوغ فجر يومه الثاني في البحر. فقد تسلخت عنقه وكاحلاه وصارت تدمى نتيجة لاحتكاكها بثياب الغطس. وتقرح فمه بعد ان ظل طوال يومين تقريبا يصارع مياه الخليج. وبدا له ان الغلبة ستكون في النهاية للبحر. وانتزع مارشال ثياب الغطس ونشرها على الماء واسند رأسه اليها، فتسنى له بذلك، للمرة الاولى ان يذوق طعم النوم الخالي من الآلام.

وعندما دوت صيحة الفرح التي اطلقها الباحثون من منصة ربان الزورق، ادرك رئيس المخفر بيرد مغزاها على الفور. وعندما انتشلوا مارشال منهكا بضراوة البحر واجلسوه في وضع مريح، قال الغطاس في صوت خافت: "ها هي خطيبتي على مرمى البصر فاذهبوا واخبروها انني هنا". وبدت في عيني مارشال نظرة عميقة رقيقة لن ينساها ابدا رئيس المخفر بيرد لانه لم ير مثلها طوال الواحد والعشرين عاما التي قضاها في خدمة خفر السواحل.

بلى، ليس في مقدور احد ان يأتمن خليج المكسيك، ويدير له ظهر اللامبالاة.

في المستشفى – ادخل نورمان جين وجو مارشال المستشفى لمعالجتهما من آثار التعرض للعوامل الجوية والانهاك، لكن احدا من الرجال الثلاثة لم يصب بضرر بالغ. فما ان جاء يوم الاربعاء حتى استعد الثلاثة للعودة الى دالاس. وبعد انقضاء ثلاثة اشهر على ذلك، سافر الرفاق الثلاثة في منتصف اغسطس (آب) الى كيمان الكبرى في جزر الهند الغربية البريطانية. وفي عصر اليوم الاول لوصولهم ارتدوا ثياب الغطس والزعانف والاقنعة وبادروا الى الغوص لكن المياه هذه المرة كانت ساكنة، واقل عمقا، واقرب مسافة الى الشاطىء.

■ **جيم اتكينسون**



برلين... وراء الجدار

باتت برلين الشرقية، بعد ترميمها، مدينة عامرة توفر طمأنينة مادية لسكانها • لكن شبحا قاتما يخيم على مظاهر التألق فيها

عندما تصل الى برلين الشرقية قادما من الغرب، تجد المدينة كئيبة وخالية مما يثير الاقبال كأنما تشاهد اعادة عرض شريط سينمائي جاسوسي يعود الى الخمسينات• وتتراءى لك لمحات وصور متوقعة• فهناك جدران كنيسة مزقتها القنابل وواجهات مبنى سكني ضخم خلا من أي زينة معمارية او ما يسر الخاطر، كما ترى اناسا يسيرون بكآبة في وسط مدينتهم المرمم وجنودا واقفين باحذيتهم السود العالية عند زاوية كل شارع•

ولكن بعيدا عن هذا المنظر الكئيب، يرتفع شعار عاصمة المانيا الشيوعية المولودة من جديد، متمثلا في برج التلفزيون الشاهق الذي يعلو ٣٦٥ مترا• وهو واحد من اطول الابراج في اوروبا• وفي داخل كرة من الفولاذ غير القابل للصدأ عند ثلثي المسافة

الى القمة، يستطيع الزوار الذين تجرأوا على ركوب المصعد ان يتناولوا العشاء في مقهى دوار ويحملقوا في آفاق الغرب المحرم عليهم.

على ان الاوفياء للحزب الذين يتوافدون على المدينة المشطورة من الشرق يجدون في البرج مفخرةواعجوبة، وكذلك في كل شيء آخر يطلون عليه من البرج. وبرلين الشرقية هي، في اعين الزوار التشيكيين والبولونيين، مركز التسوق للكتلة السوفييتية. وعندما قمت انا وزوجتي في الشتاء الماضي بزيارة برلين الشرقية، قال لي مواطن روماني: "ان الغرب حرام علينا. وسفرنا من بوخارست الى صوفيا لا ينطوي على تغيير. لكن القدوم الى برلين يعني العيش قليلا".

دلائل ازدهار – ان برلين الشرقية، التي قادت جمهورية المانيا الديموقراطية الى مكانة بين الدول العشر الاولى الصناعية في العالم، هي في الواقع اكثر مدن اوروبا الشرقية احتواء لاجناس متعددة من البشر. فمتاحفها ومسارحها التي تعود شهرتها العالمية الى ما قبل الحرب، رممت بدقة وعناية. واعيد بناء ميدان الكسندر بلاتز الواقع على الجانب الشرقي من وسط المدينة القديمة فاصبح بيضوي الشكل تكتنفه فنادق شاهقة ومتاجر كبيرة تزخر بالملابس الحديثة الطراز والادوات والاجهزة الالكترونية. وحيث ينتهي قطاع انتر دن ليندن عند نهر سبري، هدمت قلعة قياصرة هوهنتزوليرن من اجل بناء مركز مدني ضخم من الرخام والزجاج يضم قاعة مؤتمرات تتسع لخمسة آلاف مقعد فضلا عن برلمان جمهورية المانيا الديموقراطية وقرابة عشرة مطاعم وحانات ومسرح ومعرض لوحات فنية وعدد من حمامات السونا.

يبلغ عدد سكان برلين الشرقية مليون ومئة الف نسمة. ويعيش نصف هؤلاء على الاقل في بيوت مبنية منذ الحرب. وايجار الشقة الجديدة المؤلفة من اربع غرف يكلف شهريا ١٢٠ ماركا المانيا. وقد التقينا ارملة عاملة تسكن شقة اصغر واقدم عهدا، ولكنها مجددة كليا، وتدفع ايجارا شهريا مقداره خمسون ماركا المانيا. وهي شكورة لما تؤمنه الدولة لها من طمأنينية مادية، اذ تقول: "لا بطالة هنا، ومعاشي التقاعدي مضمون ايضا. كما ان حصولي على افضل رعاية طبية لا يكلفني شيئا، ولن اكون عبئا على كاهل ابنائي مطلقا".

وسألتها: "ولكن لو خير لك ان تطلبي من الحكومة شيئا آخر، فما تراه يكون؟"

كنا في تلك اللحظة واقفين قرب ميدان باريزربلاتز على بعد بضعة امتار من جدار برلين الذي يرتفع اربعة امتار ونصف متر ويشطر المدينة قسمين. ولعلي ادركت الجواب عن سؤالي في هذا الموقف حتى قبل ان تجيب، لانه لا يلزم المرء سوى فترة وجيزة في برلين الشرقية لكي يدرك ان الجدار المدجج بالحراس هو الواقع المحوري للحياة هناك، وانه لم يبن لابقاء الاغراب مثلي خارجا، بل لابقاء السكان امثالها داخلا.

المطلوب هو الحرية – وأخيرا شرعت الارملة بالرد على سؤالي،



فقالت: "سأطلب ما يطلبه اي شخص آخر، وهو ان نكون موضع ثقة وان تكون لنا الحرية لزيارة الجانب الآخر والحرية لنسافر"٠ وطأطأت رأسها ثم أضافت: "فقط ان اكون حرة طليقة الجناح"٠

ان المنافذ الوحيدة بالنسبة الى المسافرين عن طريق البر على امتداد الحاجز الذي يبلغ طوله ١٦٠ كيلومترا والمحيط ببرلين الغربية هي ثلاث نقاط مراقبة، يشرف على اثنتين منها - وتدعيان برافو وتشارلي - الحلفاء الغربيون٠ وقد توجهت انا وزوجتي صباح احد الايام الى جادة فريدر يشتراسه بالسيارة مارين بالاكشاك العسكرية الثلاثة البيضاء والمعروفة باسم "نقطة المراقبة تشارلي"٠ واجتزنا فورا من القطاع الامريكي الى عالم يبعث القشعريرة في الجسم، حيث ظل اسم الشارع من دون تغيير بينما ظهر كل شيء آخر مختلفا٠

وبلغنا نقطة المراقبة التابعة للالمان الشرقيين وعرضها تسعون مترا، بما فيها من عراقيل للدبابات وشبكة من حواجز الطرق المتعددة التي يبلغ ارتفاع الواحد منها اعلى من الخصر، ويخفرها افراد من "شرطة الشعب" ببنادقهم الرشاشة المعبأة٠ وكنا نعرف ان بنادقهم معبأة لانه، منذ اقامة الجدار عام ١٩٦١، قتل على الاقل سبعون المانيا شرقيا، في اثناء محاولتهم العبور الى الجانب الآخر٠

وتم التدقيق في جوازي سفرنا وقورنا بقائمة "أعداء" جمهورية المانيا الديموقراطية٠ ودفعنا عشرة ماركات المانية رسما لتأشيرتي دخول صالحتين حتى منتصف الليل وعشرة ماركات اخرى ضريبة طريق٠ ثم كان

مطلوبا ان نحول مبلغا ادنى مقداره ستة دولارات ونصف دولار ، اي ١٣ ماركا، الى ماركات المانية شرقية (على ان يتم صرف هذا المبلغ خلال فترة الاقامة، والا كان علينا تسليمه قبل المغادرة). وأخيرا بدأ شاب متجهم الوجه بتفتيش سيارتنا بحثا عن كتب او مجلات او صحف، ظنا منهم ان جل ما يطبع في الغرب هو دعاية. وبذلك اصبح ادخال المطبوعات محظرا (باستثناء الاوراق النقدية). وبعد اربعين دقيقة من وصولنا سمح لنا بالمرور.

ان الجدار يشطر برلين منذ سبعة عشر عاما، لكن تاريخها كمدينة واحدة يعود الى سبعة قرون خلت. وقد تعرضت للتجارب والمحن مرات ومرات، ولكن لم تكن تجاربها الماضية بالقساوة التي خضعت لها ابان الحرب العالمية الثانية. وبعد الحرب تولى الناجون من نساء واطفال ورجال طاعنين في السن، حمل المجارف لازالة قرابة ٧٥ مليون متر مكعب من الركام والانقاض.

وعندما اكتمل تعمير المدينة تركت المساحة المحيطة بميدان اريزربلاتز - وتعتبر اثمن عقار في برلين الشرقية - خلاء يملأه العشب. وكانت تقوم عليها اكثر مباني المدينة انفة وشموخا مثل رئاسة الرايخ وفندق ادلون والسفارتان الفرنسية والامريكية. اما الان فان ميدان باريزربلاتز متروك بلا حدود، وقد باتت بوابة براندنبيرغ - وهي قوس النصر الذي يرمز الى الكثير من احداث التاريخ الالماني - مسدودة من غير منفذ. ويبدو الشيوعيون كأنما شعروا باضطرارهم الى ابعاد حدود نصف المدينة الذي يسيطرون عليه الى اقصى مسافة ممكنة عن النصف الآخر.

استفتاء الاقدام - وفي يونيو (حزيران) من عام ١٩٥٣، اصبح سكان برلين الشرقية في عداد الملايين المحصورين في الفلك السوفييتي الذين يثورون بخوض معارك جريئة ولكن بلا امل، مستعملين الطوب والايدي المجردة في مواجهة دبابات الجيش الاحمر. وفي غضون سنوات قليلة، وفي غمرة ما اصبح يعرف بـ"استفتاء الاقدام" فر مليونان من الالمان الشرقيين الى الغرب. وما كان من جمهورية المانيا الديموقراطية، التي واجهت نقصا شديدا في الايدي العاملة واذلالا في اعين العالم، الا ان ردت نهائيا على موجة الفرار تلك بوحشية. فقد اقامت ليلة ١٢ - ١٣ اغسطس (آب) من عام ١٩٦١ جدارا بين البرلينين ووضعت جيشا على امتداد الجدار لاطلاق النار على كل من يحاول العبور.

وعلى مسافة قصيرة من الجدار، ذلك الرعب العصري، وصلنا انا وزوجتي في حافلة كهربائية الى برلين شرقية ربما توقف فيها الزمن قبل خمسين عاما. فهناك عالم من الاراضي الزراعية والقرى الصغيرة ذات الشوارع الضيقة التي تحيط بها منازل من الطوب الاحمر بسطوح مسنمة. وهناك داخل حدود المدينة احراج تخترقها مسالك طولها ١٥٠ كيلومترا وتتخللها بحيرات وجداول. وقد ساهمت في خلق هذا الجو الريفي قلة حركة السيارات. وبسبب نقص

السيارات وارتفاع اثمانها، فان واحدا فقط من كل سبعة اشخاص يملك سيارة في برلين الشرقية (بالمقارنة مع واحد من بين اربعة في برلين الغربية)٠

لقد كانت برلين، في وقت من الاوقات تضم من القناطر اكثر مما في البندقية وتؤوي من التماثيل اكثر مما في روما٠ وجاء الانقسام بعد الحرب ليترك معظم هذه المعالم في وسط العاصمة القديمة٠ وقد رممت المعالم التاريخية على النحو الذي يتناسب والعقيدة السائدة هناك، واضيفت اليها تماثيل لبعض ابطال الماركسية٠ وبمزيج من حسن الحظ وتخصيص ملايين الماركات، تمكنت جمهورية المانيا الديموقراطية من استرجاع الكثير من الكنوز الفنية التي بعثرتها الحرب، كما بنت متاحفها التي دمرتها القنابل٠ وهذه معالم تقوم بخدمة جلّى في مجال الخدمات العامة لحساب نظام الحكم هناك، اذ انها تجتذب سنويا ثلاثة ملايين ومئة الف زائر٠

وازدهر المسرح ودور الاوبرا ايضا٠ فهناك فرقة برلين الفنية التي ظل بيرتولت بريخت يديرها حتى وفاته عام ١٩٥٦٠ وهي تواصل نشاطها بانتاج اعمال بريخت الذائعة الصيت بانتظام، مع العلم بان بعض هذه الاعمال لن يلقى قبولا في موسكو٠ غير ان محط اعتزاز برلين الشرقية الثقافي هو دار اوبرا الدولة حيث لا بد من مشاهدة زعماء شيوعيين عالميين في اي امسية٠

بؤس الحياة اليومية – غير ان حركة الحياة اليومية في برلين الشرقية تشكل مفارقة بينة مع هذه الروعة٠ فهناك صفوف بطيئة من الناس، واصوات اختام مطاطية ترتطم على نماذج لا تحصى لتثبيت قرارات الدولة، فضلا عن بقية المناظر والاصوات التي تتميز بها المدينة٠ وبما ان المساكن لا تزال في نقص، فان المواطن الاعزب الذي يود مغادرة منزل والديه لن يأخذ على الارجح موافقة حكومية للحصول على شقة خاصة، حتى ولو تمكن من العثور على شقة٠ ومن ناحية اخرى، لا بد من تخصيص شقة لكل موظف حزبي في الحي الراقي الذي يحمل اسم كارل ماركس٠ وكلما كان اللقب ارفع، زادت الشقة اتساعا٠

ان الحماسة التي تعامل بها الحكومة اولئك الذين يتمتعون بامتيازات تبعث فعلا على الاستياء الدائم بين مواطنين ظلوا على مدى ثلاثين عاما، يستمعون الى عبارات متكررة حشيت بها اذانهم عن المجتمع اللاطبقي٠ ومع تهكمه على القيم الاستهلاكية البورجوازية، فان نظام الحكم اقام مجموعة من المتاجر العالمية لحاجته الى عملة قابلة للتحويل بسهولة من اجل التجارة الخارجية٠ وتبيع تلك المتاجر البن المستورد ومستحضرات التجميل وسراويل الجينز الازرق، وحتى السيارات لمن يستطيع تأمين الثمن بعملة صعبة من الغرب٠ وقد ادى ذلك الى انقسامات طبقية اعمق بين اولئك الذين يستطيعون الوصول الى العملات "الصعبة" – ومعظمهم برلينيون شرقيون على اتصال بالزوار او الاقارب الغربيين عبر الجدار –

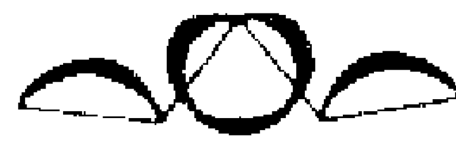
واولئك الذين لا امل لهم حتى في رؤية اي عملة اطلاقا من ذاك القبيل. وقد بلغ ذلك التمييز اخيرا حداً من الاغاظة طالب معه عمال في مصنع ادوات كهربائية، ولكن من دون جدوى، بدفع ٤٠ في المئة من اجورهم بالعملة الالمانية الغربية. ومع ان الدولة تدعي ان سعر تبادل العملتين الالمانيتين هو مارك مقابل مارك، الا ان الصيارفة في برلين الغربية سيعطونك اربعة ماركات شرقية، مقابل مارك غربي واحد.

ولكن في امكان سكان برلين الشرقيةان يديروا اجهزة تلفزيوناتهم لالتقاط برامج تلفزيون المانيا الغربية - ومعظمهم يفعل ذلك - ومشاهدة عالم يتحدث فيه الناس كما يشاؤون دونما خوف من عقاب، والسفر الى حيث يختارون من غير حاجة الى طلب اذن او تصريح. وبما ان شوارعهم تزدحم بالسيارات، فلا حاجة للانتظار مدة ست سنوات قبل اقتناء سيارة.

لقد ادى الجدار مهمته، وباتت فرص النجاة نادرة. غير ان الخروج على النظام في ازدياد. وقد تقدم آلاف المواطنين بطلبات الهجرة وعلى رغم المجازفة في مواجهة مضاعفات خطرة مع فرصة ضئيلة في الحصول على موافقة حكومية، فقد ادلوا ببيان عن كيفية تسيير شؤون شعبهم من خلال الطريقة الوحيدة الممكنة.

وهكذا، بينما تزدحم المسارح والمطاعم وتتألق المدينة المتجددة البناء تحت شمس الشتاء، فان الشعور السائد لدى عامة سكان برلين الشرقيةتغلب عليه الكآبة. واذا نظر البرليني الى خريطة مدينته، فهو يرى فراغا ابيضوراء الجدار. وفي امكانه ان ينظر الى الساعة العالمية الشهيرة في ميدان الكسندر بلاتز ليتعرف بالضبط على الوقت في مدن لا حصر لها ولكن لن يتمكن من زيارتها مطلقا. وهو يعرف ان اكثر القرارات تأثيرا على حياته تتخذ في موسكو، وان على ارض المانيا الشرقية ٤٠٠ الف جندي سوفييتي لضمان امتثاله لتلك القرارات.

■ لورنس اليوت



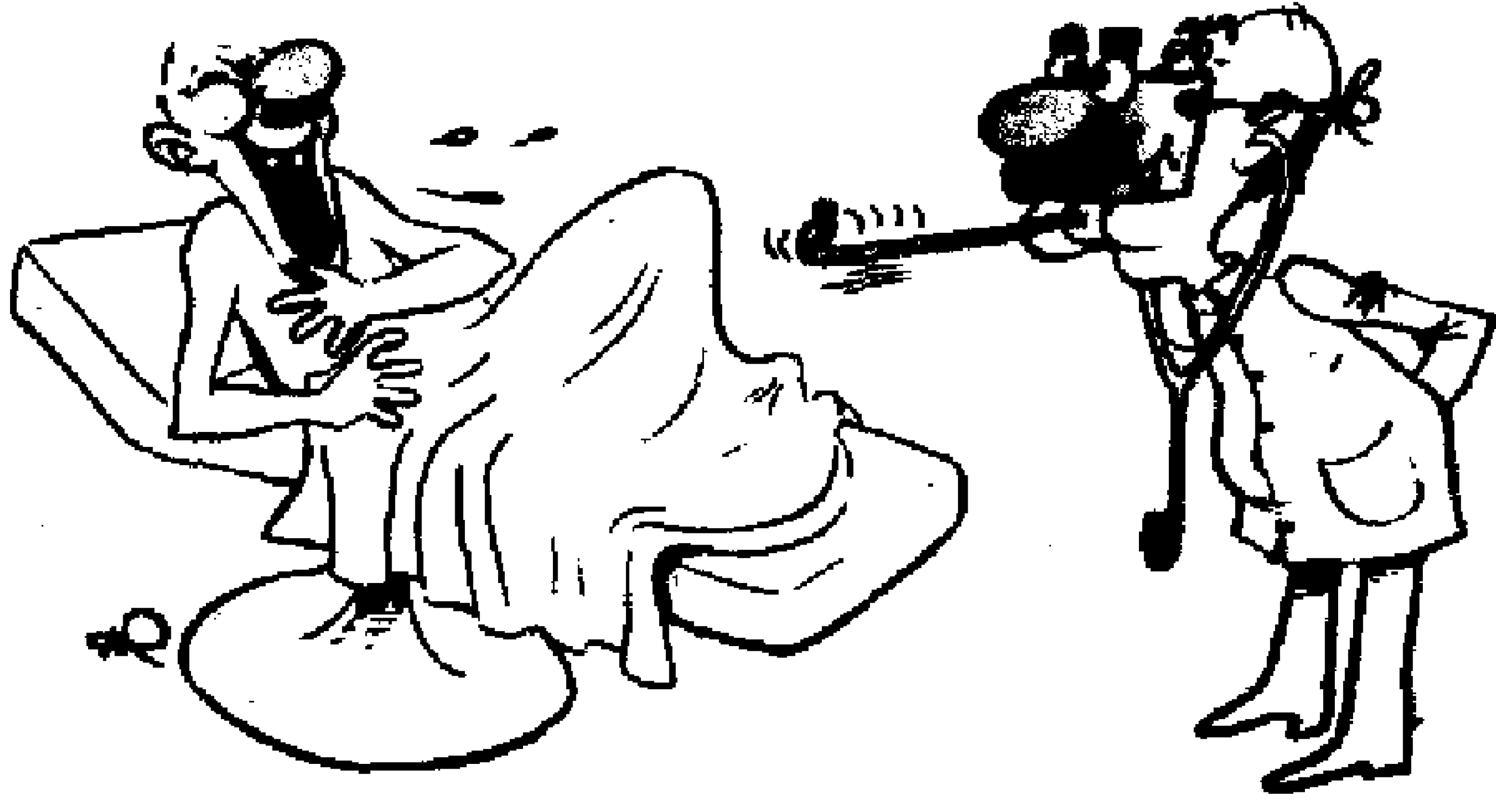
ردا على السؤال: "اي العناصر اكثر اهمية لتحقيق النجاح - المال ام العمل الدؤوب ام العقل؟"، اجاب فيكتور هيغو ببساطة: "عندما تقود دراجة من ثلاث عجلات، فأي عجلة هي الاهم؟".

(صحيفة "أسود وأبيض"، فرنسا)

أفضل عقاب

في فترة عودة الملكية الى فرنسا، حوّل بانتيون باريس (مدفن العظماء) الى كنيسة، وراج الحديث حول اخراج جثمان فولتير (وكان ملحدا) من هناك. لكن الملك لويس الثامن عشر امر بانفائه قائلا: "دعوه يقاسي من سماع القداس كل صباح".

الضحك خير دواء



المعطف والكنزة

كان طالبان جامعيان يتقاسمان غرفة في القسم الداخلي. ولما كان قياسهما واحدا، فغالبا ما ارتدى احدهما ملابس الآخر. وذات صباح غزير المطر، صحا احدهما متأخرا فوجد رفيقه يرتدي معطفه المطري. فسأله ساخطا:

– لماذا ترتدي معطفي المطري؟

وجاء الجواب: "هل ترضى بان تتبلل كنزتك؟"

د.ن.

امين صندوق

– علمت ان المصرف يبحث عن أمين للصندوق.

□ اظن انهم عينوا واحدا قبل شهر.

– بالضبط، وهم يبحثون عنه الان.

ك.ف.

من دون رصيد

كان الشاعر يتمتم متذمرا: "انه عالم جائر". فسأله صديق: "كيف؟" فأجاب الشاعر: "لو كتب صيرفي قصيدة سيئة، فان احدا لن يتساء منه، ولكن ويل للشاعر اذا كتب صكا سيئا!"

ونستون بندلتون

سرقة "اوكازيون"

كان صاحب المخزن الذي تعرض للسرقة قبل ليلة يحاور المفتش المكلف بالقضية، فقال التاجر:

– من حسن الحظ ان اللص لم يقتحم المخزن الا ليلة امس.

فسأله المفتش: "لماذا؟"

– لاني خفضت اسعار جميع السلع بنسبة ٤٠ في المئة صباح امس.

ج.ن.

قصد رجل طبيبا نفسانيا. فشخص هذا مرضه بانه "ادمان العمل". فاضطر المريض الى البحث عن عمل اضافي لتأمين اجور العلاج.

(مجلة "الازمنة المتغيرة")

ثقيل يعرف نفسه

في حفلة عشاء، اضطر الكاتب البريطاني الساخر برناردشو الى الاستماع الى حديث طويل ممل من مدعو اراد ابراز نفسه امامه. واخيرا عيل صبر شو، فقال لمحدثه: "الا تظن اننا نعرف كل ما تجب معرفته؟" فأجاب المحاور المتحذلق: "حقا".

عندئذ قال برنارد شو: "يبدو انك تعرف كل شيء عدا كونك ثقيل الظل" فرد المحاور: "هذا ايضا اعرفه".

(مجلة "العالم الضاحك")

مفتاح النجاح
التغلّب على التعب

النعب النفسي هو نوع من الانذار المبكر بأن هناك شيئا لا يبعث على الارتياح، فلا بد من معالجته، وانما عن غير طريق الاستراحة والسكون

ربما كان الاخفاق في اداء الواجب المنشود واحدا من اكبر اسباب الاجهاد العصبي في حياة الانسان. فليس هناك ما يوهن العزيمة اكثر من القصور عن النجاح والتخلف حيال جدار يسد الطريق ويحول دون التقدم فينتهي الامر بالدوران في حلقة مفرغة: الفشل يولد التعب والتعب يبعث على استصعاب العمل وبالتالي يفضي الى الاخفاق.

ويعاني المرء وطأة التعب في مجالين رئيسيين: تعب البداية، وتعب الاداء. ففي الحال الاولى، يستمر المرء في تأجيل الشروع في عمل هو ملزم على نحو ما بانجازه، وذلك اما بسبب طبيعة العمل المملة او بسبب صعوبته، فيميل الى التهرب منه. وكلما طالت مدة التأجيل كلما تزايد شعور المرء بالتعب.

تعب البداية - وتعب البداية تعب حقيقي بالفعل، وان لم يكن في الواقع تعبا بدنيا ينتاب العضلات ويرهق العظام. ولهذا النوع من التعب، تعب البداية، علاج جلي واضح، على رغم انه غير سهل التطبيق، عنيت به ممارسة الارادة. عندما اشعر بأنني اتأبى القيام فورا بعمل معين واحاول ان اتنصل منه فأدسه تحت كومة من الملفات الاخرى التي يتعين علي اداؤها، فسرعان ما ابادر الى اخلاء مكتبي من كل الملفات ما عدا ملف هذه المهمة بالذات وأتصدى لانجازها قبل سواها على الاطلاق. وان شئت ان تتجنب

"تعب البداية"، فعليك دائما بالتصدي اولا لاصعب المهمات.

ومنذ سنوات، حينما كنت اعد للنشر سلسلة "الروائع في عالم الغرب"، شرعت في كتابة مئة ومقالين يتناول كل منها الفكرة الكبرى التي ناقشها كل من مؤلفي تلك الكتب. وقد استغرقت مني كتابة هذه المقالات التي كنت اعنى بها الى جانب اعمالي الاخرى، عامين ونصف عام، طوال سبعة ايام في الاسبوع. ولو كنت سمحت لنفسي بان اتصدى اولا للافكار التي بدت لي سهلة بالنسبة الى غيرها لما كنت انتهيت ابدا من ذلك العمل، ولكنني التزمت بالقاعدة التي وضعتها لنفسي فصممت على ان اكتب المقالات بالترتيب الابجدي الصارم من دون ان اتخطى اي فكرة صعبة. وكنت ابدأ يومي دائما بالعمل الصعب الذي تمثله كتابة المقالات. وفي النهاية اثبتت الخبرة، مرة اخرى، ان هذه القاعدة مثمرة تماما.

... وتعب الأداء ـ اما تعب الاداء فهو امر تتطلب معالجته مزيدا من الصعوبة بحيث ان المرء، في هذه الحال، لا يتقاعس عن الشروع في العمل وانما يبدو قاصرا عن انجاز المهمة التي يقوم بها، لاسباب لا يمكنه التغلب عليها مهما بذل من الجهد، فينتابه الفشل تلو الفشل وتتراكم صدماته عليه ويتفاقم لديه، من جراء ذلك، عبء الشعور بالاجهاد العقلي. ففي مثل تلك الظروف، ينبغي بذل اقصى المستطاع من الجهد ثم ترك الامر في عهدة العقل الباطن.

عندما كنت اخطط للطبعة الخامسة عشرة من "دائرة المعارف البريطانية"، كان علي ان اضع قائمة محتويات موضوعية لمقالات الموسوعة وفقا للترتيب الابجدي، وبما انه لم يسبق لهذا العمل مثيل، ظللت اتطلع الى الحلول يوما بعد يوم ولكنها كانت تقصر كلها دون الهدف المنشود، فتراكم علي التعب الذهني حتى كاد ان يغلبني.

وذات يوم، وقد انهك عقلي، دونت على الورق امامي جميع الاسباب التي حالت دون حل هذه المشكلة واخذت اقنع نفسي بان ما يبدو غير قابل للحل هو "بالفعل" غير قابل للحل وان مصدر الحرج كامن في المشكلة ذاتها وليس في انا. وبعد ان انتهيت من ذلك الى مقدار من الاحساس بالارتياح اتخذت مقعدا مريحا واستغرقت في النوم.

وبعد ساعة تقريبا، استيقظت فجأة لاجد الحل واضحا في ذهني. وفي الاسابيع التي اعقبت ذلك كانت كل خطوة في تقدم العمل تحمل الي دليلا جديدا على صواب الحل الذي استنبطه عقلي الباطن. وعلى رغم ان مشقة هذا العمل لم تقل عن ذي قبل - ان لم تكن قد زادت - الا ان هذا العناء لم يصاحبه اي احساس بالسأم او الارهاق وغدا النجاح الآن حافزا لي ومشجعا، بمقدار ما كان الفشل باعثا على التخاذل والوهن. واحسست بتلك البهجة الناشئة عما يطلق عليه علماء النفس اسم "التدفق". وقلما تمتعنا الحياة بمثل مصادر السرور التي تأتينا بها الممارسة الناجحة لقدراتنا وتبعث فينا الحيوية والنشاط فتطلق

في نفوسنا طاقات ضخمة لمواصلة العمل.

وقد لا يكمن الشرك احيانا في المشكلة نفسها وانما في الظرف الاجتماعي بالذات، او هكذا يبدو الامر، وكأن الآخرين يقفون على نحو ما حجر عثرة بيننا وبين النجاح. ولقد قال شكسبير: "ليست النقيصة، يا عزيزي بروتوس، في طالعنا وانما هي فينا نحن". ولماذا ننحي باللائمة على الآخرين ونتهرب من مسؤوليتنا نحن في سوء الفهم؟ ان النجاح في اداء مهمة ما معناه القيام بكل ما يستلزمه هذا النجاح، بما في ذلك كسب تعاون الآخرين.

العائق الشخصي – وكثيرا ما يكون العائق الذي نصطدم به عائقا شخصيا محضا. فنحن نترك انفسنا نهبا لبواعث التشتت الانسانية ونتيح للمشكلات الشخصية ان تثقل كواهلنا بما يؤدي بنا الى "التعب الفاشل" الذي يصد امامنا سبل الانتاج في كل مه

بـ

مـ

سـ

على ارتباد...

على سرها بعد ان انتزعت منها وعدا بكتمان الامر. واستمرت المشكلة تقلق الام وتفرض عليها عبء الشعور بالذنب لكتمانها السر فانهكت قواها وانعكس ارهاقها النفسي على عملها فتحول نجاحها فيه الى فشل متكرر. ولم ينقذها من الانهيار العصبي الخطير الا بعض الاشخاص الذين تطوعوا لابلاغ الاب فلم يتخذ الموقف

السلبي المنتظر منه. وقد يصعب التسليم بان يسمح المرء لنفسه بان يصبح عرضة للانسياق على هذا الشكل لكن الامور تستفحل ولا شك اذا تلكأنا عن مواجهتها بحزم فور ظهورها.

ان أول خطوة ينبغي ان نخطوها هي ان نتخذ من التعب الذي يتعذر تعليله ولا يعود امره الى سبب بدني نذيرا يحملنا على رد هذا التعب الى مصدره الحقيقي، فنجد في البحث عن الهزيمة التي نحاول سترها ولا نبغي الاعتراف بها. وعلينا بعد ذلك ان نشخص سبب هذا الفشل. وقد نجد في بعض الحالات النادرة ان المهمة في حقيقة الامر صعبة التحقيق وانها تتجاوز طاقتنا. فاذا كانت الامور كذلك، فما علينا الا ان نسلم بحقيقة الوضع ونعتذر عن المضي فيه. وقد تكون العقبة كامنة في تأبينا مواجهة المشكلة، وهنا يكون الحل في معظم الحالات توجيه اهتمامنا بصبر ومثابرة الى العمل المطروح ومعالجته

تحاصر نفسك، على غرار الساحر هوديني حين يضع نفسه داخل صندوق محكم، بحيث لا يبدو امامك اي منفذ ممكن، وانك في هذا الوضع فقط سيمكنك الخروج من الحصار، اسوة ايضا بهوديني. واذا ما ساورتك المشاكل المستعصية، توقف بعض الوقت عن التفكير الواعي فيها،

وافسح المجال لعقلك الباطن كي يعينك على حلها، فانه لن يخذلك في تسع حالات من عشر ويوحي اليك بايجاد الحل.

واما الخطأ الاكبر فهو ان نعتبر التعب العقلي وكأنه تعب بدني. ففي حال التعب البدني، نستطيع ان نبرأ منه بان نتيح لاجسامنا فرصة الراحة، لكن التعب العقلي الناتج عن الفشل فلا يمكن التخلص منه بالاستسلام له واللجوء الى الراحة لان ذلك يزيد المشكلة تعقيدا. وايا تكن العقبة النوعية التي تعترض الطريق، فلا بد من ازالتها، وبسرعة، قبل ان يكتسحنا تعب الفشل.

وأنني اعتقد انه لا بد للانسان من ان يحاول احراز النجاح باعتبار ان هذا السعي امر ضروري يستدعيه تكويننا الاحيائي. ويكفي القول ان النجاح، من دون ان اتعرض هنا لتحديد فحواه، مرتبط بممارستنا المستمرة الرفيعة لقدراتنا، وبأداء المهمات وحل المشكلات فور ظهورها. فالنجاح هو مصدر تلك النشوة والبهجة و"التدفق" التي يجنيها الانسان من ممارسته الطليقة لطاقاته. بل ان النجاح في اختصار، يكمن في التفوق على التعب.

■ مورتيمور آدلر

مورتيمور آدلر هو، كما يذكر في سيرته الذاتية، "فيلسوف متجول". وهو مدير معهد البحوث الفلسفية، في مدينة شيكاغو في ولاية الينوي الامريكية، كما يرئس مجلس تحرير "دائرة المعارف البريطانية". وهو الف ٤٨ كتابا، من بينها "ذخيرة الفكر الغربي" و"ارسطو في متناول الجميع".



لغة الشعر

للشعر لغة بليغة. فلو زينت ذقنك بلحية، فكأنك تريد القول: "اي مثقف أنا!" ولو اسدلت خصلات شعرك الى الكتفين، فكأنك تمنح نفسك شهادة ثائر. ولكن أتعلم من كان اول المسدلين شعورهم؟ انه رجل قديم حقا، "كان شعره مفروقا عند الوسط، وقد انسدلت خصل كثيفة منه الى أسفل من دون ان تنزل تحت مستوى الكتف". انه ابونا آدم الذي نسق شعره على هذا النحو الذي وصفه لنا الشاعر الانكليزي جون ملتون في كتابه "الفردوس المفقود". وبعبارة اخرى، لم ينقص ادم سوى قيثارة وجمهور لكي يكون اول المتمردين.

جيمس دو كوكيه (جريدة "الفيغارو"، باريس)

مدينة النور

اجرى الدكتور رايموند مودي، منذ صدور كتابه الرائج "حياة بعد الحياة"، مقابلات مع العديد من اولئك الذين "ماتوا" ثم عادوا الى عالم الاحياء. واعتبر الاطباء بعض هؤلاء، كما ذكر مودي في دراسة سابقة، موتى من الوجهة العيادية. كما ان قسما آخر منهم كان على وشك الموت اثر تعرضه لاصابة او حادث خطر. وظهرت من جديد، خلال المقابلات هذه، الظواهر عينها التي رافقت رؤى هؤلاء والتي نوقشت سابقا في الكتاب المذكور. كما وقع مودي على تجارب أخرى خارقة ذكرها في كتابه الجديد "تأملات في الحياة الاخرة" الذي نقتطف منه هذا المقال.

على سرير في أحد المستشفيات رجل يلفظ انفاسه الاخيرة. وبينما تتصاعد حشرجات الموت من اعماقه، يتناهى الى مسمعه صوت طبيبه مخبرا آله وذويه بوفاته. ويطرق اذنيه رنين وازيز صاخبان، ويحس في اللحظة عينها بانه يتحرك بسرعة عبر نفق طويل مظلم. وفجأة يشعر بانه غادر جسده الهيولي الذي يراه عن بعد كما لو كان جسد انسان آخر. ويرى، من مكانه المتقدم هذا، محاولة احيائه وبعثه. ويلاحظ انه لا يزال يملك جسدا ذا طبيعة وقوى تتغاير تماما عن جسده المادي الذي انفصل عنه منذ لحظات.

وبعد هنيهة يقع بصره على جمع من الارواح يتجه نحوه للقياه ومد يد العون اليه. ويتراءى له بينها ارواح اصدقاء واحباء غيبهم الردى قبله.

وعلى حين غرة، تظهر امامه روح حنونة متألقة بالضياء، تطرح عليه سؤالا، طالبة منه ان يقيم حياته. وتساعده على هذا الامر بعرضها امامه، خلال وقت قصير، الاحداث المهمة التي طبعت حياته.

وفي نهاية المطاف يجد نفسه مقتربا على مهل من حاجز يمثل، كما يبدو، الحد الفاصل بين الحياة الدنيا والحياة الاخرة. ويرى، على رغم هذا، ان لا مفر من العودة الى عالم الارض وان ساعة وفاته لم تحن بعد. ولكنه يقاوم هذه الفكرة ويود لو يبقى في الاخرة مفضلا اياها على الدنيا. وتغمره مشاعر جامحة من الحب والفرح والسلام، ولكنه يعود ويلاقي جسده المادي الاول، ويتحد معه ليبعث حيا من جديد.

يجسد وصفنا هذا العناصر

المشتركة لتجربة نموذجية عاشها انسان واجه الموت عن كثب، وهي تجربة ذكرتها اصلا في كتابي "حياة بعد الحياة". بيد اني وقعت، منذ انتهائي من خط هذا الكتاب، على ظواهر جديدة متعددة اقتصر حدوثها كلها على اناس واجهوا الموت عن كثب لفترة من الزمن.

وروى لي كثيرون انهم لاحظوا، خلال لقائهم العابر مع الموت، حياة اخرى بدت فيها كل اشكال المعرفة، الماضية منها والحاضرة والمقبلة، متعايشة تعايشا ابديا. وقارن بعضهم هذه التجربة بومضات من البصيرة الشاملة او بمجمل المعلومات التي يمكننا الحصول عليها من الجامعات والمعاهد والمكتبات. واتفقوا جميعا على ان هذا الشعور بالمعرفة التامة غاب واضمحل فور رجوعهم الى الارض، ولم يبق في ذاكرتهم شيء منه.

وفي ما يأتي نص حوار اجريته مع احدى النسوة اللواتي عاين الموت:

- ذكرت سابقا انك شعرت، على ما يبدو، بالمعرفة تغمر كيانك. ارجو ايضاح هذا الامر واعطائي بعض التفاصيل.

□ بدا لي، بعدما شاهدت حياتي تعبر من امام ناظري، اني امتلكت المعرفة، وخيل الي، لهنيهة واحدة - اني افقه اسرار العصور والمعنى المطلق للعالم والنجوم والاشياء كلها.

- كيف عرضت عليك هذه المعرفة؟

□ عرضت بجميع اشكال الاتصال وانماطه: بالنظر والسمع والفكر. وبدا لي اني امتلكت اسرار العالم برمته واسرار العلوم والفنون باسرها.

وفي مقابلة اخرى قال لي شاب يافع:

"شعرت بوجودي في مدرسة لم يكن فيها اي انسان، ولكن مع ذلك كان هناك جمع غفير. فلو نظرت حولك لما رأيت احدا قط، لكنك لو انعمت النظر لاحسست بوجود كائنات تحيط بك من كل صوب".

وقلت للشاب: "لقد اخبرني رجل آخر انه دخل الى ما دعاه مكتبات وجامعات. فهل تشبه هذه الرؤى تلك التي تحاول اخباري عنها؟" فأجاب:

- بالضبط. ان سماعي قصة هذا الرجل يدفعني الى القول باني اعلم حقا ما يعنيه، وانه مر بالتجربة عينها التي مررت بها. لكنني ساستخدم كلمات مغايرة لكلماته لانها ليست من نوع الكلام الذي نعرفه. والمكان الذي رأيته هو المعرفة في ذاتها. ويكفي ان تركز ذهنك على ركن واحد من تلك المدرسة لكي ينبجس ينبوع المعرفة حولك تلقائيا.

مكان رائع - ذكرت في كتابي "حياة بعد الحياة" اني لم اسمع من احد وصفا للسماء كالوصف التقليدي الذي نعرفه. بيد اني تبادلت اطراف الحديث مع العديد من الاشخاص الذين تحدثوا بترابط منطقي عن رؤيتهم لعوالم أخرى، في امكاننا تسميتها عوالم سماوية. كما لفت نظري، في روايات عدة سردت امامي، ورود عبارة "مدينة النور" لوصف هذه العوالم.

واخبرني رجل اربعيني تعرض لذبحة قلبية:

- أني اتذكر كل شيء بوضوح تام. لقد شعرت فجأة بخدر يسري في

اوصالي. وفيما اخذت ملامح الاشياء تختفي من امامي، تناهى الى سمعي صوت يعجز اللسان عن وصفه. كان صوتا شبيها بقرع سريع للطبول او بخرير الماء المنساب بسرعة هائلة عبر مضيق. وبدا لي بعد برهة اني احلق في الاعالي. وكان الظلام حالكا في هذا المكان الشبيه بالنفق. ثم ظهر ذاك النور الساطع الذي اخذ يتعاظم. وخيل الي اني اخترق اشعته الدافئة. وفجأة شعرت باني في مكان آخر. واحسست بان هناك نورا ذهبيا يشع في كل مكان. يا الهي ما كان اجمل هذا المنظر! وبعد قليل طرقت اذني انغام موسيقية وخيل الي اني احيا في احد الارياف محاطا بالجداول والاشجار والاعشاب السندسية والجبال الشاهقة. لكن وجود اناس هناك، بلا شكل ولا جسد، كان اعجب الامور واغربها بالنسبة الي.

ووصفت امرأة هذا المنظر بقولها:

- بعدما طفت محلقة، عبرت هذا النفق المظلم واصطدمت بالنور الساطع المشع خارجه. وأحسست بوجودي مع جدي ووالدي واخي الذين ماتوا منذ سنين طويلة. وكانت الانوار الساطعة تحيط بنا. لله ما كان اجمل هذا المكان وأروعه! الالوان زاهية وفتانة وبعيدة كل البعد عن الانوار التي نراها في عالمنا الارضي. ولمحت اناسا هناك، اناسا سعداء، وكان بعضهم يتعلم. وتراءى لي في البعيد مدينة تنتصب في وسطها مبان لامعة براقة. ولمحت على مقربة منها مياها متلألئة وينابيع. واعتقد ان أفضل اسم نطلقه على هذه المدينة هو "مدينة النور".

أرواح مقيدة - لقد ذكر اناس عديدون انهم لمحوا كائنات، غير تلك الكائنات، تعيش حياة تعيسة جدا. ويتفق اولئك الذين يصفونها على بضع نقاط، اولها ملاحظتهم عجز تلك الكائنات عن التخلي عن تعلقها بالعالم المادي، وثانيها كون وعيها محدودا بالمقارنة مع وعي الاخرين، وثالثها الاعتقاد ببقائها في مكانها هذا الى ان تجد المشكلة التي وضعتها في تلك الحالة طريقها الى الحل.

وهذه النقاط تتردد في مقابلة اجريتها مع امرأة ظن الاطباء، لخمس عشرة دقيقة، انها انتقلت الى العالم الآخر:

- ذكرت سابقا انك رأيت هذه الارواح التي بدت عليها امارات التشوش التام والقلق. فهل لك ان تعطي تفاصيل أكثر عنها؟

☐ لست اعلم بالضبط ما اذا كان بصري وقع عليها. لكني، خلال تجوالي، رأيت هذه المنطقة التعسة المختلفة عن المنطقة التي يعمها النور. وكان الناس في تلك المنطقة التعسة اكثر شبها بالانسان. وخيل الي انهم يسيرون بخطى متثاقلة، كما بدت على سيمائهم دلائل الارهاق والخمول والكآبة.

- هل بدا انهم على وعي بالعالم المادي؟

☐ ربما كانوا على اتصال بالعالم المادي. فقد لاحظت انهم ينظرون الى اسفل - ربما الى عالمنا المادي او الى سلوك ما كان عليهم فعله او عدم فعله هناك.

جحيم أشد هولا - في بحثه لكتابي "حياة بعد الحياة"، قال احد الكتاب:

"لا شك في ان المقطع الذي يدور حول انماط الحياة الاخرة سيثير جدلا بين الطوائف الدينية على اختلاف معتقداتها. فان معظم الذين جرت مقابلتهم لم يمروا امام القديس بطرس او سواه لامتحانهم من ناحية الثواب والعقاب قبل السماح لهم بالمرور الى الحياة الآخرة، كما هي الحال وفقا للعقائد الدينية التقليدية".

وقد اثار كثيرون هذه النقطة بالذات، بحيث بات ملائما ان ندرس هذا الوجه من وجوه تجارب لقاء الموت عن كثب الذي يشبه مفهوم الدينونة في المعتقدات التقليدية. وفي مرات متكررة اتى اولئك الذين مروا بهذه التجارب على وصف رؤيتهم لمشهد شامل، ملون ثلاثي الابعاد للاحداث التي مرت في حياتهم. وذكر مرارا ان هذه الرؤية تمت في حضور "كائن نوراني" رأى فيه بعض المسيحيين المسيح عينه. وقالوا انه وجه اليهم سؤالا حول ما فعلوه في حياتهم.

اذا، يمكننا القول ان محاكمة من نوع ما قدجرت لهؤلاء، لأنهم احسوا باسى عميق عندما رأوا التصرفات الانانية التي قاموا بها في حياتهم الماضية. كما غمرهم شعور جامح بالرضى عند رؤيتهم تلك التصرفات التي اظهروا فيها محبة وعطفا تجاه الآخرين. وعلق احدهم: "لقد اجتاحتني رغبة جامحة، لدى عودتي الى عالم الارض، لفعل شيء ما من اجل الآخرين. لقد احسست بخجل عميق من جراء التصرفات التي فعلتها والتي لم افعلها في حياتي".

وعلى رغم ان احدا من الذين قابلتهم لم يصف الجحيم التقليدي، الا انه بدت عليهم امارات الطيبة والعقلانية وبعدهم كل البعد عن اولئك الذين يستحقون نار جهنم وعذابها.

لكن يبقى سؤال يطرح ذاته: ترى ما سيحدث لاناس ارتكبوا افظع الجرائم واشنعها، خصوصا اذا رأوا، عند مواجهتهم الموت، تصرفاتهم الانانية ونتائجها على الآخرين. ويخيل الي ان الذين دبروا الحروب والفظائع وخططوا لها اناس انعدم الحب من اعماقهم الى حد رغبوا معه في القضاء على ملايين الابرياء. وخلاصة القول ان انعدام الحب ادى الى مآس شخصية لا تحصى، والى انفصال الابناء عن ذويهم والازواج عن زوجاتهم والخلان عن خلانهم. وليس في وسعي، حتى ولو جمح بي الخيال، تصور جهنم افظع واشد هولا من تلك التي ستكوي نارها اولئك الذين استهتروا بحياة الابرياء.

■ رايموند مودي

مفلس مدمن

- هل تذكر ما حدث في العام الماضي عندما قلت لك أني مفلس تماما فساعدتني، وقلت لك آنئذ اني لن انسى لك صنيعك؟

- نعم اذكر جيدا.

- حسنا، هأنذا مفلس تماما مرة اخرى!

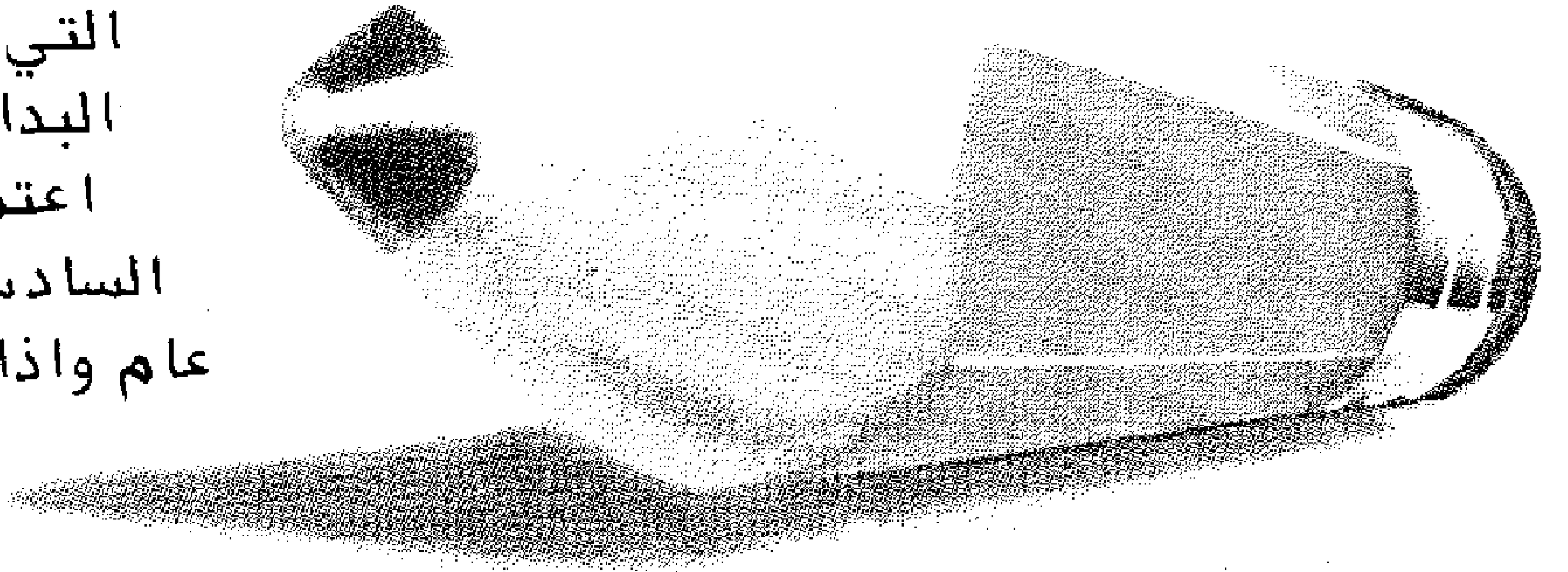
ا.س.

بالقلم يبدأ كلّ شيء

للقلم قصة طريفة جديرة باهتمام القارىء. فلكم يستخف المرء بهذه الاداة الصغرى مع انها كثيرا ما تكون من اخطر الوسائل التي ابتدعها الانسان للتعبير عن نفسه

هذا القلم العجيب الذي نستخدمه لحل المسائل الحسابية، وتدوين قوائم التسويق والاسعار وتسجيل الرسائل التلفونية، اولمجرد "الخربشة"، والذي نتناوله اختلاسا في بعض الاحيان عن مكاتب الاخرين او نستعين به في مزج المشروبات او دعم النباتات او في ترويج الدعايات التجارية والشعارات السياسية، كثيرا ما يكون جزاؤه منا قلة الاكتراث فنفقده من دون مبالاة او ننبذه او نرميه او نبريه حتى التلاشي.

كان القدماء واقصد بهم القلة التي تمكنت من اجادة اشكال الكتابة في حضاراتها، يستعملون الفراشي الصغيرة الرائعة او اقلام القصب التي يغمسونها في المحابر البدائية، او ريش الاوز التي اعتمدتها اوروبا خلال القرن السادس. وتوارى الزمن الف عام واذا بعاصفة عنيفة تهب في سنة ١٥٦٤ وتقتلع شجرة ضخمة قرب بلدة "بوروديل" في كنبرلاند في انكلترا، فتبرز من بين جذورها الضخمة كتلة سوداء معدنية الشكل، كانت عرقا رئيسيا من الغرافيت او "الرصاص الاسود". ولم يكن ذلك العرق سوى صنف من اصفى انواع الغرافيت التي اكتشفت في بريطانيا.



وعمد الرعاة في المنطقة الى استخدام قطع من هذه المادة لوسم خرافهم. ولم يطل الامر حتى فطن النجباء من اهل المدينة الى تقطيع المادة قضبانا رفيعة والتجول بها في شوارع لندن وبيعها بالمناداة عليها باسم "الاحجار الواسمة"، حيث اخذ

التجار يشترونها ويستخدمونها في وسم اقفاص الشحن والسلال التي يصدرونها. ثم استولى الملك جورج الثاني، في القرن الثامن عشر، على منجم بوروديل واحتكر استغلاله لمصلحة المملكة باعتبار ان الغرافيت كان مادة لا غنى عنها في دقة صنع القذائف المستديرة للمدافع. وقد بلغت حماسة المملكة لحماية مصالحها في هذا الصدد ان البرلمان فرض عقوبة الاعدام على كل من تسول له نفسه اختلاس الغرافيت من هذا المنجم او من المناجم الهامشية المتفرعة عنه في المنطقة. وكان العمل في المنجم يقتصر على بضعة اشهر كل عام حرصا على قلة المعروض من الغرافيت وارتفاع الاسعار، كما كان العمال يخضعون للتفتيش قبل مغادرتهم موقع المنجم.

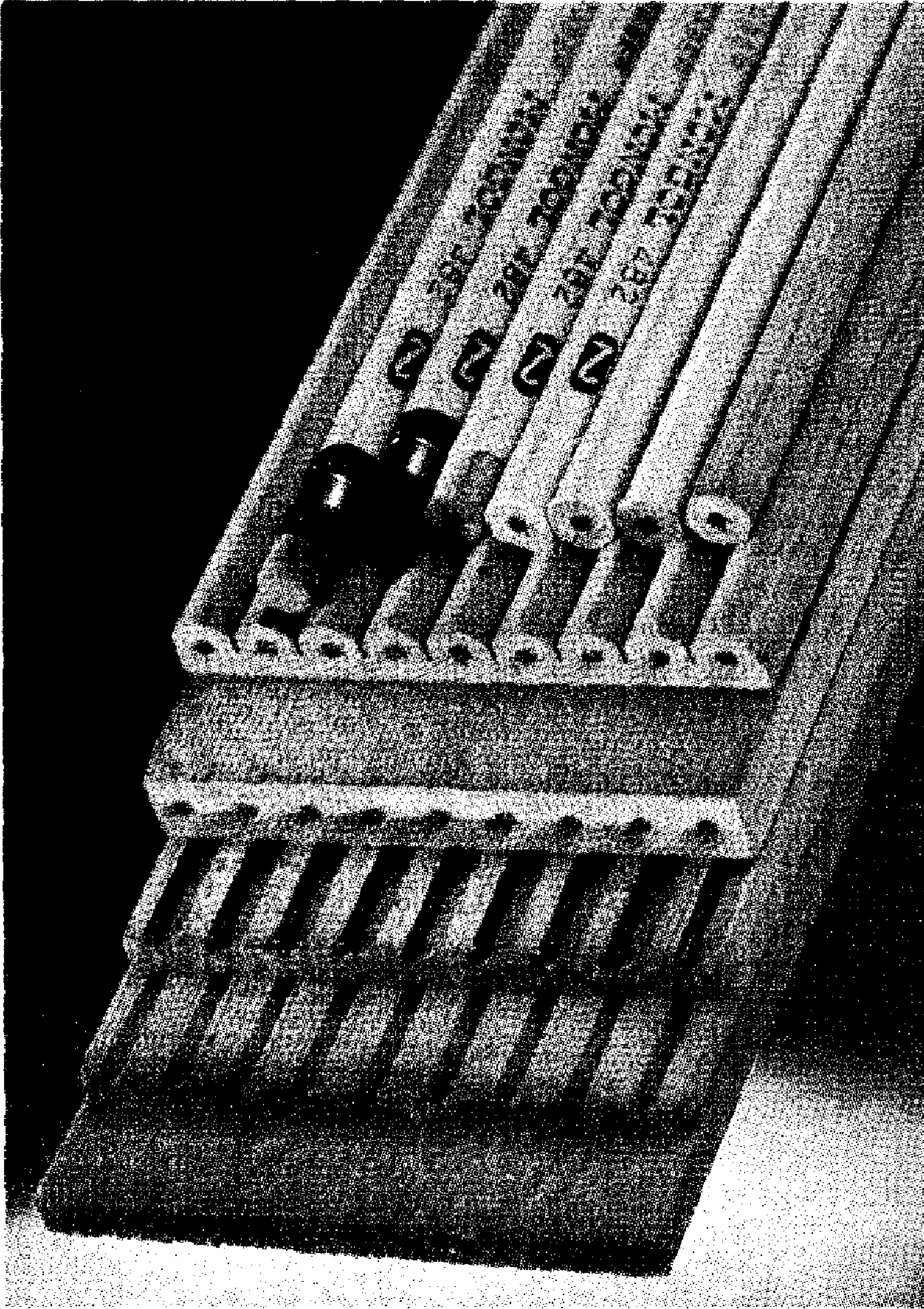
القضبان الاولى – وكانت القضبان الغرافيتية الواسمة الاولى تشكو من نقصين بارزين: تلويث اليدين وسهولة الكسر. واقدم احد النابغين المجهولين على حل مشكلة التلويث بان لف خيطا حول القضيب بكامله مع فض هذا الخيط بالتدريج تبعا لتآكل الغرافيت. واما سرعة الانكسار، فقد عني بحل مشكلتها في عام ١٧٦١ رجل اسمه كاسبار فابر يعمل صانعا حرفيا في بافاريا (المانيا) ويتعاطى الكيمياء في بعض الاحيان الى جانب مهنته. فقد خلط فابر الغرافيت المسحوق بالكبريت والانتيمون وبعض الراتينغات الصمغية، وصنع من هذا الخليط المعجون نوعا من القضبان تبين انها اكثر تماسكا بكثير من الغرافيت الصرف. وبذلك اصبحت الحاجة مقصورة على ايجاد غلاف مناسب لمادة القلم التي يطلق عليها اسم "الرصاص" (والواقع ان الاقلام لا تحتوي على اي مقدار من الرصاص الحقيقي. والمعروف عن الرومان انهم كانوا يصنعونها من هذا المعدن الذي يترك وراءه اثرا اسود، فترسم خطوطا تحتذيها كتابتهم، الا انه كان دائما اندر من ان يتوافر بكميات تصلح لهذا الفرض، كما ان تصفيته كانت صعبة التحقيق، فضلا عن ارتفاع كلفته بما يتعذر استخدامه اداة للكتابة).

وفي عام ١٧٩٠، لم يرق نابليون بونابرت ان تسفر الحرب التي شنها لاجتياح اوروبا عن حرمانه احدى ادواته المفضلة المستوردة من المانيا وانكلترا، وهي اقلام الغرافيت. والواقع ان هذه الاقلام كانت قد اصبحت عزيزة لدى البيروقراطية الفرنسية، وآلة الحرب النابليونية بالذات. فصدرت الاوامر الى نيقولا جاك كونتي، احد كبار الكيميائيين والمخترعين الفرنسيين، بان يستولي على كل ما يمكنه الاهتداء اليه في البلاد من الغرافيت وان يشرع في انتاج الاقلام. وقد احرز كونتي نجاحا باهرا في هذا المسعى، سواء اكان حافزه الخوف من الفشل او الامل في المكافأة الضخمة.

وبالنظر الى قلة الكميات التي وجدها كونتي في فرنسا، والى رداءة صنفها، فهو عمد الى مدها بالصلصال وخبز المزيج في اتون فخرج من ذلك بقضبان على درجة من التماسك تفوق التصور وبمادة تصنع منها افضل القضبان الراسمة في العالم والتي يمكنها الصمود للاستعمال بدرجة

معقولة. وفضلا عن ذلك فقد توصل كونتي بفضل تحكمه بكمية الصلصال الممزوجة مع الغرافيت الى انتاج اقلام مراوحة الدرجات بين اللين والصلب، ومراوحة الالوان بين الاسود الفاتح والاسود الداكن.

ثم نشبت الحرب عام ١٨١٢ بين انكلترا والولايات المتحدة، فحرمت الامريكيين الاقلام التي كانوا يستوردونها من بريطانيا. وفشلت جميع المحاولات والمواد التي مزجت مع الغرافيت الامريكي الرديء الصنف في انتاج قضبان تظل متماسكة داخل الاغلفة الخشبية الخشنة المستخدمة آنذاك.



مراحل صنع الاقلام الرصاص:
من اسفل: ١ - شريحة خشب الارز. - ٢ - الشريحة المحفورة. ٣ - الشريحة المرصصة. ٤ - غلافا المادة الرصاصية. ٥ - الشحن والفرز. ٦ - من اليمين: الصقل والتنعيم، طلاء الخشب، الدمغ، شذب اطراف الممحاة.

رجل الساعة وتصدى لمعالجة المشكلة رجل اسمه ويليم مونرو من بلدة كونكورد في ولاية ماساتشوستس الامريكية، يعمل نجار موبيليا وحرفيا سمكريا، ولم يلبث ان اصبح رجل الساعة. فقد صنع في ورشته آلة تنتج قضبانا خشبية موحدة الشكل والحجم، ضيقة، يراوح طول الواحد منها بين ١٥ و ١٨ سنتيمترا وفي داخله مجرى ناعم دقيق يمتد بطوله كله وبعمق يعادل بالضبط نصف سمك اسطوانة دقيقة من المزيج الغرافيتي. ووضع مونرو اسطوانة الغرافيت في مجرى قضيب خشبي ثم الصق فوقها بالغراء قضيبا آخر فاصبح القضيبان الخشبيان يحتضنان

بينهما باحكام اصبع الغرافيت. وهكذا ولد القلم الرصاص الحديث! ونظرا الى رخص ثمنه وسهولة استخدامه ونقله، فقد انتشر القلم الجديد بسرعة البرق بين جموع الكتبة والصناع والمديرين المتحدرين من الثورة الصناعية، وتقهقرت ريشة الاوزة والحبر الى مكان ثانوي.

والقلم الرصاص الذي بين ايدينا اليوم، بطوله البالغ ١٨ سنتيمترا يكفي لرسم خط طوله ٥٥ كيلومترا، ولكتابة ٥٠٠٠٠ كلمة عربية، كما انه يتحمل البري ١٧ مرة حتى يصبح طوله خمسة سنتيمترات. وهو يحمل عادة في طرفه حلقة معدنية نحاسية اللون تضم ممحاة من المطاط الممزوج بالخفاف (★). الاصفر لون الحلقة المعدنية. فقد جرب المنتجون الوانا اخرى في هذا الصدد، مثل الاخضر والاسود والازرق، لكنها لم تجد لدى المشترين رواجا.

وذات مرة قام احد صانعي الاقلام بتجربة عملية، فامد احدى المنشآت التي تستخدم كميات كبيرة من الاقلام الرصاص بـ٥٠٠ قلم صفراء اللون و٥٠٠ قلم اخرى خضراء. ولم تمض اسابيع قليلة حتى تكاثرت الشكاوى من الاقلام الخضراء: فاسنانها تنكسر بسهولة، وهي صعبة البري وتحدث خدوشا في الورق او بقعا الخ... بيد ان تلك الاقلام كانت مطابقة تماما لنظائرها الصفراء ولا تختلف عنها الا في اللون وحده.

٣٠٠ نوع و٤٠ مادة – ويشتمل القلم الرصاص الحديث على ٤٠ مادة مختلفة. وترد افضل انواع الغرافيت من سري لانكا ومدغشقر والمكسيك كما ترد افضل انواع الصلصال من المانيا. واما المطاط الذي تصنع منه الممحاة فيأتي من ماليزيا، والشمع من البرازيل. وهناك نوع من الحصى بحجم البيضة من حجر الصوان الذي يستخدم في اجهزة مزج الغرافيت والصلصال يأتي من بلجيكا والدنمارك.

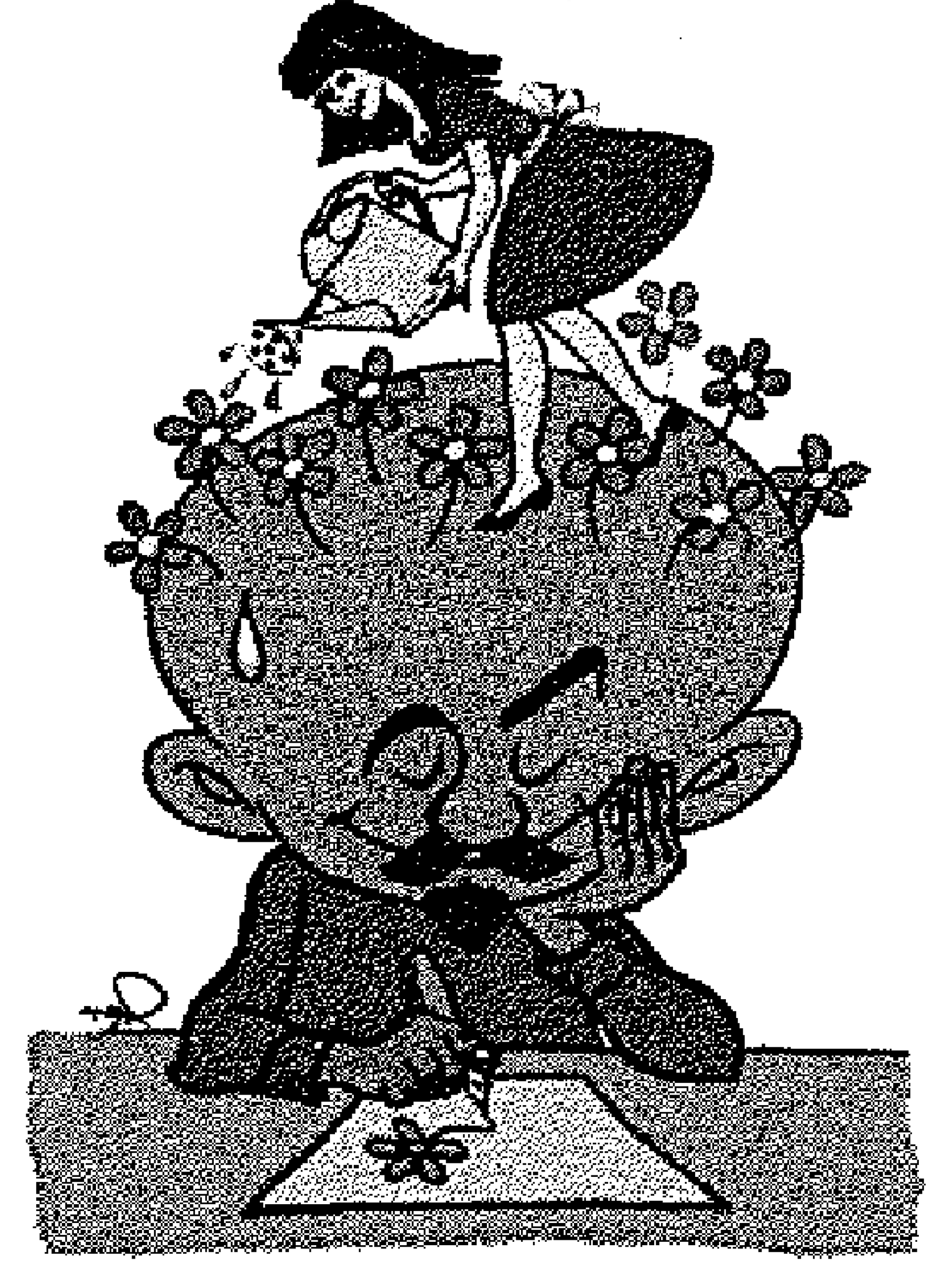
ويرد معظم كميات الخشب المستخدم في صنع اغلفة الاقلام من اشجار الارز في السييرا العليا في كاليفورنيا التي تعمر زهاء مئتي سنة وتتميز باستقامة تعرقها وانتظام نسيجها ولينه النسبي مما يجعل خشبها نموذجيا لا في عمليات القطع الدقيق فحسب وانما ايضا في عمليات التلوين والتشميع والبري. ويقطع الخشب كتلا متربعة عرضها ٧٥ مليمترا وسمكها ٧٥ مليمترا ويجفف، ثم يعاد قطع هذه الكتل شرائح سمك كل منها خمسة مليمترات (نصف سمك القلم) وعرضها ٧٠ مليمترا وطولها ١٨٥ مليمترا. وتصبغ هذه الشرائح وتلمع بالشمع.

وعلى هذا النحو يتم انتاج ٣٠٠ نوع مختلف من الاقلام، من بينها نوع يستخدمه الجراحون لرسم مجال عملياتهم الجراحية فوق جلد المرضى. ولقد قال احدهم ذات مرة: "كل شيء يبدأ باستخدام القلم الرصاص، سواء اكان ذلك في تصميم الازياء الجديدة او البوارج الحربية او قفافيز المبارزة او بيانات النظريات النووية".

والحق ان هذا القلم الرصاص العادي الشائع ربما كان هو أخطر ادوات الافصاح عن الفكر في تاريخ البشرية واقلها حظوة بالتقدير والاهتمام مع ما له من الفعالية التي لا تفوقها سوى فعالية العقل البشري.

■ **جيروم بروند فيلد**

(★) زجاج بركاني خفيف يستعمل في الصقل.



حديقة افكار

■ من لا يعتقد ان لكل حجة جانبين ، لا بد من أن يكون في واحد منهما .

س.ب.

■ الفطنة تدهش، والدعابة تنير .

ي.س.

■ الفيلسوف هو من يقدم النصح للآخرين حول مشاكل لم يمر بها .

و.ر.

■ من أكبر مثالب السرعة انها تستغرق وقتا طويلا للغاية .

ج.ك. تشيسترتون

■ المصادفة معجزة صغيرة اختار الله فيها البقاء في الظل .

هـ.ك.

■ اختر كاتبك كما تختار صديقك .

و.د.

■ كثير من التصرفات يكسب الود، وتصرف واحد يصنعه .

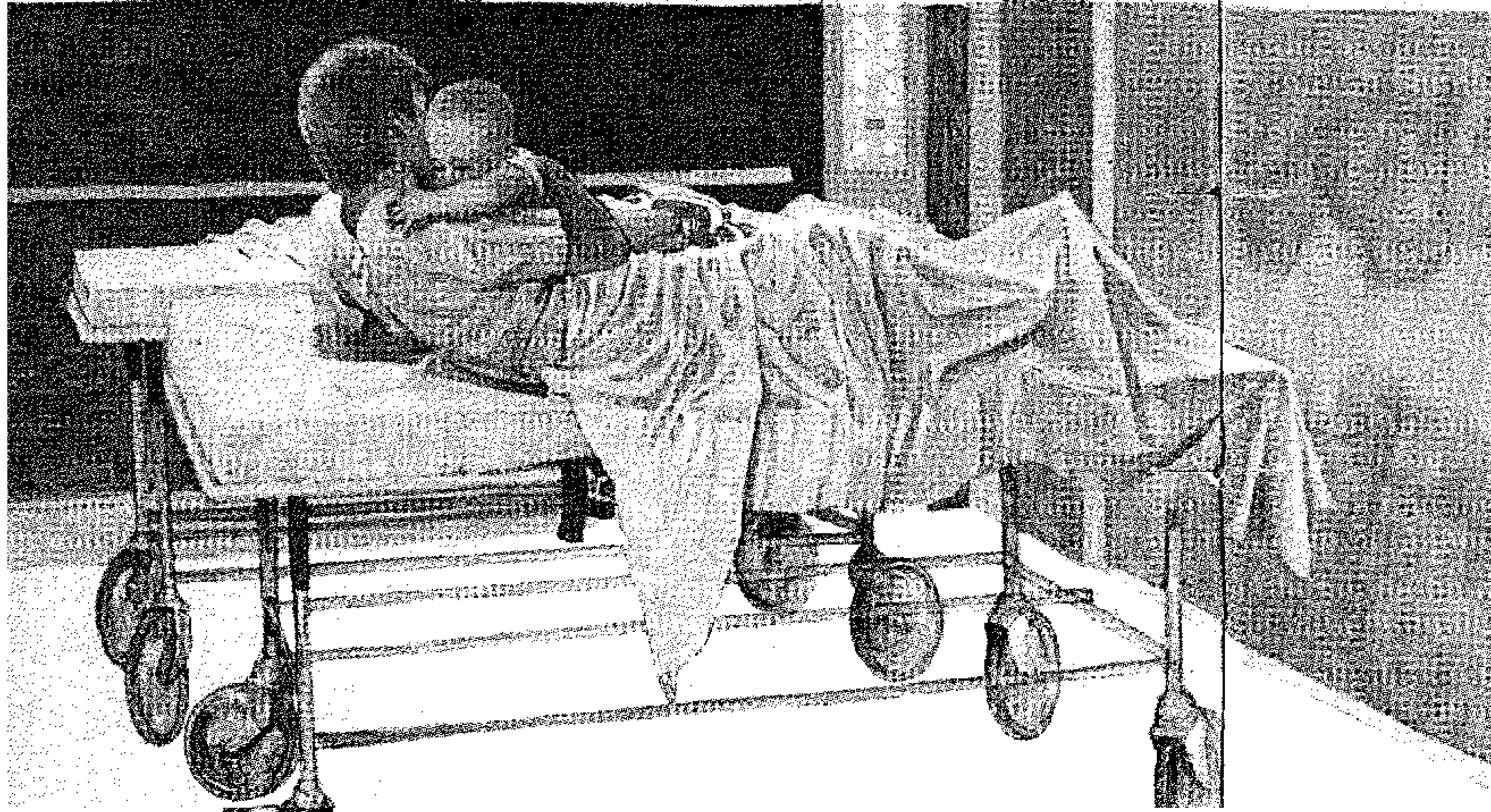
د.س.

■ حين يزحف الخوف، يتراجع المنطق .

ل.ف:

■ يعرف كل سياسي ذكي ان أفضل موقع يحتله هو أن يكون الى يسار اليمين والى يمين اليسار وفي مواجهة آلات التصوير .

ح.ش.



خذ كليتي... فأنت أخي

كان حلمه ان يصبح نجما من نجوم كرة القدم، ثم جاءه اخ اصغر تمنى له مستقبلا ابهى

كانت كرة القدم اهم شيء في الحياة في نظر تود كونر البالغ من العمر ١٤ عاما، الى ان ولد اخوه الن في ٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥. فلم يلبث هذا الرضيع المتلوي الذي لا يتجاوز وزنه اربعة كيلوغرامات ان سحر نجم كرة القدم العتيد وخلب لبه، حتى ان تود راح ينافس شقيقته لوري - آن البالغة خمسة عشر عاما في انتهاز الفرص لمساعدة امهما على العناية بالوافد الجديد.

وفي اصيل ذات يوم من شهر نوفمبر (تشرين الثاني)، قبيل ستة اسابيع من مولد الطفل، كان تود يحتضن الن بين ذراعيه المعقوفتين، وكأنه كرة قدم. وبينما هو ينحني ليضعه في مهده، لاحظ ان رأس الرضيع يبلله العرق. ومد تود اصبعه فالتفت حولها على الفور خمس اصابع صغيرة. وفجأة احكمت اليد الطرية اغلاقها على اصبع تود في تشنج عنيف، ثم ارتخى جسد الرضيع ارتخاء تاما.

وصاح تود: "اماه! هناك شيء يبعث على القلق!".

وحين عجزت كارولين كونر عن انعاش طفلها الرضيع، اسرعت به الى مستشفى هنرييتا ايغليستون للاطفال في مدينة اتلانتا، على بعد ٣٠ كيلومترا من بيتهم في بلدة كونييرز في ولاية جورجيا. وفي المستشفى، حلق الاطباء خصل شعر الرضيع الذهبية وثقبوا البقعة الطرية في رأسه بابر تدخل عن طريق الاوردة وتتصل بانابيب. وراح الاطباء يجسون ويفحصون ويصورون بالاشعة، وراح الفنيون يخزون الاصابع الدقيقة ليسحبوا منها الدم ثم ينصرفون بانابيبهم النحيلة المدرجة وبشرائحهم المكسوةبالبقع وبرقع التعريف والتوضيح. وراحت الممرضات يجمعن عينات البول ويسجلن كميات السوائل التي تدخل جسم الرضيع، ويقسن ضغط دمه وحرارته.

وتبين من التشخيص بعد يومين ان الن مصاب بعجز مستمر في الكليتين من جراء توقف صمامي المجريين المؤديين من الكليتين الى المثانة البولية، مما جعل البول يرتد مندفقا الى الكليتين ويؤذيهما اذى شديدا.

وكان لا بد من اجراء عملية جراحية لالن من اجل اصلاح الصمامين ووقف ارتداد البول. لكنه كان أصغر وأضعف من ان يتحمل مثل تلك العملية المعقدة. فلجأ الجراحون، بدلا من ذلك، الى شق بطنه وادخال انبوبة مطاطية في مجرى البول لتفريغ الفائض من المثانة، واجلوا الجراحة الكبرى اللازمة الى ان يبلغ وزن الرضيع سبعة كيلوغرامات وربع كيلوغرام على الاقل.

وعندما رأى تود شقيقه الرضيع للمرة الاولى وقد غرست الابر في اوعيته الدموية تحت جلدة رأسه، لم يتمالك من تحويل نظره عن هذا المشهد، وسأل بصوت ضعيف: "هل

يؤلمه ذلك؟" فأكد له ابوه بيري كونر وامه والممرضات جميعا ان الن لا يشعر بوخز الابر. الا ان رأس تود اخذ يؤلمه لفرط تعاطفه مع شقيقه الصغير.

بالونات العيد ــ وبعد انقضاء سبعة اسابيع على دخول الن المستشفى، سمح له الاطباء بالعودة الى بيته. وكانت الجراحة الموقتة اعادت اليه الحياة، فتعلم ان يجلس ويحبو. غير ان وزنه تدنى فاصبح، في شهره السابع أقل مما كان عند ولادته.

وذات يوم وجده تود نائما في غرفة الجلوس وقد بدا جلده ابيض منطفئا مثل مسحوق "التالك". فصاح قلقا ينادي امه التي جاءت على الفور وامسكت بجلد الطفل عند بطنه بين ابهامها وسبابتها ثم اطلقته. وبدلا من ان يعود الجلد بمرونة الى وضعه الطبيعي، ظل الجزء الذي قرصته بخفة متجمعا، فقالت: "انه يعاني نقصا في السوائل"، وحملته وانطلقت به الى المستشفى.

وانقضت هذه المرة خمسة اسابيع قبل ان يسمح الاطباء بعودة الطفل الى البيت. فسارعت الاسرة الى عقد اجتماع للتشاور في الامر. وقالت كارولين بصوت مرتجف: "يقول اختصاصي الكلى ان الن قد يصاب بعجز الكليتين قبل ان يتم عامه الاول".

لكن حال الن استقرت خلال الاسابيع التالية بفضل التغذية السليمة والادوية الكثيرة. وحل العيد الاول لميلاده، فنظم له تود حفلة مليئة بالكعك وعصير الفاكهة والبالونات. وانقضى العيد بسلام.

وتعلم الرضيع ان يمشي ويقف على رأسه ويصفر وينتزع ملابسه. وكانت تسليته المفضلة ان يعتلي ظهر شقيقه تود ليعدو به في انحاء المنزل وهو يصيح: "هيا يا حصاني!".

وفي ١٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٦، ارتفع وزن الن الى سبعة كيلوغرامات وربع كيلوغرام، وقال اختصاصي الكلى في مدينة اتلانتا لكارولين كونر ان الطفل اصبح قادرا على تحمل جراحة زرع الصمامين.

وكان الن يعلم من المرات السابقة التي دخل فيها المستشفى ان "ضياع" حذائه يعقبه الالم. فما كان من تود، عندما جهز الوالدان طفلهما النحيل لدخول المستشفى، الا ان انحنى نحو شقيقه وعقد رباط حذائه عقدة مزدوجة وقال له بمحبة وحنان: "تمسك بحذائك هذا يا ولد". وعندما تحركت السيارة بالن وهو يلوح بيده الصغيرة مودعا اخاه، قال تود متضرعا: "اتوسل اليك يا ربي ان تعيده سالما".

وانقضت العملية بسلام وعاد الن الى البيت ليلة عيد الميلاد وقد هبط وزنه الى اقل من ستة كيلوغرامات. وكانت هدية تود افضل لعبة تلقاها الن بمناسبة العيد: ضفدعة خضراء كبيرة يستطيع ان يمتطيها حتى عندما تسوء حاله ويعجز عن المشي. وعاد الطفل الصغير يتحكم بأخيه تود ويمتطيه حصانا ويتخذ منه خادما مطيعا معظم الاحيان.

اعطوه كليتي ــ واستمر الن في حال حسنة حتى يوليو (تموز) ١٩٧٧. واذا به يفقد شهيته ويمتنع - على رغم اغراءات تود وملاطفاته - عن تناول

ما يكفي من الغذاء للمحافظة على وزنه٠

واقترح الاطباء التغذية الاجبارية من خلال انبوب يخترق انف الن ويمتد الى معدته٠ وتتابعت هذه التغذية اربع مرات في اليوم الواحد بطعام مرتفع السعرات الحرارية، فزاد وزن الطفل قليلا وزاد طوله سنتيمترين ونصف سنتيمتر، كما تبين من تحاليل الدم، يوما بعد يوم، استمرار الكليتين في اداء وظيفتهما٠

وفي شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨، كشفت الاختبارات والتحاليل فجأة عن حدوث مزيد من التدهور٠ ولم يبلغ الشهر منتصفه حتى اصبح الن يمشي بصورة غير معتدلة٠ ومنذ منتصف فبراير (شباط)، أخذ الطفل يتعثر في مشيه٠ وحملته الاسرة مرة اخرى الى اختصاصي في مدينة اتلانتا، فقرر ان الطفل مصاب بمرض في العظام يلازم عجز الكليتين٠

ومع حلول شهر مارس (آذار) كاد الن ان يعجز عن المشي، فراح تود يحمله وهو ينوء بثقل ما يعرفه عن حال شقيقه اكثر كثيرا مما ينوء بثقل وزنه٠ وفي كل مرة كانوا يحملون الطفل للمعاينة الطبية، كان تود يصر على الحصول على تقرير كامل٠ وقد بلغ عدد المرات التي حلق فيها رأس الن لتغذيته عن طريق الاوردة، خمسا وعشرين مرة٠

ثم تلفظ الاختصاصي بكلمة جديدة: يقتضي ان يذهب الن الى مستشفى جامعة مينيسوتا لاجراء تحليل غشائي للدم، وهو عملية تستهدف تنظيم الدم تعويضا عن عجز الكليتين في اداء هذه المهمة٠

وقالت كارولين كونر تطمئن اسرتها: "ان لهذا المستشفى شهرة عالمية لنجاحه في علاج امراض الكلى لدى الاطفال الصغار جدا"٠ ثم اضافت بعد فترة صمت طويلة: "لا بد من ان يجري لالن عملية لزراعة كلية جديدة خلال هذا الصيف٠ واذا نجحت هذه العملية فانها ستنقذه من مرض عظامه ايضا"٠

وانعقد لسان تود برهة، ثم رفع عينه نحو والديه وقال: "كليتي انا٠ اود ان اعطي الن احدى كليتي"٠

فأجاب ابوه: "تود، لقد فكرنا، امك وانا، في انك ستتطوع بهذه الهبة٠ لكننا لا نوافق على ذلك٠ فاذا تطوعت انت او شقيقتك بوري باعطاء كلية اي منكما ثم لم تنجح العملية وحدث بعد ذلك شيء للمتطوع منكما، فاننا٠٠٠٠" وغص الرجل بالكلمات ثم تابع: "كما انه قد يتعذر عليك ان تلعب الكرة وانت بكلية واحدة"٠

فانفجر تود قائلا: "انا لا يهمني ذلك٠ ان الن يحتاج الى كلية٠ وعندما تحمله تلك الطائرة الى مينيسوتا اريد ان اكون فيها الى جانبه٠ ولا بد من ان تسمحا لي باجراء الفحوص الطبية اللازمة لهذا الغرض"٠

احلام المجد — وبعد اسبوع، كان تود وشقيقته لوري - آن التي تبرعت هي الاخرى بكليتها واصرت على ان تجرى عليها الفحوص جالسين مع والديهما في مكتب الدكتور جون نجاريان في مستشفى جامعة مينيسوتا٠ وقال نجاريان: "ان المشكلة الرئيسية هي نبذ الجسم للعضو الدخيل، ولذلك فاننا نبدأ

بالتثبت من انسجام الانسجة. اما انماط الانسجة فيتم تحديدها عن طريق اربعة مؤشرات وراثية تسمى "انتيجينات". ولكي يتحقق الانسجام النسيجي بين المانح والمتلقي، لا بد من ان يتطابق اثنان على الاقل من هذه الانتيجينات الاربعة. فاذا شمل التوافق الانتيجينات الاربعة لدى احد اشقاء الدم، ارتفعت نسبة النجاح الى ٩٠ او ٩٥ في المئة. واذا كان المانح احد الابوين، راوحت نسبة النجاح بين ٧٠ و٧٥ في المئة. وتتدنى النسبة الى ٥٠ في المئة اذا كان المانح عضوا اخر من اعضاء الاسرة".

وتبين من الاختبارات ان الانسجام بين انسجة الطفل وانسجة كل من بيري وكارولين كونر وابنتهما لوري لا يتجاوز اثنين من الانتيجينات، بينما كان الانسجام مع انسجة تود شاملا للانتيجينات الاربعة. بل ان انسجام انسجة الن مع انسجة تود بلغ حدا لا يفوقه الا انسجام انسجة التوائم المتماثلة. ووافق الوالدان على اجراء عملية نقل الكلية.

وبينما كان الن - الذي بلغ عمره آنئذ عامين ونصف عام - يواصل الخضوع لعمليات التحليل الغشائي لتنقية دمه في العيادة الخارجية، بدأ تود يجتاز الاختبارات النفسية التي تتطلبها مثل هذه الجراحة. وذات يوم دار الموضوع حول الالعاب الرياضية، فسأله اختصاصي علم النفس: "هل تظن انك تجيد لعبة كرة القدم؟".

فغمغم تود: "من المستوى المقبول".

وعاد الاختصاصي يسأل: "هل حلمت مرة بان تصبح اسرع ظهير او اعظم هداف؟".

فأجاب تود: "نعم. لقد فكرت في ذلك". وكان صوته عاليا يشيع فيه التوتر.

وبعد انتهاء الجلسة، ذهب تود الى قسم التحليل الغشائي في المستشفى ووقف خارج الباب ينصت الى الازيز الخفيف للآلات التي تنظف دم اخيه في عملية تستغرق اربع ساعات وتتكرر ثلاث مرات كل اسبوع. وحرك ابهام قدمه كما كان يفعل قبل ان يركل الكرة في رمية محسوبة، وتساءل في نفسه كيف سيفسر الاختصاصي احلامه تلك. اجل. ان هجر الرياضة سيوحشه، ولا سيما كرة القدم. لكن هناك شيئا اخر افضل منها الف مرة، سيعوضه عنها، وهو ابدع شقيق صغير في العالم.

المكان الخانق - في يوم ١٠ مايو (أيار) ١٩٧٨، استيقظ تود باكرا قبل الجراحة التي حدد موعدها في الساعة ٦،٣٠ صباحا. ولم تفلح الاقراص التي اعطيت له في تهدئة اعصابه، بل بقي متوترا بعض الشيء وكأنه مقبل على مباراة حاسمة. وجاء احد ممرضي المستشفى يدفع الباب بسرير على عجلات، فصعد اليه الفتى ابن الستة عشر عاما، وانطلق به الممرض في اتجاه غرفة الجراحة.

"تود!". سمع الفتى صوت شقيقه يناديه وقد هزته رعشة الدموع. وجاء ممرض آخر يدفع سريرا آخر عليه كتلة صغيرة مغطاة بالملاءات - وكان ذلك الن. وبدا الطفل باهت اللون يتملكه الخوف، لكنه اخرج ذراعه اليمنى من تحت الملاءات ولوح لاخيه مبتسما.

ودفع الممرضان السريرين داخل مصعد واحد، فرفس آلن ملاءته وبان سرواله الاحمر وقد عقد عقدة مزدوجة. وتسلق سرير اخيه واحاط عنقه بذراعيه النحيلتين.

وقال تود بصوت اجش: "بعد اليوم لن تتألم ابدا".

فرد الن: "اعرف!" وفجأة بدأ ذقنه يرتعش وقال: "تود، عندما يعطونني جزءا منك، هل سيؤلمك ذلك؟".

لقد سبق لشقيقه الصغير ان قاسى اهوالا شديدة، وها هو الآن يقلق على تود. وقال تود وهو يضم الن: "كلا، لن يؤلمني ذلك لانك اخي".

وانفتح باب المصعد وانطلق بهما الممرضان الى غرفتي جراحة متجاورتين.

وتجمعت حول الن حلقة من الاطباء والممرضات في ملابسهم الخضر. وشق المبضع فتحة في وسط بطنه، ورفعت كليتاه الذابلتان. ثم ذهب الدكتور نجاريان الى غرفة الجراحة المجاورة حيث كان فريق آخر من الجراحين شق بطن تود على طول منتصف الخصر في احد الجانبين لانتزاع كليته اليمنى. وعاد الدكتور نجاريان للتو وهو يضم في راحتيه الكبيرتين شيئا يشبه ثمرة بطاطس لامعة مبللة، وضعه في محلول معقم كي يغسل عنه الدم ويبرد الكلية من اجل أن يقبلها جسم الن قبولا حسنا. وفي الوقت نفسه، شرع فريق الجراحين حول تود باقفال جرحه، ثم نقل بسرعة الى غرفة الانعاش.

وبدا ان التجويف المفتوح في بطن الن اصغر كثيرا من ان يتسع لكلية اخيه التي يبلغ حجمها ثلاثة اضعاف حجم كليته تقريبا. لكن الاطباء كانوا يعرفون ان الكلية لن تلبث بعد العملية ان تنكمش الى الحجم الذي يوافق الن، ثم تعود فتنمو تدريجا مع نموه بمعدل طبيعي. وانقضت ست ساعات كاملة قبل ان يقبل الدكتور نجاريان وهو يبتسم مطمئنا، لينبىء آل كونر بان كلية تود اخذت تمارس وظيفتها في جسم الن.

وفي اليوم التالي طلب تود ان يجر سريره الى غرفة الن. وتبادل الشقيقان القبلات من خلال اسوار السريرين، واخذ كل منهما يلهج باسم الاخر مرة تلو الاخرى. وظل الن خلال الاسبوعين التاليين يتلقى، بواسطة انبوب ركب في عنقه اثناء الجراحة، جرعات المصل المضاد لنبذ الاعضاء.

وعاد تود الى ممارسة كرة القدم بموافقة طبيبه، بينما اخذ الن يركض حول البيت بنشاط فائق. وتصحبه امه مرة في الشهر الى عيادة قريبة لاجراء فحوص الدم، ثم تبلغ النتائج بالهاتف الى مستشفى مينيسوتا لمتابعة حالته. وسيظل الن بقية حياته يتناول ادوية مضادة لنبذ الاعضاء. لكن هبة تود الثمينة كفلت مستقبلا مشرقا لهذا الطفل المفعم بالحياة وفتحت له مجال التمتع بالبهجة وتذوق طعم الهناء.

■ نيلا رودجرز



لم يفض استعمال الترانزيستور الى تزايد سخافة الانسان فحسب وانما علا معه صوت البلاهة.

("قلق عالم الاحياء")

حدائق من الشرق



وسط حوض ماء في حديقة.

تختلف حدائق اليابان التقليدية اختلافا كبيرا عن النموذج الغربي للحدائق بأحواضها ذات الالوان الصارخة. وذات مرة، بعد جولة على أهم الحدائق حول مدينة كيوتو عاصمة اليابان القديمة، علّقت سائحة غربية: "هذا طريف جدا. ولكن متى سنرى الحدائق؟ يحب اليابانيون ان يروا الزهر في كل مكان، الا في حدائق التأمل التي تتكون غالبا من شجيرات مشذّبة وحجار منسقة وحصيّ سوّيت بدقة بالغة لكي تشبه المياه المترقرقة.

ويصمم اليابانيون حدائقهم بناء على نظرتهم الى الطبيعة. وانطلاقا من مفاهيم الديانة البوذية من نوع "زن" السائدة في بلادهم، يسعى اليابانيون الى توكيد قيم مثل وحدة الانسان والطبيعة، الانسجام، الانعتاق من الزمن.

هذه الاعمال الفنية الرائعة تنقل المتأمل من ظواهر الاشياء الى بواطنها، وبهذا تتحدى الخيال وتحث الانسان على التفكير في مكانه من الطبيعة

جزيرة وسط بحر من الحصباء في حديقة مانجو - ان في كيوتو.

GRATEFUL ACKNOWLEDGEMENT IS MADE TO GEORGE S. AVERY FORMER DIRECTOR OF THE BROOKLYN (N.Y.) BOTANIC GARDEN FOR HIS HELP WITH THIS ART FEATURE

ان كل حديقة يابانية ترمز بظواهرها الى ما وراء الظواهر. فالنبت الدائم الخضرة يمثل الحياة الطويلة أو الخلود، والخيزران صنو القوة، وبراعم الخوخ، وهي الاولى التي تطل مع الربيع، ترمز الى الشجاعة. أما شلالات الماء فتصور الحياة في غيابها وعودتها. والصخور هي العظام الممتدة في جسد الارض.

ان الاعتدال والصفاء اللذين يميزان حدائق اليابان التقليدية المعروفة اليوم يقدمان مثلا حاسما على الفرق الشاسع بين نظرة الغرب ونظرة الشرق الى الطبيعة. فالغرب يؤمن بأن الانسان مقياس جميع الاشياء وأن الطبيعة، بالتالي، يجب اخضاعها. أما في الشرق فالطبيعة هي المهيمنة، والانسان يعترف، شاكرا، بأنه جزء منها.

حديقة شيسندو المنبسطة تعطي انطباعا بكبر المساحة. وقد ُجزّت شجيراتها على هيئة جبال.

حديقة شهيرة خارج معبد رايوان - جي في كيوتو، بناها كهنة بوذيون بالحجار لخلق حس بالانسجام والانعتاق من الزمن.

هذه المقصورة المذهبة والمرصعة بالثلج تقوم في حديقة معبد روكون - جي في كيوتو.

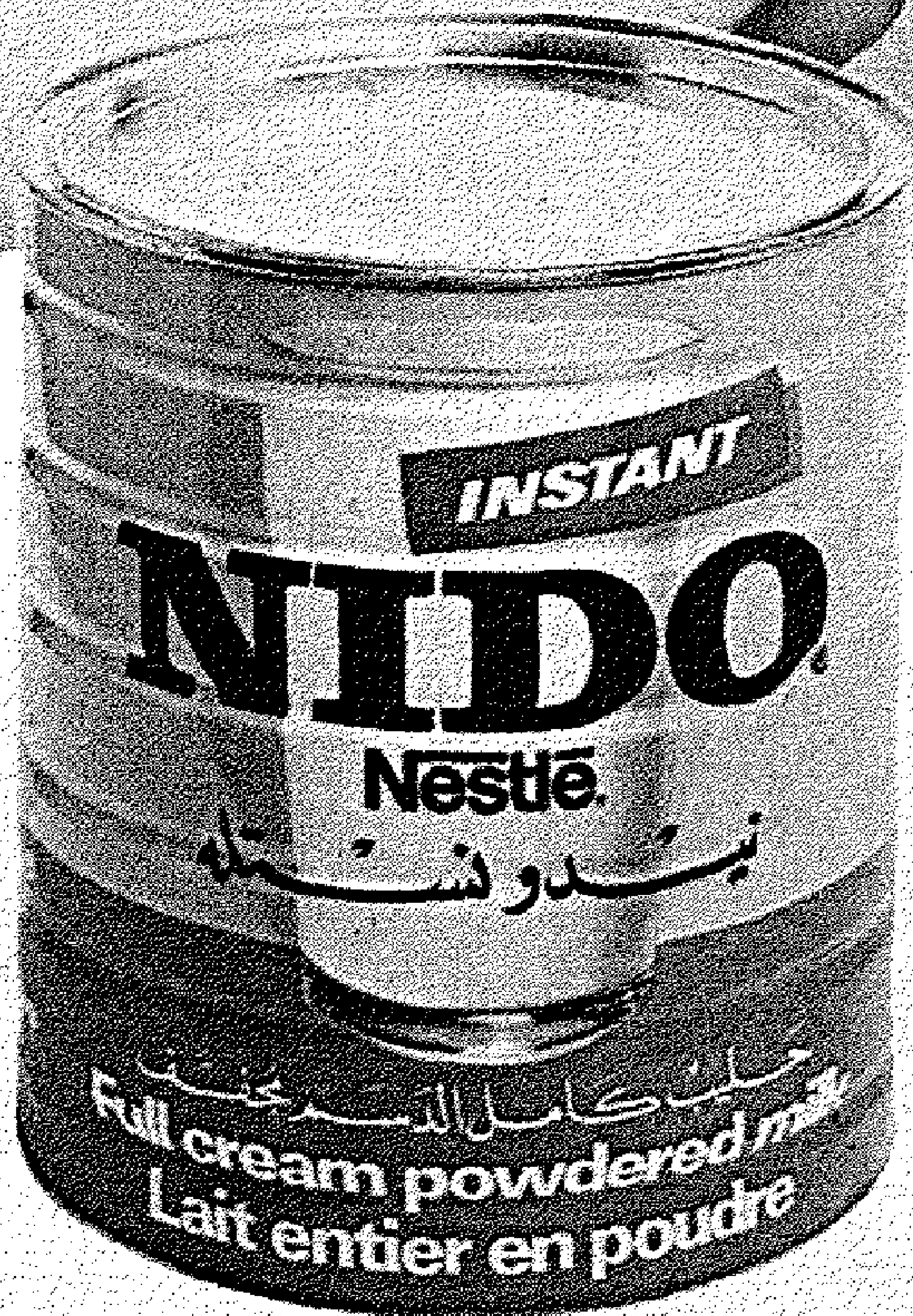
على ارض معبد ميوشين - جي في كيوتو تقوم حديقة تايزو - ان التي تتميز بنبت معتدل وسط وفرة من الحجار المنسّقة.

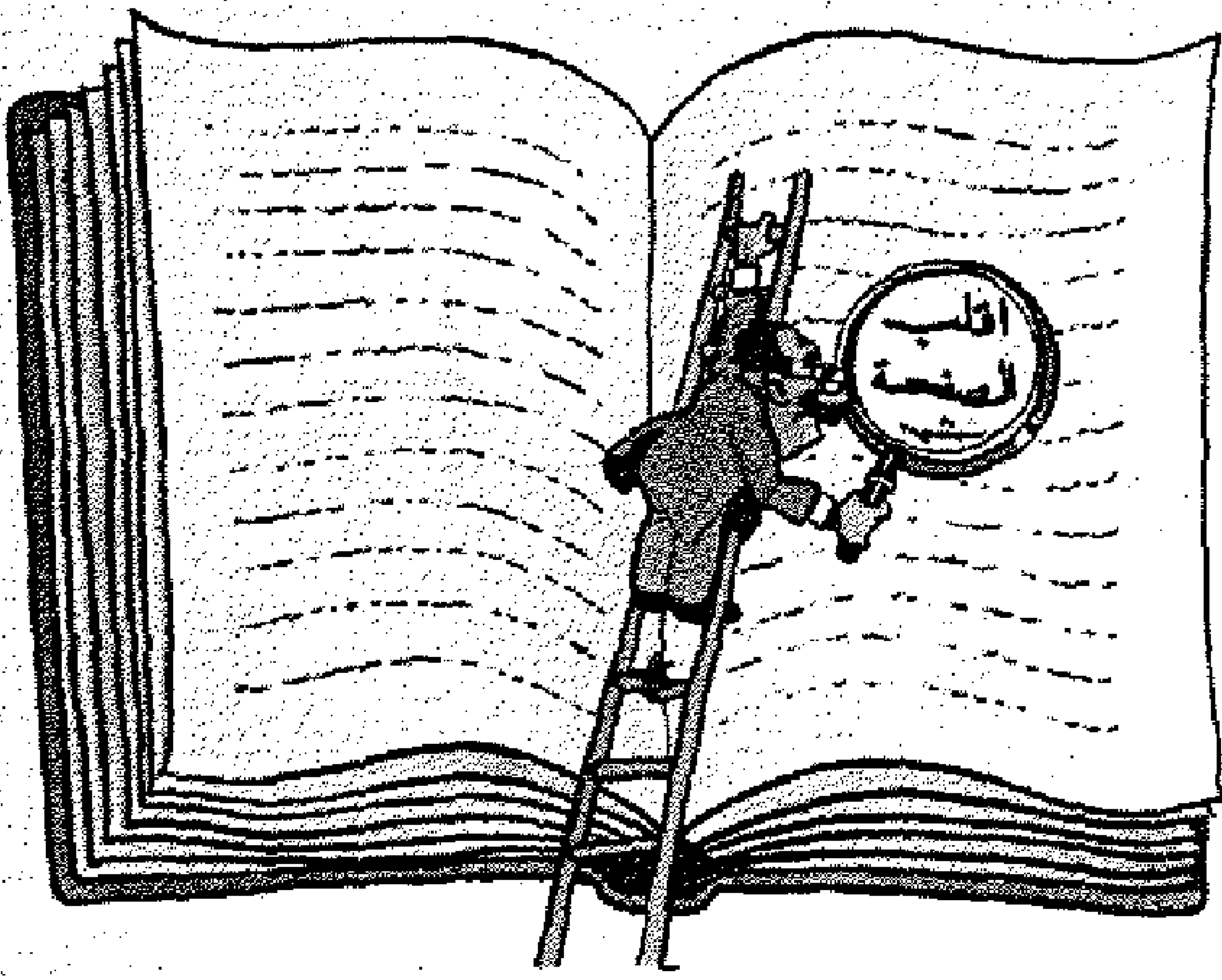


يوبو - تي حديقة دائمة الفتنة داخل منتزه شوكي - ان في هيروشيما.

مقصورة وسط زهر الازاليا وشجر الورد في حديقة تقليدية تبقى على لون واحد، هو الاخضر، الى ان تظهر البراعم فتغدو عرسا من الالوان.




INSTANT
NIDO
Nestlé
نيدو نستله
حليب كامل الدسم مجفف
Full cream powdered milk
Lait entier en poudre



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد اسماء مفردة يراد جمعها.

وقد وضعت أمام كل اسم أربعة جموع، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء، اختبارا لمعرفته اللغوية، أن يختار الكلمة التي يعتبرها صحيحة، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١ - جَنَّة : جُنَن - جَنائِن - جَنات - آجان.

٢ - مَدى : أمْداء - آماد - أماد - مُدِيّ.

٣ - أَيِّل : أَيّل - أُيّل - إيال - أيائل.

٤ - قَوْس : قِسِيّ - قَواس - قُوس - قِيْسان.

٥ - نِيَّة : نُوى - نُوِيّ - نَوايا - نِيّات.

٦ - واد : أوادِ - أوْدية - وِدْيان - وِهاد.

٧ - حافِز : حَوافِز - حَفائِز - مَحافِز - حُفّز.

٨ - قِلادة : قِلادات - أقْلاد - قَلائِد - أقاليد.

٩ - نِداء : أَنْداء - نَوادِ - نِداءات - أنْدية.

١٠ - مِدْيَة : أَمْداء - مُدى - أمادِ - مِدِيّ.

١١ - قَفير : قُفْر - أقافير - أقافِر - قُفْران.

١٢ - غَيْث : غُيوث - غَوائث - غِيات - أغْيات.

١٣ - لَجْنَة : لِجان - لُجَن - لجائن - أَلْجان.

١٤ - كَثيب : كثائب - أكثاب - كُثْبان - كُثُب.

١٥ - تِنين : تُنَن - أتْنان - تنائن - تنانين.

١٦ - وِثاق : أوْثاق - وُثُق - وُثْق - أوثِقَة.

١٧ - مِحْنَة : مِحان - أمحان - أماحِن - مِحَن.

١٨ - هَواء : هَواءات - أهْواء - هُوِيّ - أهْوِيَة.

١٩ - وَضْع : أوضاع - وضائع - مواضع - وُضْعان.

٢٠ - ناي : أنْواء - نَوايا - نايات - نُوِيّ.

٢١ - كُلْيَة : كِلى - كُلى - كِلِيّ - كَلايا.

٢٢ - أبْكَم : أباكم - بَواكم - بُكْم - بُكَماء.

٢٣ - حاسِد : حَسودون - حُسّاد - حُسُد - حَواسِد.

٢٤ - دواء : أدْواء - أدْوِية - دَوايا - دُوِيّ.

٢٥ - قَناة : قَنَوات - أقناء - أقْنِيَة - قُنِيّ.

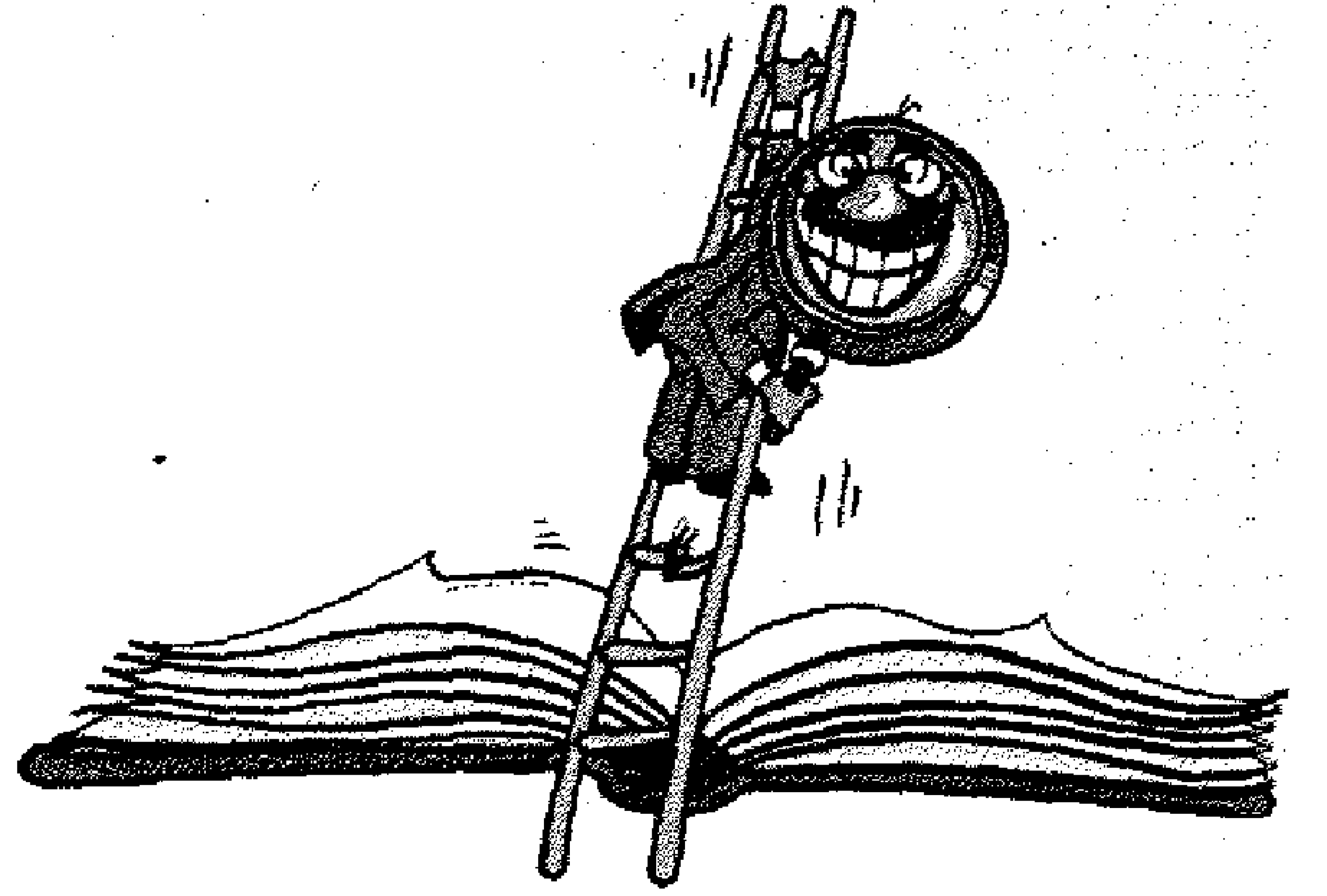
٢٦ - شِيمة : شِيام - شوائم - شيمات - شِيَم.

٢٧ - كُوَّة : كُوّ - أكواء - كُوى - كُوِيّ.

٢٨ - نَبيذ : نُبُذ - نبائذ - أنْباذ - أَنْبِذَة.

٢٩ - قُبَّة : قُباب - قِباب - قُبّات - قُبَب.

٣٠ - نَهار : أنْهُر - نَهائر - نهارات - أنْهار.



الأجوبة الصحيحة

١٠ جَنَّة : جِنان وجَنّات٠ حديقة مشجرة تستر الارض بظلالها ٠ الفردوس (الارضي او السماوي)٠
٢٠ مَدى : أمداء٠ الغاية والمنتهى٠ المسافة٠
٣٠ أيِّل : أيائِل٠ حيوان من ذوات الظلف٠
٤٠ قَوْس : قِسِيّ وقُسِيّ وأقْواس وقِياس وأقْوُس وأقْياس٠ آلة لرمي السهام٠ والكلمة مؤنثة وقد تذكَّر٠
٥٠ نيَّة : نيّات ونيات٠ قَصْد٠
٦٠ واد : أودِيَة وأوادية واوداء (والعامة تقول وديان)٠ منفرج بين جبال يكون منفذاً للسيل٠
٧٠ حافِز : حوافز٠ دافع٠
٨٠ قِلادَة : قَلائد وقِلاد٠ ما جُعل في العنق من حليّ٠ قلائد الشِّعْر : أبياته النفيسة المحفوظة٠
٩٠ نداء : نداءات٠ الدعاء٠ الصوت٠
١٠٠ مِدْيَة : مُدى ومِدى ومُدْيات ومُدَيات : الشفرة الكبيرة٠ وقد سُميت كذلك لأنّ بها انقضاء المدى٠
١١٠ قَفير : قُفْران٠ خلية النحل٠
١٢٠ غَيْث: غُيوث وأغْيات٠ المطر او العشب الذي ينبت بماء المطر٠
١٣٠ لَجْنَة : لِجان٠ الجماعة يجتمعون للنظر في أمر٠
١٤٠ كَثيب : كُثُب وكُثَب وكُثْبان وأكْثِبَة٠ تلّ الرمل٠
١٥٠ تِنين : تَنانين٠ الحوت٠ الحية العظيمة٠
١٦٠ وِثاق : وُثُق٠ ما يُشَدّ به من حبل او قيد او سواهما٠
١٧٠ مِحْنَة : مِحَن٠ ما يُمْتَحَن به الانسان من بلية٠
١٨٠ هَواء : أهْوِيَة٠ الجوّ٠ الخلاء٠ ما نستنشقه٠
١٩٠ وَضْع: أوضاع٠ الموضع٠
٢٠٠ نايٌ : نايات٠ آلة من آلات الطرب ينفخ فيها٠
٢١٠ كُلْيَة : كُلىً وكُلْيات٠ غدّتان وظيفتهما أفراز البول من الدم٠
٢٢٠ أبْكَم : بُكْم٠ أخرس٠
٢٣٠ حاسِد : حُساد وحَسَدَة وحُسَّد٠ الذي يتمنى زوال نعمة الآخر وتحوّلها اليه٠
٢٤٠ دَواء : أدْوِيَة٠ ما يُعالج به المرض٠
٢٥٠ قَناة : قَنىً وقِناء وقَنَوات٠ ما يحفَر في الأرض لتجري فيه الماء٠
٢٦٠ شِيمَة : شِيَم٠ الخُلُق والطبيعة٠ العادة٠
٢٧٠ كُوَّة : كِواء وكُوىً وكَوّات وكُوّات٠ خرق او ثقب في الحائط٠
٢٨٠ نَبيذ : أنْبِذَة٠ الخمر المعتَصَر من العنب او التمر٠
٢٩٠ قُبَّة : قِباب وقُبَب٠ بناء سقفه مستدير مقعَّر٠
٣٠٠ نَهار : أنْهُرٌ ونُهُر (والعامة تقول نهارات)٠ الوقت من الصبح الى المغرب٠

المستوى:

٢٥ - ٣٠ : ممتاز
١٩ - ٢٤ : جيد
١٣ - ١٨ : مقبول

العرس الذهبي

في العيد الخمسين لزواج والديها
تعلمت الابنة كيف تدوم المحبة الى الابد

كانت المناسبة الاخيرة التي التأم فيها شمل عائلتنا الاحتفال بالذكرى الخمسين لزواج ابي وامي. فقد احتشدنا جميعا داخل المنزل بصياح وجلبة، نتبادل التهاني.ويعانق بعضنا بعضا. وتناثرت حقائب السفر هنا وهناك، ولم ينقطع جرس الهاتف عن الرنين، وتوافد الاصدقاء والاعمام والعمات والاخوال والخالات وابناؤهم وبناتهم، وتعالت اصداء الضحك والروايات عن مغامرات الطفولة واستعادة ذكرياتها وتجشم متاعبها وتذوق مسراتها.

خمسون عاما قضياها معا دفعة واحدة، فأذهلني طول امتدادها، ولو انها قد تجمعت، عاما اثر عام، كندف الثلج الكثيفة المتراكمة فوق الارض لتكسوها بساطا ابيض تتخلله جبال ناعمة ملساء من الحب والرعاية، ولربما تجمدت قمم بعضها بفعل الزمن والعادة.

وفيما انا اتأمل تلك السنوات الطويلة لزواجهما، ارنو الى سنوات زواجي الثلاثين وهي تتراكم بعد ان مرت واحدة تلو اخرى كما تطوى صفحات الكتاب، بعضها يضم فصولا افضل مما يضمه الاخر، وبعضها مليء بالكرب والاكتئاب، وبعضها الآخر عامر بالاثارة او مثقل بالرتابة والارتباك. ترى هل هكذا الامر ايضا بالنسبة اليهما؟ وما الذي تعنيه صحبة كل تلك السنين؟ سنوات من الفة الاشياء ذاتها واعادتها الى مواضعها العادية، ومن الرتابة والتأثر باحداث الحياة وازماتها. ومسافات طويلة من ارضيات الغرف المنظفة والممسوحة واطنان الملابس المكوية. وايام لا نهاية لها قضاها ابي في العمل ونزهات لا حصر لها في الخريف ووجبات العشاء ايام الآحاد. وتلك المرة التي اصبنا فيها بجدري الماء نحن الاطفال الثلاثة جميعا، او تلك المرة الاخرى التي كسر فيها اخي ديفيد ذراعه وهو يركب دراجته، وحادثة اخي جيري وهو في سن الرابعة عشرة عندما عاد من توزيع الصحف ثملا بالنبيذ الرخيص. يضاف الى ذلك سهرهما على انضباطنا

وتأديبنا والعناء الذي لقياه معنا وتشجيعهما لنا على الدراسة والتزام الاستقامة والصدق في علاقاتنا، والمناسبات التي اضطرا فيها الى التنحي عنا على مضض ليتركانا وشأننا. وتلك الكنوز الصغيرة النابعة من هنيهات المقربة الحميمة.

ولقد اثرت فيّ المناسبة اكبر تأثير لحظة الحفلة، عندما هدأت الردهة الكبيرة ووقفنا نحن الاطفال الثلاثة امام الجمع الحاشد، واخذت اتلو التحية القصيرة التي كتبتها لوالدينا:

طول البقاء السعيد - "اننا نشكركما نحن ابناؤكما على هبة الحياة وتوجيه خطواتنا نحو المسؤولية والقدوة التي تمثلها لنا حياتكما في الرعاية والمحبة المتبادلتين. ولقد كان بشر المحبة والوئام بينكما معيارا لوجودنا، وكان الالم والاسى معيارا لتوكيد هذا الوجود، وكان دوام اتحادكما اثباتا لكياننا. فنحن - اسرتكما واصدقاؤكما - نحييكما لمناسبة انقضاء نصف قرن على حياتكما المشتركة، ونشاطركما البهجة في هذا الاحتفال، متمنين لكما طول البقاء والسعادة".

وقد وجدتني اشكرهما الان على ما كنت اعارضهما فيه واتمرد عليه من قبل، اي اسلوب حياتهما الذي بدا متينا ومليئا بالثقة الى درجة كابتة، وخاليا من الاحداث المثيرة الى درجة تثير الملل، وصارم الالتزام بمعايير متزمتة. ومع ذلك، فان هذا التضامن الوطيد الباقي الذي يمثلانه هو عينه الذي ترك اكبر اثر في نفسي. كما ان هذا الرسوخ بعينه وتلك القدرة على التحمل والمثابرة هما اللذان اعاناني على اجتياز الكثير من المحن والازمات.

ولم يقتصر والدانا على كونهما والدين فحسب، بل انهما كانا زوجين يعيشان زواجا خاصا بهما. وحاولت ان اتصورهما في بداية زواجهما: واقفين امام المذبح في تلك الكنيسة الصغيرة على قمة الجبل قرب مزرعتهما، حبيبين مفرطين في التفاؤل، ابي بشعره الاسود الفاحم وشاربه المنسق، وامي برشاقتها وجمالها وضفيرتي شعرها الكستنائي.

تجديد عهود الزوجية - وفي ساعة مبكرة من صباح العيد الخمسين لزواجهما توجها الى الكنيسة وكررا عهودهما الزوجية وقت القداس، حيث وقفا معا امام المذبح، مع الفارق ان امي اصبحت بدينة اكثر بقليل منها قبل خمسين عاما واقل اطمئنانا الى مشيتها واصبح شعرها الكستنائي خصلا قصيرة متناثرة كستها جمة (باروكة) من الشعر المستعار. اما ابي فكانت كتفاه لا تزالان عريضتين قويتين، وان كان شعره قد نحل وانتشر فيه المشيب. وكانت يداهما متماسكتين.

ووقفت ابنتهما وابناهما وسائر افراد الاسرة والاصدقاء ينظرون مأخوذين، وهما يكرران عهودهما بالحرارة والايمان نفسيهما بالتقاليد التي تعاهدا على الالتزام بها قبل خمسين عاما. ولكنهما لم يكونا وحدهما وانما كانت تلتف حولهما كل تلك السنين التي تقاسماها، في

صحبة حميمة لا يضاهيها اي حشد من المهنئين والمتمنين خيرا لهما.

وادركت الامتياز الذي نحظى به في مشاركتهما في هذا الاحتفال، فما اندر امثاله وما اشد ما ستزداد هذه الندرة... فقد كنت اعرف مدى هشاشة الزواج واتذكر كيف اعاننا هذان الوالدان على اجتياز السنوات القلقة المتصدعة التي تعرض فيها زواجنا لمحنة تلو اخرى، وكأنها اختبار لمتانة عهودنا. وتساءلت عما ستؤول اليه حالنا بعد عشر سنين او عشرين او خمسين سنة من الان. وانما لم يطل تساؤلي اكثر من برهة قصيرة، تجاوزتها عندما رأيتهما امامي شاهدين على بقاء التضامن الوطيد واستمرار المحبة.

ولم يفتني ما هناك من الفروق بين زواجهما، ولا التباين بين الاطر الزمنية التي وضعتهما فيها الحياة. ولم تبرح خاطري هذه الفروق على رغم تثبتي خلال الاحتفال من طول عهد زواجهما. وان أنسى فلا انسى كيف ان الضغوط الحديثة - كالرغبة في المساواة وتحقيق الذات - قد اثرت على زواجي وزواج اصدقائي، وكيف كان علينا ان نصمد امام التبدل السريع ونفوذ وسائل الاعلام والتغيرات المنهمرة من كل حدب وصوب.

لقد صمدا ـ ولم اتساءل ابدا عن سبب صمود ابويّ في ظل التقاليد والعرف والواجب وايمانهما الديني. لقد صمدا، وهذا كل ما في الامر. نعم لقد شدّهما حبل الحب المتبادل، ولكن الم يكن ذلك ايضا بمثابة عادة بالنسبة الى كل منهما؟ ولقد ساءني بعض الشيء ان لم يخطر في بالهما ان يستجوبا نفسيهما في شأن زواجهما، وان تكون الحياة الرتيبة هي مصدر كل هذه الثقة بنفسيهما. واوشكت ان اتصور اننا نعيش، هما ونحن، في عالمين مختلفين.

غير انني حين عدت الى بيتهما هذا العام لاحظت ان رأيي قد تغير عما قبل وان بصيرتي كانت عمياء الى درجة عجزت معها عيناي عن رؤية امور جوهرية واضحة. والان، بعد الاحتفال باربعة اعوام، فانني لا احاول ان ابحث عن الفروق، بل عن الامور الجوهرية التي نشترك فيها جميعنا، تلك الاسس العميقة الراسخة التي تقوم عليها كل الزيجات. لقد تقدم والديّ في السن الان، وظهرت عليهما تلك التغيرات السريعة التي تجيء بها اربع سنوات الى من جاوزوا السبعين من العمر.

لاحظت ان امي تستمع الى المذياع ولكنها نادرا ما تدير جهاز التلفزيون، وتقول لي ان بصر احدى عينيها اخذ يشحّ، واصبح لا بد لها من اجراء عملية جراحية لترقيع القرنية. ولاحظت ان ابي يقوم بكل اعمال المنزل، من طهي وشراء الحاجيات، الخ. وقد انتحى بي جانبا وطلب الي ان اتغاضى عن الامر اذا ما رأيت آثار البيض على احدى الملاعق "لان امك لم تعد تبصر جيدا". ثم اعاد ترتيب البيت، فنقل غرفة النوم الى موضع حجرة الطعام كي لا تضطر امي الى صعود الدرج. ورحت اراقب ابي كيف يعتني بها ويعبر عن اخلاصه لها بالف طريقة وطريقة، اخلاص لا ينبعث من مجرد الرغبة في المداراة او التزام

بالواجب بل ينبع من اعماق المحبة الصافية. فلقد ظل كل منهما يعتني بالآخر ويرعاه طوال حياتهما الزوجية، ولم يختلف امرهما الان عن ذلك في شيء.

الزواج وثراء الحياة – وتذكرني حياة والدي الزوجية طوال ٥٠ عاما بان الزواج وثراء الحياة لا يتحققان بلا مقابل، فليسا هما نتيجة التضحية بل ثمرة الرعاية والمحبة المتبادلتين. ويطيب لي ان اتثبت من خلال حياة والدي ان المحبة تستمر حرارتها الى الابد، وان الفضائل والقيم التي كنا نعتبرها حلية الانسان لا تزال حية وبخير.

اما اليوم، فقد اصبح الناس ينظرون ببعض السلبية الى مثل هذه الروابط، خصوصا الاتكال المتبادل، ويعتبرون التواكل بين الزوجين كدليل على خلل في الزواج، نقيض للحرية والفردية والذاتية.

لا شك في ان الفرد عنصر ثمين جدا في ذاته، لكن اهميته الحقيقية لا تقدر الا بقيمة الروابط التي تشده الى الاخرين. فالخير المشترك الذي اتسمت به حياة والديّ ليس الا حصيلة الخير الفردي لكل منهما. ولئن كان من الصحيح ان الانتهاء الى اختيار امر ما يفترض التخلي عن حرية القيام بأمر آخر، فانه لمن الصحيح ايضا اننا في الوقت نفسه ننعم بذلك المقدار الاكبر من الحرية الذي يسبغه علينا ضميرنا وارتياحنا الى انفسنا. ولا ريب في ان والديّ يعززان في تصرفهما تلك المعادلة المطلقة بأن قيمة كل منهما لدى الآخر تفوق قيمة اي شيء آخر في العالم.

وانني ادرك الان مغزى الالتزام تمام الادراك، بمعنى ان تكون انت أهم شخص في العالم في نظر شخص آخر وان يكون هو في نظرك اهم شخص في العالم. وادرك ايضا حرارة الاسرة التي يحدث في نطاقها كل ذلك. فالزواج لم يُفقد اياً من والديّ ذاتيته وتفرده، ولو انه كان زواجا تقليديا. بل انه، على نقيض ذلك، قد عزز تمايزهما كفردين كاملين في نظري، وما ارتباطهما بالاسرة والاصدقاء سوى امتداد لالتزامهما بارتباط كل منهما بالاخر. واما مشاكلهما واحزانهما فهي جزء من صميم سعادتهما، لا تنقص منه ولا تزيد.

فالحياة، لسوء الحظ، لا توزع السعادة بالعدل والقسطاس، وليست هي امتيازا تجيئنا به الولادة، وانما هي موجودة في متناول كل منا تتطلب منه الاهتمام بجعلها حقيقة واقعة من شروط حياته الخاصة.

■ نينا اونيل

جرى الحديث الآتي بين زوج وزوجته حول رقعة الشطرنج:
قالت الزوجة: هذا يذكرني بايام كنا نخرج معا قبل الزواج.
ورد الزوج: ولكننا لم نلعب الشطرنج آنئذ!
فقالت الزوجة: هذا صحيح، ولكنك، حتى في تلك الايام، كنت تستغرق ساعتين كاملتين لتتقدم خطوة واحدة*.
ر.س.

المُزارع الرسّام

قالت زوجته: "لقد اعلن فجأة اعتزامه الانقطاع عن العمل بعد الآن، وتكريس بقية حياته للرسم، ورغب الي في ان اتكفل وحدي باعالة الاسرة".



كان ذلك عقب العيد الخمسين لميلاد هونغ تونغ وكان الفلاح الامي في كوخه في قرية نان كون شن الصغيرة التي تبعد قرابة ساعة بالسيارة عن مدينة تاينان في تايوان، يراقب ابنه الاصغر وهو يتدرب على الخط. ولاحظ هونغ ان للحروف اشكالا تشابه اشكال الانسان او الحيوان. فالتقط في الحال قلما مزودا بطرف من اللباد وبدأ يرسم، مضيفا هنا وهناك بعض الرؤوس والاطراف حتى بدت الاشكال وكأنها هيئات انسانية. وقد غمرته البهجة الى درجة انه اغفل طعام العشاء وملأ كراسد كاملة بالرسوم. ولم يكن في حسبان هونغ او زوجته ان تكون تلك هي بداية حياة مهنية ستكسبه شهرة دولية.

وبعد بضع سنوات، حين عرضت اعمال تونغ في مارس (آذار) ١٩٧٦ في مركز لنكولن في تايبيه في رعاية مجلة "الفنان" احتشد الناس حول المبنى وقال احد الصحافيين معلقا على هذا الحدث: "انه يستقطب جمهورا يفوق عدده ذلك الذي تجمع لمشاهدة الحجار التي عاد بها رواد الفضاء من القمر".



اليتيم الفقير ـ توفي والدا هونغ تونغ وهو لا يزال طفلا ، وتولى تربيته عم له كان فقيرا جدا فلم يتمكن من ارساله الى المدرسة. وقد عمل هونغ في سن المراهقة راعيا للابقار ومساعدا في حقول الجيران واحواض صيد الاسماك. وعندما بلغ الخامسة والعشرين من عمره تزوج من ليوليه - جو. وعاش الاثنان على زراعة البطيخ الاصفر والذرة والفول السوداني. ولم يلبثا ان انجبا ثلاثة ابناء وابنتين، فاضطر هونغ تونغ الى العمل في حقول الجيران لكسب دخل اضافي، بينما راحت زوجته تبيع التذكارات في معبد القرية.

وبعد خمسة وعشرين عاما، ابى تونغ الاستمرار في مثل هذا العمل، وراح يقضي ليله مكبا على الرسم في حجرة صغيرة من كوخه. وبعد حين، اقام لنفسه مرسما في حظيرة مهجورة. وكان يتوسل الى زوجته لتشتري له الورق والفراشي والالوان، فتضطر المرأة الى اقتراض النقود اللازمة من الجيران.

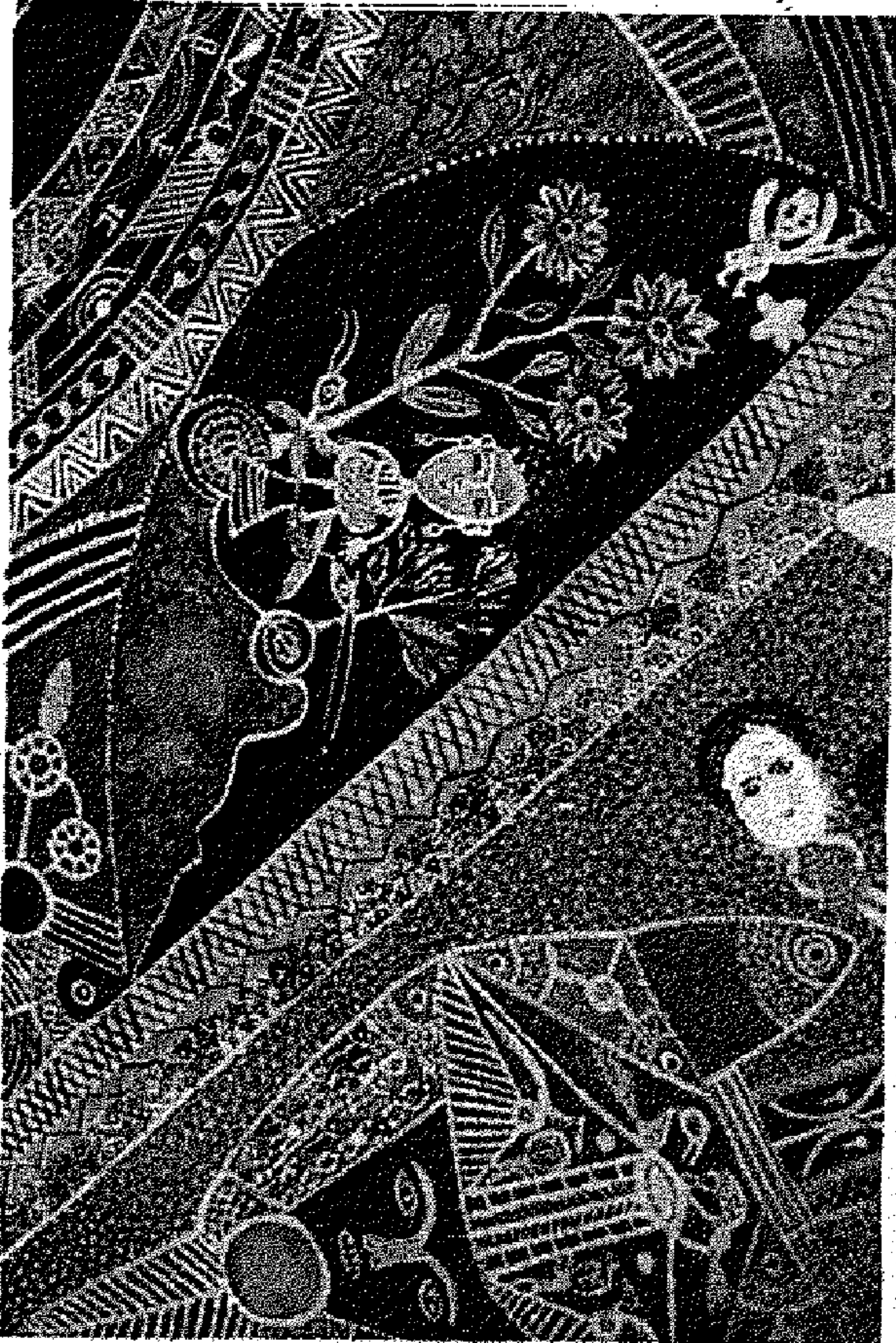
سخرية القرويين ـ وحين اخذ هونغ تونغ يعرض رسومه خارج معبد القرية، كان القرويون يرددون: "ان اطفالنا يسطيعون ان "يشخبطوا" افضل من ذلك". وكانوا يقولون ايضا: "هل جن هذا الرجل؟"

وملاء هونغ تونغ جدران بيته وبابه برسوم التنانين والزهر الملون والرموز الكتابية التي لا يستطيع احد قراءتها، كما اقام امام كوخه صليبا خشبيا. وانتشرت الاشاعات بانه "مسكون" خصوصا عندما كان يقول: "انني ارسم ما في قلبي، فاشعر بالارتياح، فلماذا ينبغي ان يفهم الاخرون ما افعله؟"

ولعل الفرد الوحيد في الاسرة الذي استطاع ان يفهم هونغ تونغ هو ابنه البكر هونغ ين، العامل في احد المصانع والذي كان يختار الهدايا لابيه، من أدوات الرسم. فكان ين يفكر في ان السن قد تقدمت بوالده، وان الوقت قد حان له لكي يستمتع بالحياة.

ولكن ين لم يلبث ان توفى على اثر مرض في كبده، فاصبح هونغ تونغ منطويا على نفسه. وذات يوم حار من شهر يوليو (تموز) ١٩٧٠، طرق باب بيتي في تاينان رجل تعلو وجهه

احدى لوحات هونغ تونغ الاولى، وهي تصور مجموعة من الوجوه الملونة مرسومة على قرطاس من الورق الاحمر.



ملامح الحزن الشديد، وقال: "هل يمكنني ان اسألك رأيك في بعض الرسوم؟" وقد تأثرت، وانا مدرس للفن، بقوة ما عرضه علي الرجل من الاشكال الغريبة والالوان الحية والرسوم المتشابكة الخطوط. واجبت هونغ تونغ انني اجد عمله فريدا ومليئا بقوة بدائية، ودعوته الى حث الرجل الذي وضع تلك الرسوم على الاستمرار في هذا العمل. فسألني عند ذاك، وقد بدأ وجهه يتألق: "هل هناك امل لي اذا؟" واعترف بحياء انه هو صاحب الرسوم.

وظل هونغ تونغ يتردد على مرسمي مرة كل يوم احد على فترة عامين تقريبا. واطلعته على مواد وطرق جديدة للرسم، ولم ابخل عليه بنقد اعماله.

وكان هونغ تونغ عنيدا ونافذ البصيرة ومليئا بحب الاستطلاع. ولعل اكثر ما كان ينقصه هو الثقة بالنفس التي افقدته اياها ملاحظات القرويين الساخرة.

وكان يرسم في البداية على قراطيس الورق الاحمر الذي يستخدمه الصينيون في الاحتفالات والمهرجانات. ثم انتقل الى ورق القطن والكتان السميك. وكان يرسم نساء وجوههن حمراء وخضراء وصفراء، واسماكا واوراق شجر تنبت من رؤوس بشرية ملتوية، ومباني تشبه القصور، واشكالا هندسية، ونباتات.

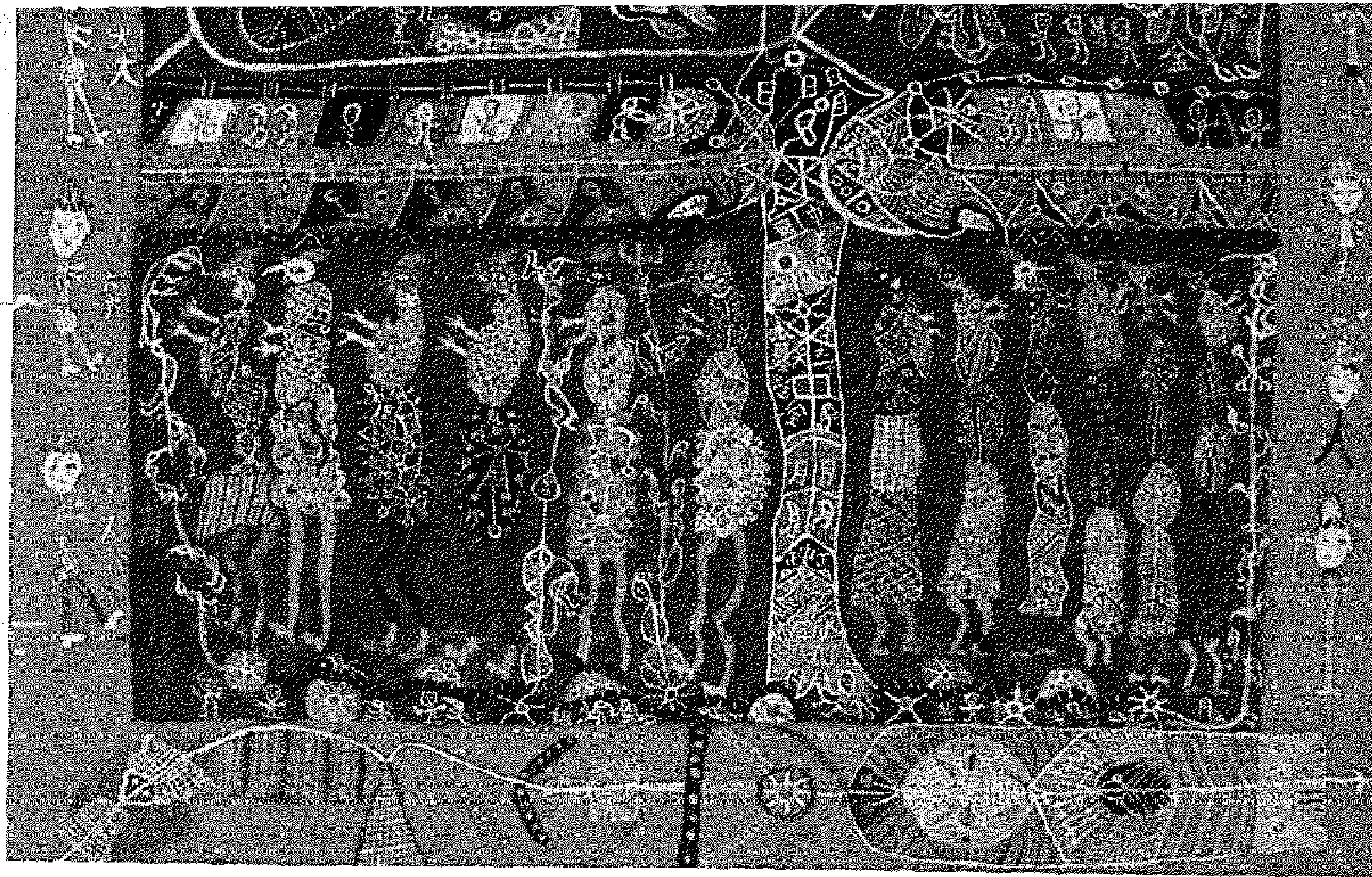
لوحات بلا عناوين – وعلى رغم ان لوحاته خالية من اي عناوين، الا ان بعضها يحمل كلمات بسيطة، مثل "الشمس"، "القمر"، "التل"، وكان



لوحة استكملت في عام ١٩٧٣، فأثارت سخرية القرويين، واجتذبت انتباه نقاد الفن.

الكثير من هذه التسميات متعذرا على الفهم. وقد قال هونغ تونغ في ذلك: "انني ابتكر كلمات تخصني وحدي". وربما كان في اعماقه توق لاشعوري وصراع قوي في سبيل العلم.

وعام ١٩٧٢، رأى مخبر صحافي من مجلة "الصدى" رسوم هونغ تونغ الزاهية الالوان فاجتذبته الاشكال الغريبة المبتكرة وكتب مقالا عنوانه "الفنان المجنون"، لفت اهتمام الاوساط الفنية في تايبيه. ولم تلبث المجلات والصحف الاخرى ان نشرت مقالات عن ذلك الرجل الهرم الغريب وعن اعماله الفنية العظيمة. وشبهه البعض بـ"الجدة موزيس" في الولايات المتحدة، وهي سيدة امريكية اصبحت



فنانة شهيرة بعد ان طعنت في السن.

وكان هونغ تونغ، طوال السنوات الثماني التي انقضت على مباشرته الرسم، يمتنع عن بيع ما انتجه من مئات اللوحات، لانها، كما كان يقول، "جزء من لحمي ودمي". الا ان الفقر والمرض قد ارغماه اخيرا على اختيار ١٦٠ منها وعرضها للبيع.

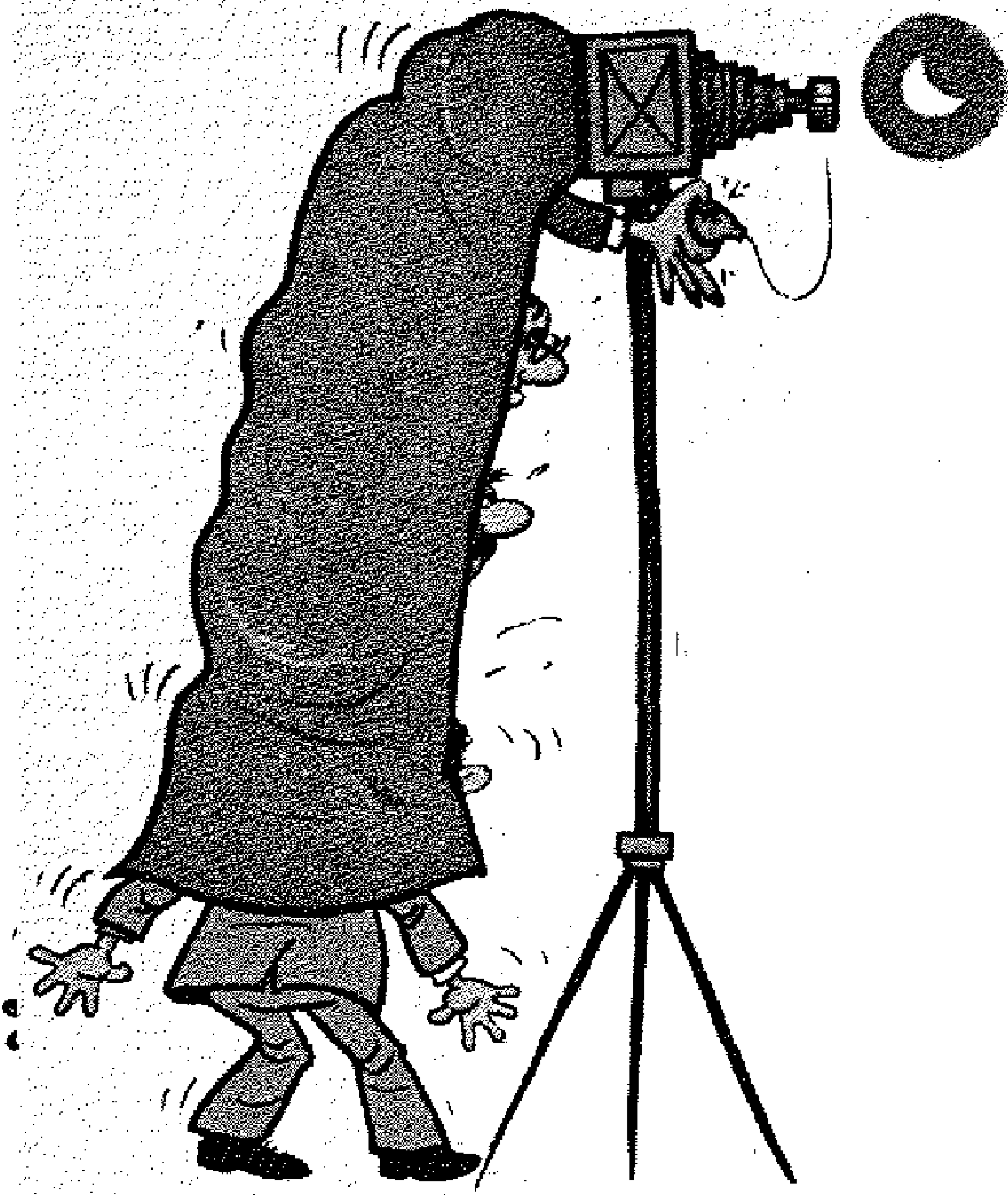
وما زالت رسوم هونغ تونغ تكسب المزيد من التقدير. ويقول الناقد الفني هو تشينغ كوانغ، في مجلة "الفنان": "ان اعمال هونغ تونغ تكشف عن عقلية طفل "هرم"، نقية وبريئة. ولكنه يتحلى بالصبر والقدرة والتقنية والاحساس باللون، مما لا نجده في فن الاطفال".

وقد شهد هونغ تونغ يوما رائعا عندما التقى رجال الصحافة في تايبيه، عشية افتتاح معرضه. وقد وصل متأخرا عن الموعد بما يقرب من الساعة وهو يرتدي قميصا رسم بيده على ظهره صورة رجل مسن يدق طبلة بحجر وقال للصحافيين تعليقا على هذا الرسم: "ان الصوت الذي تحدثه الطبلة هو "تونغ"وهو اسمي".

ان المرء ليتساءل عما اذا كانت رسوم هونغ تونغ هي اعمال رجل فذ ام رجل مجنون؟ وفي هذا الصدد، يقول الفنان والاختصاصي في النظريات الفنية ليو - تشي - وي: "هناك قدرة ابداعية يسودها الارتعاب، تنبثق من اعماق هونغ تونغ المترامية وراء نطاق الوعي، فتتيح له ان يهزأ، من ناحية، بعالمنا الحقيقي الواقعي القذر، وان ينثر، من ناحية اخرى، آيات التمجيد والتبجيل على دنياه التي لا شكل لها. فاعماله نابعة من شخصية فريدة وهي الفن الحقيقي".

■ **تسينغ بي - ياو**

صور من الحياة



لا تحب الثرثرة

في صالة العرض التابعة لوكالة السيارات التي اعمل فيها تقف سيارة من طراز فولكسفاغن ١٩٥١ وقد تم تجديدها في شكل أنيق وعرضت الى جانب النماذج الجديدة من السيارات. وذات يوم دخلت سيدتان مسنتان الى معرضنا فتوليت تعريفهما الى انواع السيارات المتوافرة حتى وصلنا الى الفولكسفاغن فاشارت احدى السيدتين اليها وسألتني عن طرازها. فبدأت بالشرح قائلا انها فولكسفاغن من طراز ١٩٥١، لكنها اعترضتني قائلة: "يا الهي! اولم تستطيعوا بيعها حتى اليوم؟".

ب.س.

صحافي جيد

منذ سنوات عدة توفي صديق حميم لمالك صحيفة "اريزونا ريبوبليك" يوجين. س. بوليام، وكان الصديق محاميا بارزا وكاتبا ووجها سياسيا، فطلب بوليام من هيئة تحريره ان تجمع اخبار تأبينه بالتلفون من ارجاء البلاد.

وفي الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والخمسين مساء اتصل بوليام بمكتب الصحيفة في المدينة واستفسر عن سير الامور من غير ان يحدد هويته.

فرد المنقح متذمرا: "بخير، من المتحدث؟".

- انا جين بوليام.

- اذا كنت جين بوليام حقا، فأحرى بك ان تعرف ذلك من دون ان تتصل قبل الموعد النهائي لانهاء الصحيفة، بخمس دقائق.

واغلق المنقح الخط في وجه مالك الصحيفة. فاتصل بوليام بمدير التحرير وسأله عن اسم المنقح ولما حصل عليه قال بوليام:

- امنحه علاوة. انه صحافي جيد.

بول دين عن "فينكس اريزونا ريبوبلك"

اضاف الطبيب الى صالة الانتظار في عيادته تشكيلة من النباتات الصناعية الخضراء الجميلة، وقد اكتشف احد المعجبين من المرضى، بعد تفحص دقيق، ان اوراق النباتات الصناعية تحاكي اوراق اللبلاب والسماق السامين (وهما نبتتان تولدان نوعا من الطفح الجلدي الشائع). وكان الطبيب، بالطبع، مختصا بالامراض الجلدية.

س.هـ.

الهدية المفضلة

كان مضى على مباشرتي العمل في سوق صغير لبيع الحاجيات المنزلية يومان حين دخل رجلان يبحثان عن بطانية من الصوف الخالص. ولما لم نكن نبيع هذا الصنف فقد عرضت عليهما بطانية من النسيج الصناعي (الاورلون) واسرفت في اطراء مزايا الاورلون على الصوف فقلت لهما انه لا يثير الحساسية وأكثر قابلية للغسل ويستخدم في الملابس الراقية ويوفر نعومة مترفة. ثم

ختمت اعلاني الدعائي باسلوب مغر متسائلا: "الا تتفقان معي على ان بطانية الاورلون اكثر نفعا في كل الاحوال ؟" •
فابتسم زبوناي وعلق احدهما "الا في حالنا • فنحن نبحث عن جائزة لنقدمها في حفلة غداء للاتحاد الوطني لمنتجي الصوف" •

د • ب •

دجاجتا المصرف

كان الميكانيكي الشاب يكد ويجهد في ضبط وترتيب ماكينة تعبئة الصكوك في المصرف الذي اعمل فيه • وعلى رغم الساعات الطوال التي امضاها في العمل فانه لم يتوصل الى كتم صريرها المزعج • وحل موعد اغلاق المصرف والعامل ما زال يكد • وبعد ساعات ، وفيما كان المسكين يريح ما بدا انه اخر الاجزاء المتحركة في الماكينة ، دخلت موظفة من قسم المحاسبة وحملت صندوقا صغيرا في داخله دجاجتان تصيئان اشترتهما لعيد الفصح • وما ان رحلت حتى انقطع الصرير الذي قضى الميكانيكي طوال النهار يحاول معالجته •

ر • و • م •

الشرقي "الجاسوس"

حين اضطررت الى استخدام سيارة العائلة ، بعد ان تسلمت وظيفة جديدة ، قرر زوجي وهو رجل شرطة اصلاح سيارته القديمة من طراز فورد ١٩٣٨ ليستقلها الى محل عمله • وذات مرة كان يقودها حين توقف امام اشارة المرور واذا بسائق دراجة نارية يقف في الممر الموازي له ويلقي عليه نظرة ازدراء ثم يصرخ: "يبدو انكم مستعدون للتخفي بأي شكل للتجسس علينا ، اليس كذلك ؟" •

أ • س •

بعض اطيب التمنيات

حضرت استقبالا اعداديا لحفلة زفاف وقد طلب من جميع المدعوين ان يكتبوا نصائح للعريسين • وكان بين المدعوين مدرسة سبق ان تتلمذ العروسان على يديها فقدمت اليهما النصيحة ذاتها التي قدمتها اليهما عندما كانا طالبين: "لا تدعا التلفزيون يشغلكما عن واجباتكما البيتية" •

م • هـ • و •

البديل المناسب

كنت واختي توأمين متماثلين ، وكان الارتباك الناجم عن ذلك مسليا لنا • لكن السخرية ارتدت علي حين بادرتني ذات يوم لتقول من دون مقدمات:
– قابلت صديقا قديما امس ، لكني بدوت مضجرة •
فأبديت تعاطفي معها وعلقت: "يا للخيبة" •
فاجابت: "ليس تماما ، فقد قلت له انني انت" •

د • ل •

قميص السعادة

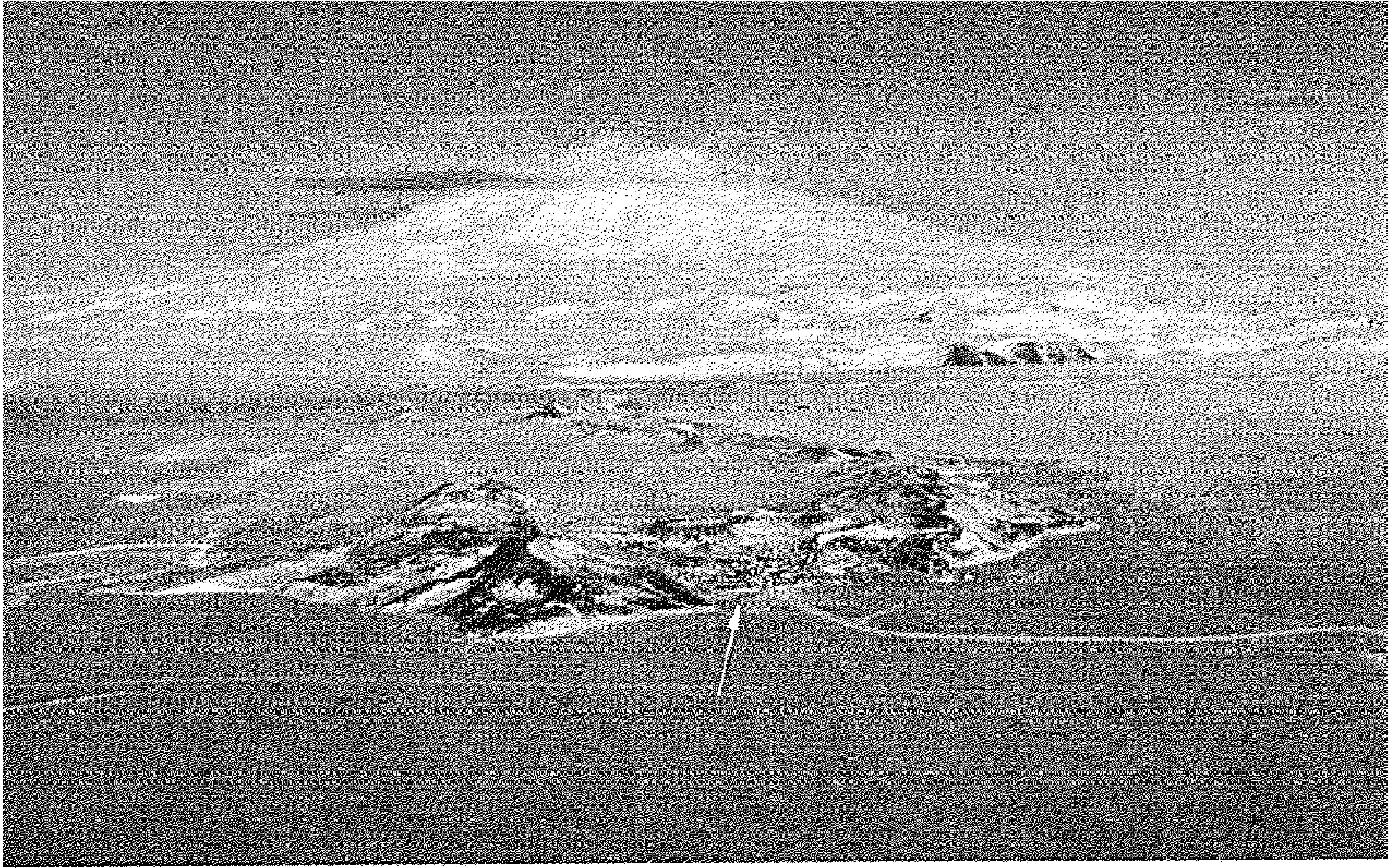
شعرت بالذنب والتقصير لان ولدي اضطر لليوم الثالث على التوالي الى الانتظار بعض الوقت في الصباح لكي "قميصه الذي ارتداه للذهاب الى المدرسة • لكني غيرت نظرتي واستعدت ثقتي بنفسي تلك الليلة حين زرت قاعة الصف الثالث حيث يدرس ولدي ، ووجدت على لوحة خاصة بالطلاب ما كتبه مع زملائه تحت عنوان "ثلاثة اشياء تجعلني سعيدا" • فقد كان رأي ولدي ان: "السعادة هي ان ترتدي قميصا لا يزال دافئا من أثر الكي" •

م • ي •

عالم عجيب

ذات صباح عاصف ، اتصلت ام بدا عليها قلق واضح بادارة مدرستنا سائلة اذا كانت السيارة التي تنقل ابنها قد وصلت الى المدرسة • وحين سألتها عن اسم ابنها وصفه قهقهت ثم اجابت بعد برهة: "في الواقع ، انه ليس تلميذا بل هو سائق السيارة" •

ب • م •



رحْلة الى قاع العَالم

مجاهل قارة القطب الجنوبي تحمل اسرارا حيوية بالنسبة الى مستقبلنا

في قاع العالم مكان تنخفض فيه الحرارة الى ٨٨ درجة مئوية تحت الصفر. هنا تعول الريح كأنها قطار منطلق بسرعة خاطفة على صفيحة جليد تبلغ سماكتها ثلاثة كليومترات. وما من أثر حتى لشجرة واحـدة. هنـا كان الناس يموتون. غير ان طفلا واحدا فقط ولد على هذه القارة المتجمدة.

كنت قد سمعت اخبارا كثيرة عن قارة القطب الجنوبي، ولكن، مع ذلك كنت، غير مهيأ لجمالها الرهيب وصمتها المخيف وتناقضاتها. هنا تشرق الشمس ٢٤ ساعة يوميا طوال اشهر، لكن معدل الحرارة السنوي يبقى دون ٣٧ درجة مئوية تحت الصفر. وقـد صنفـت قـارة القطـب الجنوبي في عداد الصحارى لان المطر الذي يسقط فيها قليل جدا. غير ان مساحتها البالغة ١٤ مليون كيلومتر

مؤسسة سوثبي
لندن - تمام الساعة ١١ صباحا



وسط جو الزحام المتوتر في الردهة الرئيسية، يقف بيتر ويلسون، رئيس مجلس ادارة مؤسسة سوثبي، ليباشر صفقة بيع بالمزاد.

وهو يوفق بين العروض بمهارة لا تخطىء، ومع ذلك فانه يشيع حوله في الوقت نفسه جوا من الاسترخاء يبعث على الدهشة.

ويقول بيتر ويلسون: "لا يمكنني النظر الى المزادات على انها مناسبات ينبغي أن تسودها الفخامة والعنجهية. فلست أرى في نفسي أكثر من مجرد سمسار ودود".

لقد أشرف بيتر ويلسون حتى الان على أكثر من ١٥٠٠ مزاد لكن الاثارة والاستعدادات التي تحيط بكل مزاد جديد تظل دائما موضع اهتمام فائق.

فهو يتقيد بمبدأ صارم، وهو ألا يعرض شيئا في مزاد قبل أن يكتسب دراية كافية به، سواء أكانت قيمته المنتظرة ٥٠ جنيها أو ٥٠٠٠٠ جنيه. ومنذ ما بدأ بيتر ويلسون عمله لدى سوثبي، نمت الشركة من مؤسسة صغيرة يعمل فيها ٣٦ موظفا حتى أصبحت مركزا لعالم الفن بلا منازع، تتولى تنظيم المزادات في نيويورك ومونت كارلو وهونغ كونغ وزوريخ، ويزيد عدد العاملين فيها على ١٠٠٠ شخص وليس هذا النمو بالانجاز الضئيل اذا ذكرنا أن بيتر ويلسون بدأ عمله أصلا كموظف تحت التجربة وبعقد لا تزيد مدته على ستة أشهر.

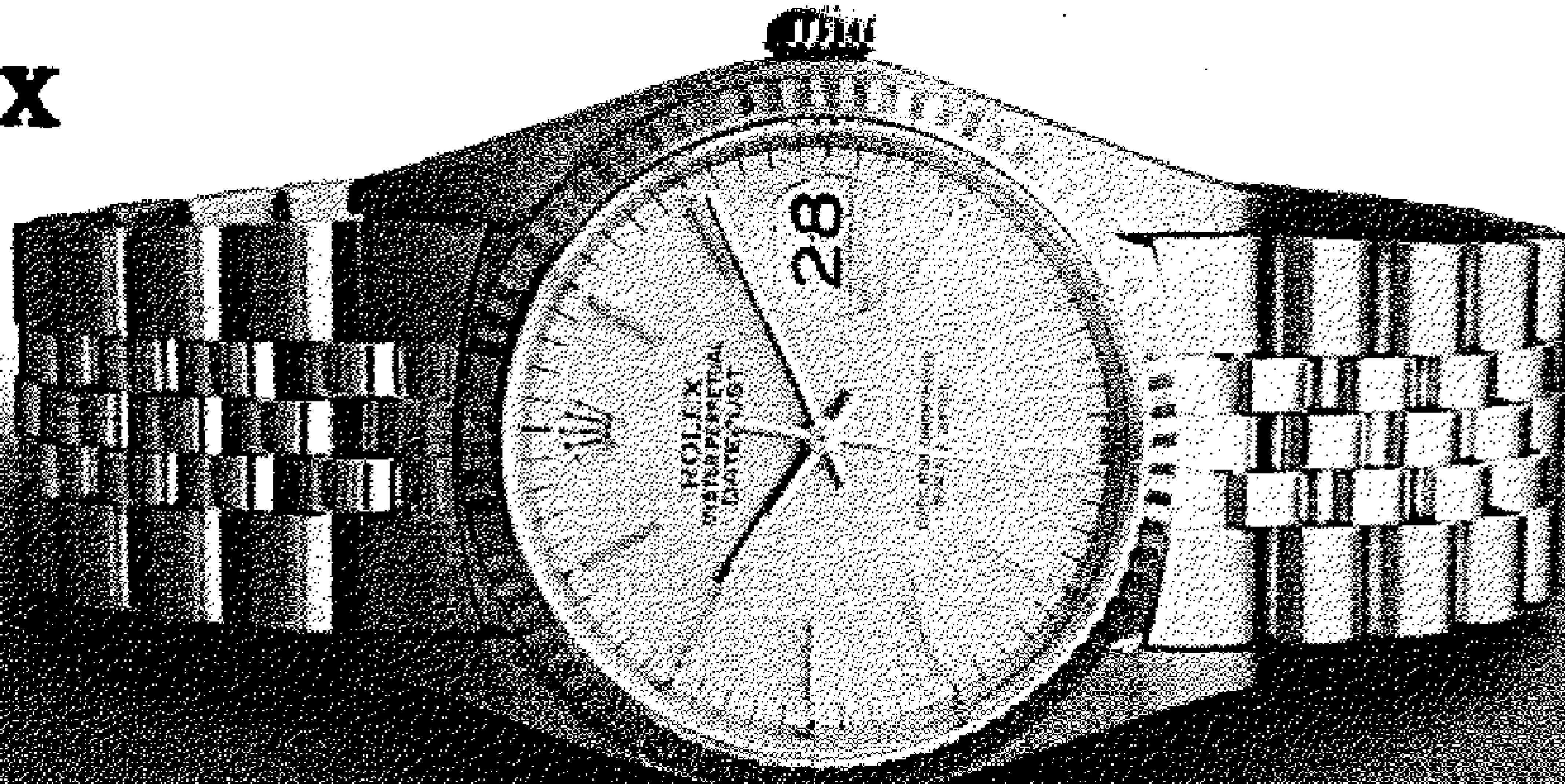
ويقضي بيتر ويلسون ربع عامه تقريبا في السفر متنقلا بين مكاتب مؤسسة سوثبي في مختلف أنحاء العالم. ولذا فان ضبط الوقت بالنسبة اليه عامل بالغ الأهمية.

والساعة التي يلبسها حول معصمه هي ساعة "روليكس ديتجست".

ويعترف بصراحة قائلا: "الحقيقة اني لست على اطلاع في الامور الميكانيكية، ولكنني أحترم الكمال في الصناعة أيا كان ميدانها".

وفي ما يتعلق بروليكس وضبط الوقت، فليس من قبيل الصدمة ان تجد في كل كتالوغ من كتالوغات سوثبي أن وقت البيع يحدد موعده "في تمام الساعة ١١ صباحا".

ROLEX
of Geneva



في الصورة: ساعة "روليكس ديتجست" من الصلب والذهب الابيض، ويمكن الحصول عليها أيضا مصنوعة من ذهب عياره ١٨ قيراطا أو من الصلب الذي لا يصدأ، مع سوارها المناسب.

مربع تشتمل على ٩٥ في المئة من ثلج العالم وجليده. واذا كانت البحار التي تحيط بالقارة تعج بالمخلوقات المائية، فان عددا قليلا فقط من الحشرات المجهرية ظهر في هذه الكتلة الارضية وبقي عليها. ومختصر القول ان لقارة القطب الجنوبي بيئة هي اقسى البيئات واشدها عداء في العالم. ومع ذلك، فان ٣٣٥ عالما من الولايات المتحدة قاموا عام ١٩٧٧ بمغامرة فيها لاجراء تسعين مشروعا مستقلا للبحوث في اشراف مؤسسة العلوم القومية.

ويبدو بعض مشاريعهم شديد الغرابة حقا. على ان لبعضها الآخر علاقة واضحة وعملية بالحياة البشرية في الوقت الحاضر. هل يعمل الهباء العالق في الهواء على تدمير طبقة الاوزون التي تقي الارض اشعة الشمس فوق البنفسجية، ولمعرفة الجواب، يتولى العلماء في القطب اخذ عينات من مادة الكلوروفلور الكربونية من طبقة الستراتوسفير. وهل الصفيحة الجليدية غرب القارة آخذة في الانهيار؟ لقد تأكد باحثو مؤسسة العلوم القومية ان هذه الصفيحة تقلصت نحو ألف كيلومتر خلال ١٧ ألف عام. والنتيجة المرتقبة لذلك في المستقبل هي احتمال ارتفاع مستويات المحيطات في الكرة الارضية نحو خمسة امتار ونصف متر او ما يزيد على ذلك، وهو ارتفاع كاف لاغراق مدن كنيويورك ونيو اورلينز وبالتيمور. ثم هل يتوقع ان تكون قارة القطب الجنوبي مصدرا للطاقة ؟

عد الايام – منذ فترة وجيزة توجهت بصحبة ستة مراسلين آخرين الى قارة القطب الجنوبي بالطائرة للحصول على اجابات عن مثل هذه الاسئلة. وبعد رحلة جوية شاقة استغرقت ٣٦ ساعة قطعنا فيها ١٥٦٦٠ كيلومترا من بوينت موغو في كاليفورنيا عبر كرايست تشيرتش، في نيوزيلندا، وصلنا الى محطة ماكموردو، وهي كبرى قواعد الولايات المتحدة الاربع في قارة القطب الجنوبي. (هناك على كل حال، ٣٢ محطة عاملة طوال السنة تحت ١٢ جنسية).

ومحطة ماكموردو مبنية على تلال من رماد بركاني اسمر اللون، في الرأس الجنوبي لجزيرة روس. وهي ذات شوارع غير ممهدة وابنية رتيبة متشابهة تشابه المساكن الجاهزة. وهناك الوف الامتار من الاسلاك والكابلات والانابيب المنتشرة المتشابكة كمتاهة محيرة. وخلال الصيف الجنوبي الذي يمتد من اوائل اكتوبر (تشرين الاول) حتى نهاية فبراير (شباط)، تغدو هذه المحطة مسكنا لمعظم العلماء وللقسم الاكبر من ٦٠٠ عسكري ومدني يساعدون العلماء في نشاطاتهم.

وعلى رغم وفرة التسهيلات الترفيهية في القاعدة، فان كثيرين من العاملين فيها يشعرون بانه لا مجال هنا لنشاط واسع "غير الاكل والنوم وعد الايام حتى موعد الاياب الى الوطن"، اما العلماء فليسوا كذلك.

بعد ظهر اليوم الاول، التقينا آرثر ل. ديفريس، العالم الفيزيولوجي من جامعة ايلينوي الامريكية، البالغ ٣٧ عاما، في "كوخه السمكي" على الجليد. كان يقوم بعمله اليومي، وهو

التقاط سمك القد القطبي الكبير الحجم، البالغ نحو ٧٠ كيلوغراما، على كابل فولاذي مرقم لتحديد الاوزان، وهو يمتد على عمق ثلاثة امتار تقريبا في الجليد، الى قاع بحر روس الواقع على مسافة ٥٠٠ متر. اما الاسماك الاخرى فتتجمد في المياه التي تتدنى حرارتها الى ١،٩ درجة مئوية تحت الصفر. لكن هناك شيئا ما في دم القد القطبي الجنوبي يمكنه من البقاء حيا، وهو الغلوكوبروتيين الشبيه بالمادة التي نضعها في سياراتنا لمقاومة التجمد. لقد صرف ديفريس، الذي اكتشف الغلوكوبروتيين، بضع سنوات في تحليله. وربما كشفت دراساته ذات يوم كيفية اختزان دم الانسان و"العقاقير السحرية" لفترات اطول من الماضي. يضاف الى هذا ان اكتشافاته قد تساعد زارعي الاشجار الحمضية على تمكين مواسمهم من مقاومة الصقيع.

مكان رهيب — وفي الصباح الباكر من اليوم التالي صعدنا طائرة تابعة للبحرية من طراز "هيركولز ال - سي - ١٣٠" مجهزة بمعدات التزلج، للانتقال الى القطب الجنوبي على مسافة ١٣٥٠ كيلومترا. وكان المكتشف الانكليزي روبرت فالكون سكوت قضى شهرين ونصف شهر عام ١٩١٢ لاجتياز هذه المسافة التي قطعناها في ثلاث ساعات. وبعدما وقع نظره على القطب للمرة الاولى كتب سكوت: "يا الهي! هذا مكان رهيب". وما ان نزلت من الطائرة حتى ادركت ما عنى بهذا القول. ان الرجال الذين "يقضون الشتاء" هنا يبقون ثمانية اشهر من السنة منقطعين عن العالم لولا الراديو. وتمتد في الاتجاهات كلها مساحات شاسعة من البياض تتخللها تموجات رقيقة من الثلج. والهواء هناك رقيق، تتألف فيه بلورات جليدية. والسير على ارتفاع ٢٨٠٠ متر يقتضي جهدا يجعل القلب يخفق بقوة.

ان قاعدة الولايات المتحدة هنا مكونة من قبة ذات الواح الومنيوم مشدودة للوقاية من الثلج الزاحف باستمرار. وداخل هذه القبة تقوم الابنية التي يتناول فيها الرجال طعامهم وينامون ويقومون بالبحوث.

ولما كانت قارة القطب الجنوبي منشأ الطقس في نصف الكرة الجنوبي، فانها توفر للعلماء فرصة لدراسة انماط الاحوال الجوية في العالم. ولما كانت هذه القارة خالية عمليا من الزلازل، فان القطب يشكل ايضا "محطة اصغاء" او "محطة التقاط" مثالية لقياس قوة الزلازل في مواقع اخرى. ثم ان القارة مكان فريد لاجراء البحوث الطبية. وقد عبر طبيب المحطة، الدكتور فريدريك كورنر، عن ذلك بقوله: "ان البيئة الخارجية هنا خالية من الجراثيم بسبب الانخفاض الكبير في كثافة السكان". وفي هذا الجو النقي، الخالي من الجراثيم، يشترك الدكتور كورنر بدراسة متواصلة لمؤسسة اوكلاهوما للبحوث الطبية من اجل معرفة ما اذا كان عزل الانسان لفترة طويلة يؤدي الى خفض مناعته حيال المرض.

عجول البحر — وفي موقع يسمى هاتون كليفس، على مسافة ١١٩٠

كيلومترا شمال القطب، يتولى عالم الثدييات البحرية دوغ ديماستر وزوجته جانيت توماس الباحثة في ميدان العلاقات بين العضويات الحية وبيئاتها، من جامعة مينيسوتا، دراسة العجول البحرية او الفقمات. وهناك مولد كهربائي يمكن حمله لتوليد الطاقة في كوخ الزوجين الخشبي البالغ ستة امتار طولا وثلاثة امتار ونصف متر عرضا. وفي داخل الكوخ ارتني جانيت الاجهزة المتوافرة لهما، وهي: مسجل ينبئهما بوجود عجول بحرية على السطح في اي وقت من الاوقات، وسلسلة من مكبرات الصوت واشرطة تسجيل موصولة بمسماع للصوت موضوع تحت الماء، مما يمكنهما من سماع صرخات العجول البحرية، وجهاز تلفزيون يمكنهما من مراقبة العجول البحرية وهي تلعب تحت الجليد على مسافة مئة متر.

وادارت جانيت مفتاحا، فرأينا اما وصغيرها يسبحان ببطء امام عدسة التلفزيون. ثم ادارت مفتاحا آخر، وترددت في الكوخ اصداء "اصوات" سحرية وخشنة من تحت الماء، كان بعضها شبيها بازيز القنابل في الحرب العالمية الثانية. ترى هل تطلق هذه العجول البحرية صرخات فوق صوتية مما لا تستطيع المخلوقات البشرية سماعه؟واذا كان الامر كذلك، فلماذا ؟ هذان سؤالان من الاسئلة التي كانت جانيت تريد ان تجد لها جوابا.

وبعد ذلك قفزنا نحن الثلاثة، دوغ والباحثة المساعد اورين ج. رونغستاد وانا، الى عربة تشبه الدبابة وتشق الارض شقا، لنتولى عد العجول البحرية شمال رأس اريبوس الجليدي. وفي عام ١٩٧٥ كان ديماستر وثلاثة من زملائه في مهمة مماثلة في مثل هذه العربة الدبابة حين اخترقت الجليد. وارتفعت المياه الشديدة البرودة الى خصر دوغ قبل ان يتمكن من انقاذ نفسه بالصعود الى السطح المتجمد. وكانت العربة قد غرقت في مياه عمقها ٤٥٠ مترا، وغرق احد زملائه معها. وعلمت هذه الخبرة دوغ ان الهلاك ليس ببعيد ابدا حتى في ارض السلام هذه. ووظيفة دوغ هي احصاء العجول البحرية في بقعة مساحتها مئة كيلومتر مربع، ثم تحليل قدراتها على التناسل والحياة والحركة. وليس هذا الموضوع اكاديميا.

موارد كثيرة — وقد يكون النفط موجودا على مسافة غير بعيدة من هاتون كليفس. وترتفع تقديرات احتياطي القارة منه الى نحو ٤٠ مليار برميل. على انه قبل ان تستخرج المؤسسات هذا النفط، لا بد من الاجابة عن اسئلة عدة حول تأثير استخراج النفط على المخلوقات الحية في المنطقة. وسيساهم فريق البحوث من جامعة مينيسوتا في تأمين الاجابات المطلوبة.

وما النفط سوى واحد من موارد كثيرة قد تكون دفينة تحت الجليد او في البحار المجاورة. وهناك مورد آخر من السمك القشري الشبيه بالقريدس، من ذوات الارجل المتعددة. وهو غني بالبروتيين وصالح للاستهلاك البشري وموجود بكثرة في هذه المياه. وقد اكتشف العلماء دلائل على احتمال وجود الغاز

الطبيعي مقابل طبقة روس المتجمدة. كذلك وجدت كميات من الكوارتز والحديد الخام في منطقة كوين مودلاند، بينما عثر المكتشفون في شبه جزيرة قارة القطب الجنوبي على معادن الكروميوم والنيكل والكوبالت والمنغنيز. وفي موقع اقرب الى ماكموردو توجد طبقات من الفحم والبوكسيت. ثم ان علماء من جامعة كانساس كانوا، خلال زيارتنا، يستخدمون الطوافات بحثا عن عروق من الاورانيوم. ومن الواضح ان قارة القطب الجنوبي يمكن ان توفر العون المطلوب لعالم في اشد الحاجة الى الموارد الطبيعية.

ومع هذا كله، فان احدا لم يحاول حتى الان ان يستثمر هذه الثروات. ومن اسباب ذلك الكلفة الباهظة لاستخراج الموارد من قاع العالم ونقلها. وهناك سبب آخر اكثر خطورة هو معاهدة (١٩٦١) في شأن قارة القطب الجنوبي، وقد صدقتها ١٩ دولة. وبموجب هذه المعاهدة، اتفقت الدول المعنية على تعليق خلافاتها حول مطاليبها من الارض. ولعل الروح التي تكمن وراء هذه المعاهدة وجدت التعبير الافضل عنها في الكتابة الموجودة على تمثال نصفي من البرونز، للادميرال رتيشارد اي. بيرد، مشرف على مضيق ماكموردو. وهي تنص على "ان قارة القطب الجنوبي، في ثوبها الرمزي الابيض، سوف تبرز كقارة للسلام، فيما تقدم الامم مثلا على التعاون الدولي".

ويعترف العلماء العاملون في قارة القطب الجنوبي بان مشاريعهم ليست كلها ذات اهداف تطبيقية مباشرة. ومع ذلك، فانهم يشعرون بان البحث الاساسي امر قيم ولا بد منه. ويكلف مشروع الولايات المتحدة ٤٨ مليون دولار في السنة، ونصفه تقريبا مخصص للعلوم. لكن العلماء يصرون على ان هذه النفقات تبدو ضئيلة اذا ما قيست الى المكاسب المتوقعة.

وبعد قضاء نحو اسبوع في القارة المتجمدة، لم اجد بدا من موافقتهم على ذلك. وأدركت كذلك سبب عودتهم عاما بعد عام الى هذه البيئة المعادية. وعبر دوغ ديماستر عن ذلك بقوله: "لقد ثبت ان فرصة العمل في قارة القطب الجنوبي خبرة لا تقدر بثمن. ولعل هذه السنوات هي افضل سني حياتنا".

■ تريفور آرمبريستر

ملكات العالم الواعي

دخل دب ضخم احد البارات وطلب كوبا من البيرة، فجاء احد السكارى واحتضن الدب وضمه اليه بقوة فما كان من الدب الا ان امسك به وقذفه الى الخارج على قارعة الطريق.

فغمغم السكران وهو يلملم اطرافه متعثرا:

"بعض النساء اذا ملكن معطفا من الفراء حسبن انهن ملكن العالم!

ج.د.

ذات الرئة لاتزال فتّاكة

على رغم العقاقير المضادة للجراثيم
ولقاح جديد يبشر بالخير، فان هذا المرض الغدّار
يشكل احد أسباب الوفاة الرئيسية

على رغم ازدياد زكامه سوءا، فان ديفيد تجاهله لانه لم يشأ التغيب عن عمله من جراء ما كان يبدو انه مرض خفيف، وبقي يعمل ١٤ ساعة يوما بعد يوم حتى عندما بلغت حرارته ٣٩،٥ درجة مئوية.

لكنه أخذ يشعر بألم في صدره ويتنفس بصعوبة، فبادر الى استدعاء طبيبه. وبدا ان الوقت فاته، لان الالتهاب الذي نشأ أثر الزكام انتشر في رئتيه انتشارا واسعا بحيث لم يعد من مجال لانقاذ حياته سوى العناية الفائقة في المستشفى.

لقد كان ديفيد محظوظا. ففي حين يظن كثيرون منا أنه تم التغلب على مرض ذات الرئة منذ أمد طويل، الا انه لا يزال في الحقيقة مرضا غداراً يفتك بمن يصيب. وتجدر الاشارة الى ان هذا المرض "انتهازي"، يصيب تكرارا وبعنف اولئك الذين أوهنت أجسامهم متاعب أخرى.

فان كنت تحت وطأة الانفلونزا او السكري او فقر الدم الناجم عن الخلايا المنجلية او الخلل الاحتقاني في القلب، فانك تكون هدفا اوليا لهجوم ذات الرئة. وان كنت تعاني متاعب في جهاز التنفس كالربو او انتفاخ الرئتين او التهاب الشعب الهوائية، فانك تواجه خطرا قويا من الاصابة بذات الرئة. وكذلك يهيىء التدخين احيانا مجال الاصابة بذات الرئة وعلى الاخص بالنسبة الى المرضى الذين يعانون متاعب في جهاز التنفس كالتهاب الشعب الهوائية وانتفاخ الرئتين.

ان ذات الرئة علة تقتصر في العادة على الصغار جدا ومن تجاوزوا الخمسين من عمرهم. كما أن قسوة

فصل الشتاء ترفع نسبة الاصابة. وتهاجم هذه العلة بشدة اولئك الذين اعترى نظام مناعة اجسامهم ضعف، وهو النظام الذي يدافع عن الجسم ضد الامراض. ومن بين اولئك مرضى السرطان والذين أجريت لهم عمليات زرع اعضاء او الذين يعانون امراضا يشن فيها نظام مناعة الجسم حربا ضد انسجة الجسم ذاته، ويبقون على قيد الحياة عن طريق تعاطي عقاقير كابتة للمناعة. وبما ان الاجسام الحية القادرة على انتاج مرض ذات الرئة موجودة في كل مكان، فان التقديرات تشير الى أن ما بين ٣٠ و٧٠ في المئة من الناس يحملون في اي وقت من الاوقات نوعا من الجراثيم القادرة على انتاج هذا المرض. ويكون المريض الذي يتعاطى عقاقير كابتة للمناعة في خطر مطرد من الاصابة بذات الرئة.

هجوم ودفاع – ان المراحل التي يمر فيها مرض ذات الرئة لا تتغير سواء أكان سببه الجراثيم او الفيروس او الفطر. وعندما يكون المرء في حالة وهن جسدي، يتولى أحد الاجسام الحية المسببة للالتهاب الرئوي غزو الرئتين. وبعد ان تكون قد ترسخت وأخذت في التكاثر، تتدفق سوائل من الشعيرات الدموية الى اكياس الهواء التي تتكون منها الرئتان. ومن ثم تبدأ وسائل الدفاع في الجسم، اي نظام مناعته، بشن هجوم مضاد. وتتوجه كريات الدم البيضاء، وهي في عداد اسلحة نظام المناعة، الى الرئتين لمكافحة المعتدي الدخيل.

وبسبب امتلاء أكياس الهواء في الرئتين بالعنصر الدخيل والكريات البيضاء والسوائل لا يبقى فيها متسع كاف لاستيعاب الاوكسيجين. ويبدأ المصاب بسعال يكاد لا ينقطع سعيا منه الى اخراج البلغم الذي يسد الرئتين، ويشهق لادخال الهواء من اجل توفير مزيد من الاوكسيجين للجسم.

والالتهاب الرئوي الجرثومي هو من بين انواع ذات الرئة الرئيسية، وهو مسؤول عن أعلى نسبة وفيات بين المصابين بهذا الداء، اذ ان الالتهاب الرئوي الناجم عن الفيروس او الفطر يكون عادة اخف وطأة. وفي امكان المصاب الذي لا يعاني اي مرض آخر ان ينجح، وغالبا ما يستطيع ان ينجح، في مقاومة هذين النوعين من الالتهاب الرئوي من دون مساعدة طبيب. الا ان الالتهاب الرئوي الجرثومي يمكن ان ينتشر ويصل الى الغشاء الخارجي الذي يحيط الرئتين والى التجويف الصدري وحدود القلب. وفي امكانه ان يدمر – كما يفعل حقا – الانسجة الرئوية، حتى انه في حالات المعالجة المبكرة الصحيحة يقضي الالتهاب الرئوي الجرثومي – وهو اكثر انواع الالتهابات الرئوية شيوعا – على ٥ في المئة ممن يصابون به. واذا انتشر في الدم كما يحدث عادة في ربع الحالات، فان نسبة الوفيات ترتفع ارتفاعا حادا الى ٤٠ في المئة حتى مع استعمال العقاقير المضادة للجراثيم بمقادير كبيرة.

وبما انه يلزم بعض الوقت لاجراء تجارب مخبرية بقصد التأكد تماما من نوع مسبب ذات الرئة – هل هو جرثومة او فيروس او فطر – فان كثيرين من الاطباء يختارون استعمال مضادات الجراثيم على أساس

عشوائي على رغم كونها غير فعالة ضد الفيروس.

المضادات والاخطار — وفي حال ترك الالتهاب الرئوي الجرثومي من دون علاج، وان لفترة قصيرة تراوح بين ثلاثة ايام وخمسة ايام، فان المرض يكتسب في هذه الفترة زخما كافيا للقضاء على المصاب على رغم المعالجة في آخر لحظة باستعمال مضادات الجراثيم. وظنا منهم بأن حقنة واحدة سريعة من البينسلين ستنقذهم في أي وقت، فأن بعض مرضى ذات الرئة يؤجلون زيارتهم للطبيب حتى الدقيقة الاخيرة، غير عالمين انهم بذلك يجازفون بحياتهم.

ومضادات الجراثيم عقاقير لا تخلو فعلا من الاخطار، وقد يعطي بعض الاطباء مرضاهم الذين يعانون اصابة شديدة بذات الرئة البنسلين من دون ادخالهم المستشفى، قناعة منهم بأنه عقار شامل الفعالية. بينما يعطي اطباء آخرون مضادات الجراثيم في حالات امراض الجهاز التنفسي من غير مبرر لاستعمالها. وهذا قد يؤدي الى موقف سلبي من هذا العقار، يمنع استعماله في وقت لاحق عندما يكون ضروريا. واستعمال مضادات الجراثيم بلا تمييز على هذا النمط قد يزيد من قابلية المرء للاصابة بذات الرئة، لان العقاقير تقضي على الجراثيم التي تعيش بلا ضرر في المداخل العليا المؤدية الى جهاز التنفس. فالجسم نظام حيوي بيئي دقيق التوازن. وتلك المناطق في الفم والحنجرة حيث كانت تعيش الجراثيم التي قضي عليها، لن تبقى خالية. ستنتقل اليها جراثيم جديدة قد تكون من النوع الصامد طبيعيا لمضادات الجراثيم، ويمكنها ان تسبب لاحقا اصابة شديدة بذات الرئة تصعب معالجتها.

ويظن بعض الخبراء ان الحماسة المفرطة في استعمال مضادات الجراثيم قد تسبب خطرا آخر عن طريق تمكينها بعض انواع جراثيم ذات الرئة التي كانت تتأثر بمضادات الجراثيم من اكتساب حصانة ضد هذه العقاقير.

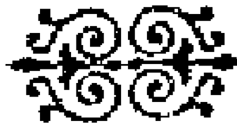
وبما ان مضادات الجراثيم لم تثبت فعاليتها التامة غير المنقوصة ضد مرض ذات الرئة الجرثومي، وبما ان كثيرا من الامراض المختلفة والمعالجة الطبية يمكن ان ترفع خطر الاصابة بذات الرئة، فقد سارع العلماء الى البحث عن لقاح جرثومي ضد هذا المرض في الولايات المتحدة الامريكية. وأدى هذا الجهد أخيرا الى لقاح يعمل ضد الجرثومة المؤدية الى ثلاثة ارباع الحالات في مرض ذات الرئة الجرثومي. وثبت في التجارب التي أجريت على ٢٧ ألف متطوع ان اللقاح فعّال بنسبة ٨٠ في المئة لمنع الاصابة بذات الرئة.

ويتوقع الباحثون ان يسلب هذا اللقاح جل ما ينطوي عليه الالتهاب الرئوي الجرثومي من قوة، خصوصا بعدما أضحى الان في متناول المرضى ذوي الاصابات القوية.

البحوث مستمرة — على اي حال، فان العلماء يشعرون بأن البحوث حول ذات الرئة يجب ان تستمر ويتسع نطاقها. فهم يريدون ان يعرفوا لماذا تسبب الجراثيم الرئوية الموجودة في كل مكان التهابا لاشخاص يبدو انهم في حال صحية جيدة، ولا تسبب

التهابا مماثلا لاشخاص آخرين.
وأخيرا - وربما كان هذا أهم ما في الامر - يسعى خبراء الالتهابات الرئوية جاهدين الى اكتشاف سر القوة الفتاكة في ذات الرئة. فهم يعرفون كيف يبدأ المرض وكيف ينتشر، لكنهم يجهلون لماذا تعسر معالجته أحيانا في حالات مبكرة من الاصابة.
وعلى رغم التقصير في انواع المعالجة الراهنة لمرض ذات الرئة، فان الاطباء يشددون على ان العناية الفورية يمكن ان تقطع مدى بعيدا نحو السيطرة على العلة. فان كنت تعاني مشكلات صحية أخرى كأمراض القلب او التهاب الشعب الهوائية، فعليك استشارة الطبيب لدى شعورك ببوادر برد أو زكام. وان كنت تتمتع بصحة جيدة ولكن كان معك زكام او انفلونزا، فاعتن بنفسك على خير وجه. وان كنت تظن ان مرض ذات الرئة برز معك على رغم ما تبذله من جهود، فعليك بطلب العون. ويقول احد الخبراء: "عندما تبرز لديك أعراض صدرية ملحوظة مثل ألم او سعال عميق، فلا تهمل ذلك، بل راجع طبيبك فورا".

■ جون فريد



تأمين التأمين

في يناير (كانون الثاني) ١٩٠٥، بينما كان مدير منجم الماس الرئيسي في جنوب افريقيا يتنزه بين الحفر خلال فترة الغداء، رأى بريقا ظنه للوهلة الاولى قنينة مكسورة. وحين حاول انتزاعه بعصاه من بين الحجار التي طمر فيها، وجد انه ماسة في حجم ليمونة.

وعرفت هذه الماسة الباهرة في ما بعد باسم "كالينان". وهي اكبر ماسة اكتشفت حتى اليوم، اذ تزن ٧٣٠ غراما وتبلغ أبعادها ١٠×٣، ٦×٥ سنتيمترات، وتتخذ شكل حجر ناصع البياض.

وقد اشترت حكومة ترانسفال ماسة "كالينان" وأهدتها الى ملك بريطانيا ادوارد الثامن. وهنا ثارت مشكلة: من يتكفل بنقل هذه الجوهرة الى انكلترا في أمان؟

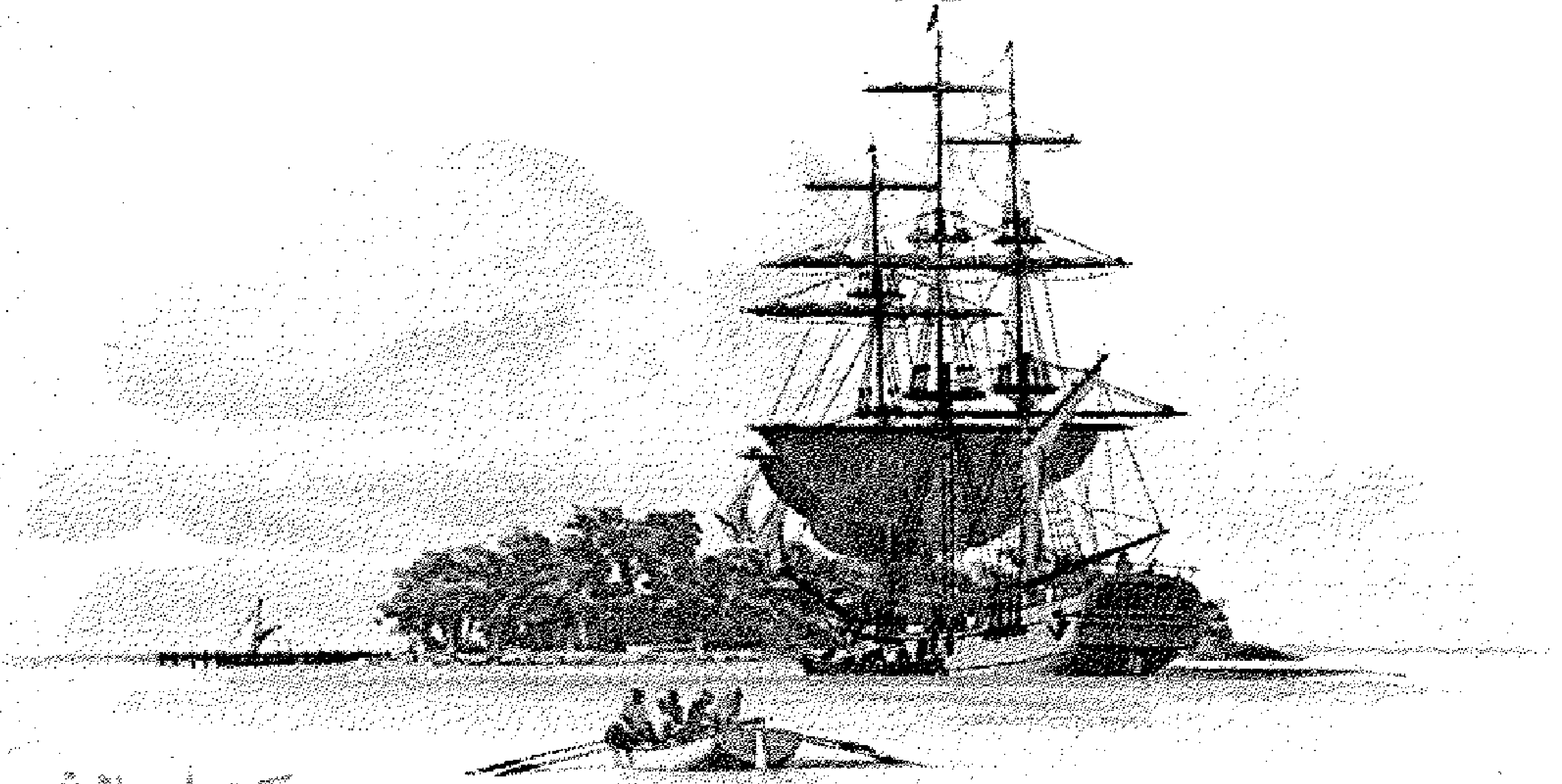
وبعد جدل طويل ودعايات صحافية كثيرة، غادر اربعة رجال مدججين بالسلاح المنجم الرئيسي، يحملون معهم حقيبة بريد جلدية. وبعدما قطعوا مسافة ٤٨ كيلومترا من المروج المكشوفة للوصول الى بريتوريا وهم تحت حراسة مشددة، استقلوا عربة خاصة ملحقة بقطار البريد المسافر الى مدينة الكاب.

وفي الباخرة التي اقلتهم الى انكلترا، اعدت خزانة خاصة وضعت فيها حقيبة البريد هذه حيث يرابط اثنان من الرجال الاربعة نهارا وليلا الى جانبها. وفي ميناء ساوثامبتون كان في انتظارهم قطار اقلهم الى لندن. وكانت تحف به حراسة مشددة من الشرطة حتى اوصلت الحقيبة الى المصرف الذي اوكلت اليه مهمة تسلم الماسة.

وحين فتح الطرد في حضور مجموعة من كبار الموظفين، لم يكن يحوي ما هو اثمن من كتلة فحم! اما الماسة فقد غلفت بقطن طبي وبعض القماش، ووضعت في صندوق من الورق المقوى وارسلت الى انكلترا عبر بريد الطرود من دون ان يشعر احد، حتى مدير البريد، بانها ضمن البريد العادي.

أ. باول في كتاب "هناك تكمن المغامرة"

الجذور



كتاب الشهر

ملخّص من كتابٌ بقلم اليكس هيلي

هذه قصة الامريكيين السود.

ان قصة كونتا كينتي، السلف الافريقي لاليكس هيلي، لا تقتصر على وصف الالام المبرحة التي قاساها رجل فرد فحسب، وانما هي تعبر باجلى المعاني عن جوهر الكفاح الملحمي الذي قام به الامريكيون السود.

وفي هذا الجزء الاول من القصة، يصور هيلي طفولة كونتا وصباه، ثم وقوعه اسيرا في ايدي تجار الرقيق خلال عام ١٧٦٧ والمحنة التي كابدها عبر الاطلسي على متن احدى سفن العبيد المسترقين.

اما الجزء الثاني الذي سننشره في عددنا المقبل، فانه ينتقل بنا مع كونتا الى عالم العبودية والقسوة في امريكا.

الجذور

في بواكير الربيع من عام ١٧٥٠ رزق عمر كينتي وزوجته بينتا كيبه طفلا ذكرا، في قرية جوفوري التي تقع على مسيرة أربعة ايام صعودا في النهر من ساحل غامبيا في افريقيا الغربية. وما ان انسلخ هذا الطفل عن امه الفتية المتينة البنية والسوداء البشرة وتغشى حبيبات دمها جسمه الزلق، حتى تعالى منه الصراخ، بينما ارتسمت ابتسامات الابتهاج على ثغري القابلتين العجوزين المتجعدتي البشرة نيوبوتو وجدة الطفل لابيه يابيسا، ودوت قهقهات ضحكتهما المتقطعة حين تبين لهما انه طفل ذكر.

ويعتبر الطفل البكر اذا جاء ذكرا - حسب اعتقاد الاسلاف الذين اعتنقوا الاسلام منذ مئات المواسم السنوية الماطرة - فألا طيبا بنعمته تعالى.

وتمت الولادة ساعة واحدة قبل صياح الديك، وكانت خيوط الدخان الازرق تتصاعد في شكل لولبي من نيران الطهي وتنتشر معها رائحة الاطعمة النفاذة المستحبة عبر القرية الصغيرة المتربة المؤلفة من اكواخ الطين المستديرة. وتوافد الرجال بخطى سريعة الى المسجد لاداء اولى الصلوات الاسلامية الخمس خلف امام القرية الذي كان صوته يصدح بالآذان: "الله اكبر الله اكبر، اشهد ان لا اله الا الله". وبعد الصلاة، راح عمر يتنقل بينهم متحمسا، مشرق الاسارير، ويحيطهم علما بمولد ابنه البكر. وتمشيا مع العادات القديمة، قضى عمر الايام السبعة التالية مشغولا باختيار اسم لابنه له منزلته المرموقة في مجال التاريخ ومليء بالبشائر والوعود، وذلك لاعتقاد قبيلة عمر الماندينكا ان الطفل يتحلى عادة بسبع من خصال الشخص الذي يتيمن باسمه.

وفي عشية اليوم الثامن، تجمع اهل القرية امام كوخ عمر وامسكت بينتا ببكرها في اعتزاز، بينما كان مقربون يقطعون خصلا من شعره الاول، كما درجت العادة، وراح النسوة يتبارين في ابداء اعجابهن بحسن تكوين الرضيع، فيما طبال القرية يغرق في قرع طبوله الصغيرة.

وتلا الامام بعض الصلوات وبارك بها قرعات الكسكسي وكعكات المونكو المصنوعة من الارز المطحون

وعسل النحل الذي جاء هدية من أهل القرية. ثم تلا صلاة يبارك بها الطفل ويدعو الله ان يهبه طول الحياة وقوة الجسد والروح كي يشرف الاسم الذي يحمله.

ثم خطا عمر الى جانب زوجته، وانحنى فوق الرضيع على مرأى من الجميع ووشوش ابنه الاسم الذي اختاره له. فقد كانت قبيلة عمر تؤمن بأن الكائن البشري ينبغي ان يكون هو اول من يسمع اسمه.

ودوت الطبول ثانية، وعاد عمر يهمس بالاسم في اذن زوجته بينتا، فابتسمت هي في اعتزاز. ثم همس بالاسم في أذن معلم مدرسة القرية الذي رفع صوته معلنا: "ان الابن البكر لعمر كينتي وبينتا كيبه قد سمي كونتا!"

وقد اعطي كونتا اسم جده لابيه، القريب الى ربه كيرابا كونتا كينتي الذي كان هاجر من موطنه في موريتانيا الى غامبيا حيث ادت مثابرته على الصلاة طوال خمسة ايام الى انقاذ اهل قرية جوفوري من المجاعة. وقد تزوج كونتا كونتي بعد ذلك في القرية من يابيسا، وظل يخدم جوفوري بصدق وامانة كامام لها حتى وفاته. وكان هذا السلف الكريم موضع اعجاب الجميع واحترامهم.

وفي تلك الليلة اتم عمر طقوس تسمية ابنه في الهواء الطلق في ضوء القمر والنجوم، فوقف الى جوار المسجد الصغير المبني بالطين والمسقوف بالقش، ورفع طفله الرضيع نحو السماء وقال يخاطبه: "انظر الى الشيء الوحيد الاعظم منك".

وكانت بينتا تطري جلد رضيعها كل مساء في كوخها بدهنه من قمة رأسه حتى اخمص قدميه الصغيرتين بزبدة شجيرة الشيح، ثم تحمله بفخر عبر القرية الى كوخ الجدة يابيسا، حيث كانت الاثنتان تشبعان الطفل قرصا وضغطا على انفه الدقيق واذنيه وشفتيه ورأسه الصغير فتكرهانه على التذمر والبكاء.

وكثيرا ما كان عمر يبعد ابنه عن الامرأتين ويحمله الى كوخه الخاص - لان الازواج كانوا يقيمون دائما منفصلين عن زوجاتهم - حيث كان يترك لعيني الصبي واصابعه استكشاف حقيبة الصيد المكسوة بالاصداف والحربة الداكنة الرشيقة التي انصقلت عصاها من كثرة الاستعمال. وكان عمر يتحدث الى كونتا عن اعمال الشجاعة التي سيأتيها حين يكبر.

وعندما بلغ كونتا شهره الثالث عشر، حاول أولى خطواته المتعثرة، ولم يمض وقت طويل حتى اصبح يدرج بخطواته من دون مساعدة.

وانقضت ثلاثة مواسم ماطرة، فبدأ كونتا الصغير يمضي ايامه لاعبا لاهيا تحت انظار الجدات العجوزات اللائي يرعين ما كان يسمى الفوج الاول (الكافو) الذي يضم جميع الاطفال ممن يقل عمرهم عن خمسة مواسم ماطرة (خمس سنوات). وكان الصبيان والبنات يقفزون عراة في ساحة القرية كصغار الحيوانات، وهم يضحكون، ويصيحون ويلعبون ويشتتون شمل الكلاب والدجاج ويتعقبونها وراء اشجار الخيزران العالية التي تسور القرية.

ولكن سرعان ما كان الاطفال يتراكضون للجلوس في صمت وسكون عندما تعدهم احدى الجدات بحكاية، ولا سيما الجدة المحبوبة نيوبوتو ذات الرأس الاصلع والتجاعيد العميقة والسواد الفحمي الذي يشبه قعر وعاء الطهي القديم، والاسنان القليلة الباقية البرتقالية اللون لكثرة ما مضغت من حبات الكولا. وكانت نيوبوتو تتأهب لمهمتها بزمجرة خافتة ثم تستوي فوق مقعدها المنخفض وتبدأ حكاياتها دائما بالمقدمة التي درج عليها جميع قصاصي الماندينكا: "كان يا ما كان، في ذلك الزمان، في تلك القرية حيث كان يعيش فلان...".

وتحدثت العجوز عن تلك الفترة الشاقة التي تتذكرها، عندما شح المطر. وعلى رغم الصلوات والابتهالات، وقيام النساء برقصة المطر المتوارثة عن الاسلاف، وتقديم القرابين بذبح عنزتين وعجل كل يوم، فان المطر لم يهطل وساد الجفاف، ونضبت حفر المياه الضحلة في الغابة وساق الظمأ الحيوانات المفترسة الى بئر القرية وتزايد عدد المرضى وعبث الموت بكبار السن والضعفاء.

وقالت نيوبوتو: "في ذلك الوقت العصيب هدى الله سبحانه وتعالى خطى المغفور له كيرابا كونتا كينتي الى القرية فراعته محنة اهلها فركع وصلى متوسلا الى الله ان يرد عنهم ذلك البلاء. وواصل الرجل الصلاة طوال الايام الخمسة التالية، بلا نوم تقريبا ومن دون غذاء سوى جرعات قليلة من الماء. وفي مساء اليوم الخامس هطل المطر كالطوفان فانقذ جوفوري".

وعندما انتهت نيوبوتو من حكايتها، راح الاطفال ينظرون باحترام جديد الى رفيقهم كونتا الذي يحمل ذلك الاسم الشريف.

الذ من لحم الماعز!

وتعاقبت الفصول، فحل اولا فصل الزرع، وسارعت بينتا وسائر الزوجات الى القوارب الطويلة المنحوتة في جذوع الاشجار والراقدة على ضفاف نهر القرية الصغير، وهو أحد الفروع المتعددة التي تشق طريقها المتعرج في الداخل الى ان تصب في نهر غامبيا، ومضين بها يجدفن حتى بلغن الحقول حيث تزرع نساء جوفوري ارزهن منذ اجيال. وكدس الرجال في الحقول الاخرى كوما عالية من الاعشاب الجافة واشعلوا فيها النار لتغذية التربة. وحين تساقطت الامطار الخفيفة الاولى بدأ الرجال يبذرون الفول السوداني وغيره، ثم جاءت الامطار الغزيرة وبعدها الحصاد الذي تلاه فصل الجفاف القائظ.

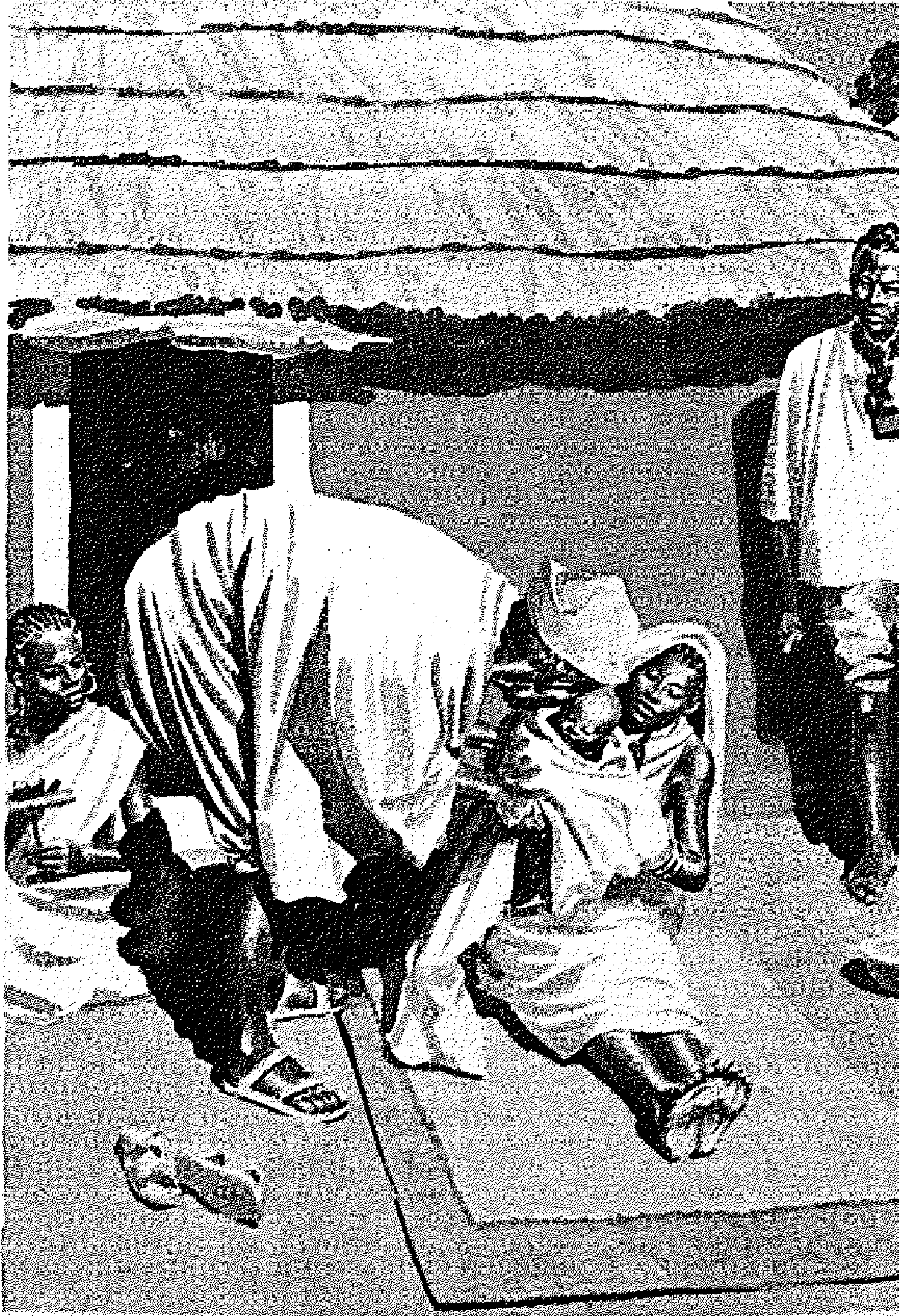
وبدأ كونتا ورفاق فوجه (الكافو) يشعرون بان اعمارهم تزيد على عدد المواسم الماطرة التي اصبحت تراوح بين الخمس والتسع سنوات، ويحسدون الاولاد الاكبر سنا من ابناء الفوج الثالث على رعي الماعز الذي يوكل اليهم، وعلى الاثواب القطنية الطويلة (الدونديكوس) التي يرتدونها، وبدأوا يأنفون البقاء عراة بعد بلوغهم هذه السن واصبحوا يتجنبون الاطفال الرضع والصغار من امثال لامين شقيق كونتا الجديد، كما يتجنب المرء الوباء، وبدأوا يستطيبون البقاء قرب الكبار املا في ان يكلفوهم بعض المهمات.

وفي صباح اليوم الثاني من ايام الحصاد، بينما كان كونتا خارجا من كوخ امه، قالت له، بينتا في خشونة مصطنعة تشي بالود: "لماذا لا ترتدي ثيابك؟" فاستدار كونتا ورأى فجأة ثوب "دونديكو" جديدا يتدلى من ملـقط غسيـل، فحـاول ان يخـفـي اضطرابه وارتداه على الفور وخرج مختالا من الباب. وكان في الساحة عدد من رفاقه وقد ارتدوا الدونديكو مثله للمرة الاولى في حياتهم وهم يتواثبون ويصيحون ويضحكون في جذل لتمكنهم في النهاية من ستر اجسادهم العاريـة، وارتقـوا بذلـك رسميا الى فئة "الكافو" الثانية، في طريقهم الى بلوغ الرجولة.

وفي اليوم التالي، عندما اعطى عمر كونتا مقلاعا جديدا اوشكت انفاس الصبي ان تتقطع انفعالا، ووقف رافعا بصره الى ابيه في اكبار وهو لا يجد ما يقوله، فتكلم عمـر وقـال لـه: "بما انك قد اصبحت الآن مـن فئـة الكافـو الثانية فان ذلك معناه ان تذهب الى المدرسة وترعى الماعز. وعليك ان تذهـب اليـوم مـع تومانـي توري".

انطلق كونتا كالسهم وانضم الى رفاق فئته الذيـن تجمعـوا قـرب حظائر الماعز حيث كان الاولاد الاكبـر سنـا يفتـحـون البوابـات للخروج الى الرعي في ذلك اليوم. ولم تلبث الماعـز ان سرحـت بمعاونة كلاب "الوولو" وتمـادى رتلـهـا علـى الطـريـق المغـبـاري، وتعالى ثغاؤها، بينما الصبية من رفاق كونتا يهرولون وراءها ووراء رعاتها في حيرة.

واخذ توماني توري يعامـل كونتـا وكأنـه



حشـــرة صغيـــرة ٠ فسأله: "هل تعرف قيمة الماعز؟" وقبل ان يعترف كونتا بانه ليس واثقا تماما من ذلك، قال توري: "حسنا، انك اذا فقدت معزاة منها فسوف يوضح لك ابوك الامر"٠ ثم انطلق توماني توري في الحديث عن رعي الماعز، فقال: "اذا ما شردت عنزة في الغابة، فهناك الاسود والفهود تثب من مكانها وسط الاعشاب وتنقض عليها بوثبة واحدة فتمزقها،واذا حدث وكان هناك صبي على مقربة منها، فان لحمه الذ من لحم الماعز!"

وفي الصبـاح التالـي بـدأ كونتـا ورفاقه دروسهم الدينية٠ وقال لهم المعلم بريمـا سيسـاي: "انكـم لـم تعودوا اطفالا، فقد دخلتم الفئة الثانيـة، ومعنـى هـذا ان عليـكـم مسؤوليات معينة"٠ وبدأ منذ مساء ذلك اليوم، يتلو عليهم آيات من القرآن الكريم ليحفظوها٠ ولم يبق بعد الان لدى كونتا متسع من الوقت للعب فعليه ان يرعى الماعز طوال اليوم وان يتلقى دروسه بعد الفطور والعصر وان يتمرن على استخدام المقلاع في ما تيسر له من وقت قبل حلول الظلام٠ ثم ان حلول مهرجان الحصاد بعد اقل من شهر، وهو يستمر سبعة ايام، فرض على كونتا ان يرعى شقيقه لامين الصغير الشقي الكثير الحركة امسيات عدة كانت امه خلالها تغزل القطن لينسجه الرجال بعد ذلك ثيابا جديدة للاسرة٠

وفي فجر اليوم التالي لظهور القمر الجديـد دوت "التوبـالـو" (طـبـلـة الاحتفالات الضخمة) وبدأ مهرجان الحصاد صباحا بالرقص٠ واتسعت عينا كونتا وهو يرى اباه ينضم الى حلقة من الاجساد التي تدور وتثب وقد ارتدى بعضها ملابس واقنعة مخيفة بينما ظلت وجـوه اخـرى سافـرة٠ وكانت ركبتا عمر تدوران في الهواء وقدماه تثيران سحابات من الغبار٠ وانطلقت من عمر صيحات ثاقبة وهو يميل الى الخلف وعضلاته ترتعش، ثم اندفع الى الامام وهو يدق صدره بقبضتيه وراح يثب ويتلوى في الهواء ثم يهبط الى الارض فتتصاعد من رئتيه انفاس ثقيلة٠

لقد سبق لكونتا ان شهد مهرجانات اخرى في مواسم الحصاد والبذار والصيد والاعراس واحتفالات الولادة والوفاة، لكنه لم يلمس الرقص شفاف نفسه ابدا مثل هذه المرة٠ فقد بدا وكأن دقات "التان - تانغ" (الطبول الصغيرة) تنبض في اطرافه وفيما يشبه الحلـم، احـس بكامـل جسمـه يرتعش وبذراعيه تضربان الهواء، ولم يلبث ان قفز صائحا مع الاخرين٠ وبقي الجميـع، الصغـار والعجائـز، يرقصون٠٠٠ ويرقصون طوال اليوم٠

واستمر المهرجان سبعة ايام اخرى تخللتها المواكب والمآدب والاسواق الشعبية ومباريات المصارعة ورواية القصص والحكايات على لسان الرواة (الجريوت) المتجولين وهم ينشدون قصائد لا نهايـة لـهـا عـن الملـوك القدامى والعشائر والمعارك الكبرى واساطير الماضي٠ وكان كل يوم يأتي بعـدد مـن الموسيقييـن المتجوليـن وامهر العازفين على "الكورا" ذات الاربعة والعشرين وترا وعلـى "البـالافـون" العذبـة الـنـغـمـات والمصنوعة من القرع المجفف والتي

يدق عليها بعصا دقيقة ومكورة الاطراف٠

وفي اليوم الاخير من المهرجان، ايقظت اصداء الصياح كونتا فانتشل ثوبه الدونديكو والقاه على جسده واندفع خارجا حيث رأى مجموعة من الرجال واقفين امام الاكواخ وهم يضعون اقنعة رهيبة على وجوههم ويغطون رؤوسهم بقبعات طويلة واجسادهم بالبسة من اوراق الشجر ولحائها٠ وارتعب كونتا عندما رأى ان كلا من هؤلاء الرجال يدخل كوخا ويخرج منه وهو يجر صبيا مرتجفا من فئة الكافو الثالثة وقد غطي رأسه بعمامة كثيفة من القطن الابيض٠ وعندما تجمع كل الفتيان الاكبر سنا، شق الرجال طريقهم وهم يدفعون الصبيان معهم الى خارج بوابة القرية٠

كان كونتا يعلم ان الرجال يجمعون الفتيان الاكبر سنا مرة كل خمس سنوات ويأخذونهم الى خارج جوفوري ليتلقوا تدريب الرجولة، الا انه لم يكن يعرف ان الامر يتم على هذه الصورة٠ وقضى كونتا الايام التالية هو وسائر ابناء فئته لا يستطيعون التفكير الا في الاشياء المخيفة التي تناهت الى علمهم عن هذا التدريب٠ فقد بلغهم ان القمر سيصير بدرا مرارا كثيرة ويتوارى مرارا كثيرة ايضا قبل عودة الفتيان٠ وقيل لهم كذلك ان الفتيان يتعرضون للضرب كل يوم وانهم يرسلون منفردين في حلك الليل الى اعماق الغابة الكثيفة غير ان اسوأ ما تناهى الى علم كونتا، وجعله فريسة للقلق كلما اضطر الى التبول، هو ان تدريب الرجولة يتضمن قطع جزء من الفوتو (عضوه التناسلي)٠

الـ"توبوب" المجهول

ومر موسمان ماطران وحبلت بينتا مرة اخرى واحتد مزاجها، فكان كونتا يحمد الله كل صباح عندما يتيح له رعي الماعز وغيره من المهمات ان يهرب من الكوخ ساعات قليلة٠ وكان يأسف لصغر سن لامين وعدم تمكنه من مغادرة المنزل وحده٠ ولم يكن منه الا ان سأل بينتا ذات يوم عما اذا كانت تأذن له باصطحاب لامين في احدى المهمات٠

وبعد ذلك درج كونتا على اصطحاب اخيه كل يوم تقريبا، وراح يعلمه المصارعة والصفير من خلال اصابعه ويريه اوراق النبات التي تصنع منها امهما الشاي، ويوصيه بالامتناع دائما عن الامساك بالخنافس الكبيرة اللامعة التي كانا يريانها تزحف في الكوخ ووضعها على الارض بدقة٠ وان يتجنب إيذاءها لان ذلك مجلبة للحظ السيء مثل الشوكة في رجل الديك٠

وكان لامين يسير الى جانب كونتا ولا يكف عن امطاره بسيل لا ينقطع من الاسئلة:

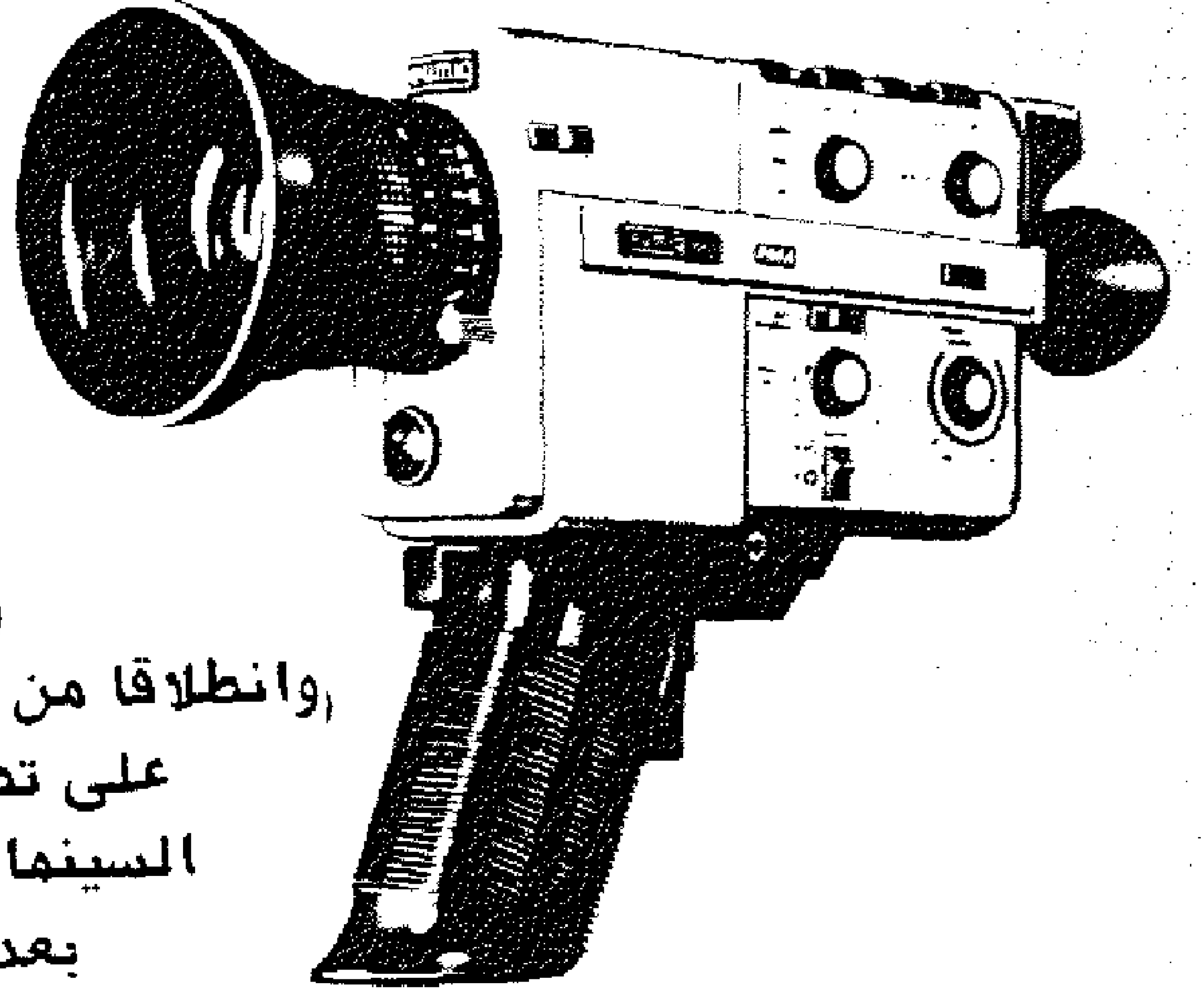
- لماذا يمتنع الناس عن ايذاء البوم؟

"لان ارواح جميع اسلافنا الموتى تسكن اجساد البوم"٠

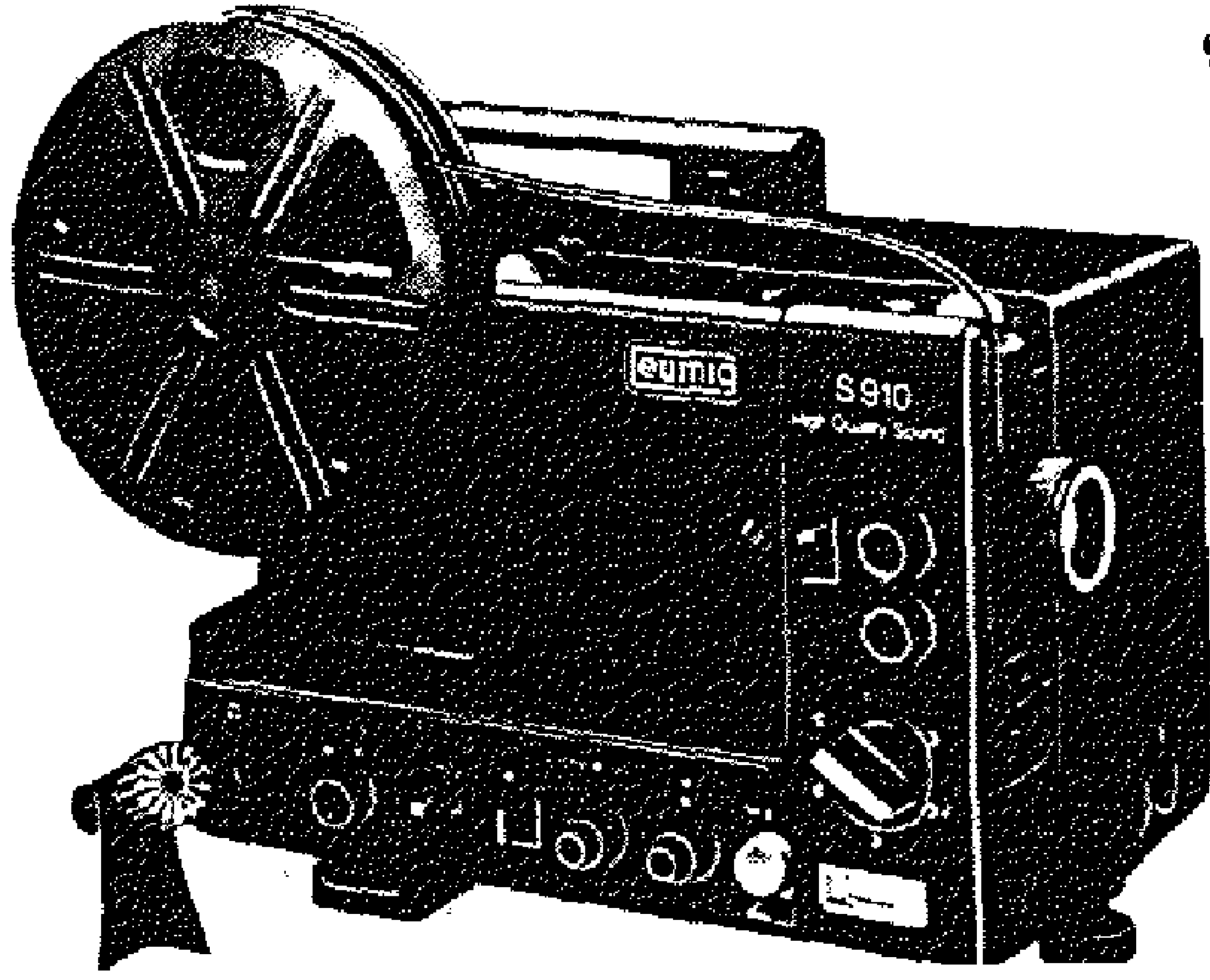
وكان لامين يسأل من وقت الى آخر، عن امر لا يعرف عنه كونتا شيئا على الاطلاق: "هل الشمس مشتعلة"؟ او "لماذا لا ينام والدنا معنا؟"

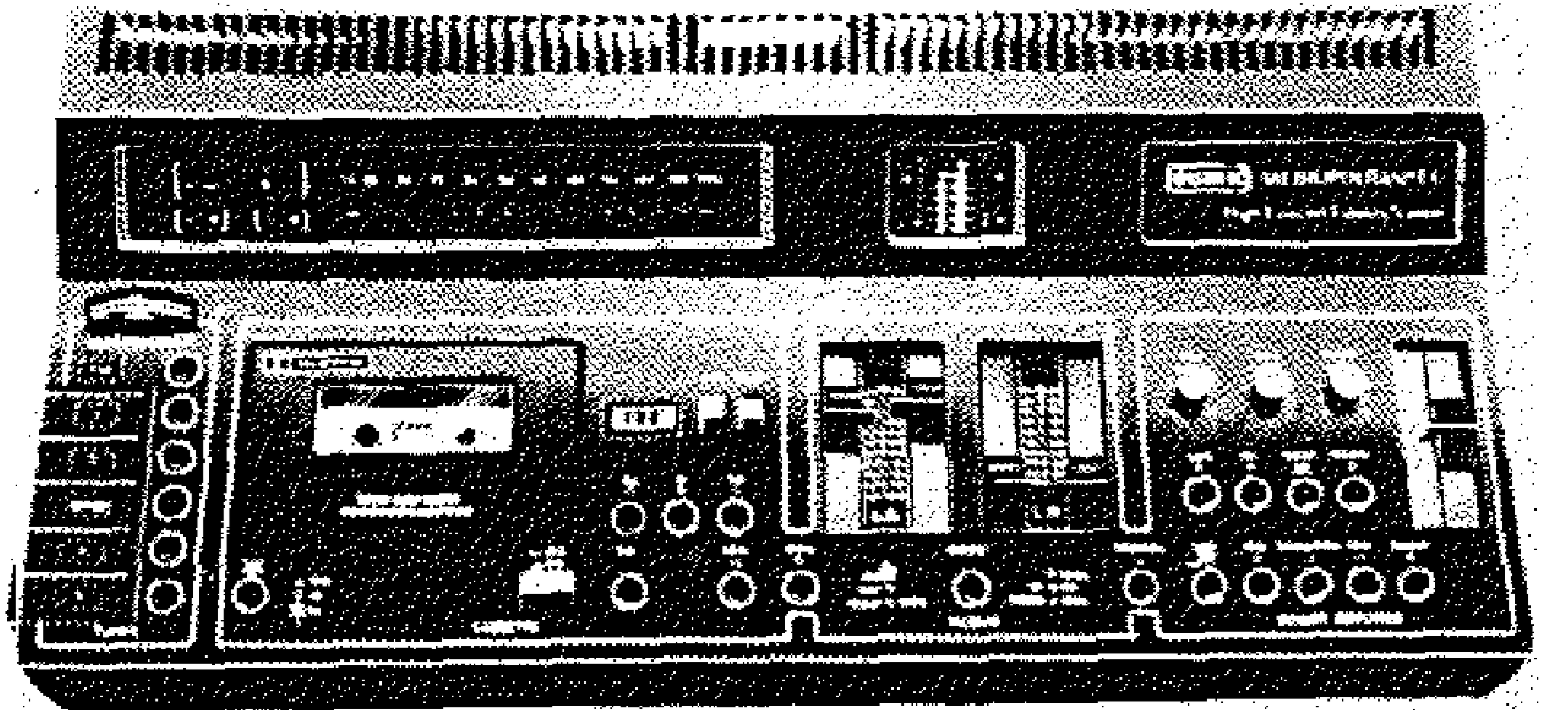
في مثل هذه المناسبات كان كونتا يصمت، تماما كما كان يفعل عمر عندما تضايقه اسئلة كونتا مع الفارق انه كان يطرح بعد ذلك الاسئلة نفسها على ابيه للحصول على اجابات عنها٠

النجاح يولّد النجاح



ان الخبرة التقنية وانجودة والدقة المتناهية وضعت
eumig في مقدم اجهزة العرض السينمائي الناطق ٠
واصبح النجاح حليف اجهزة *eumig* في العالم بأسره ،
بل اصبحت هي قدوة تحتذي بها الصناعة بأجمعها ٠
وقد عقد *eumig* العزم على متابعة هذه الخطة
ومواجهة المستقبل بكل ثقة في انجاز الاصناف الممتازة ٠
وانطلاقا من ذلك ، فان *eumig* يعمل دائما في الطليعة
على تطوير الكاميرات
السينمائية المزودة
بعدسات PMA
والكفيلة باعطاء
صور كبيرة ومتسعة في الاجهزة السينمائية الناطقة
او الصامتة على السواء ، علما بان منتجات
eumig توفر التسلية لملايين البشر في انحاء العالم ٠
هذا ، وبالاضافة الى كونه في طليعة صانعي
الكاميرات السينمائية واجهزة العرض ، فان *eumig*
يشغل كذلك مركزا فريدا بين صانعي منتجات HI-FI
"هاي في" ، بالنظر الى الجودة الفائقة التي يوفرها
لمراكز الحفلات الموسيقية المزودة باجهزة *eumig* وللكاسيت الموسيقية ٠ فهي تمثل
ذروة ما وصل اليه التطور في تقنيات الكاسيت واكتمال تزامن التعشيق ، اي الجودة
الصوتية الرفيعة الطراز بين احسن التسجيلات الشريطية والاجهزة الفونوغرافية ٠ وان *eumig*
مصمم على المحافظة على هذه المكانة
الفريدة ، وبالتالي فان *eumig* مصمم على
بقاء منتجاته في طليعة الصناعة المتنافية
لاجهزة الفيديو ، بفضل الخبرة التي احرزها
eumig وانجازاته التقنية المرموقة
وحرصه الاكيد على الجودة والاتقان ٠ ومن
الطبيعي اذا ان يكون *eumig* هو السباق
الى صنع المنتجات الممتازة المتقنة ،
اقتناعا منه بان النجاح يولد النجاح ٠
وبان سر النجاح يقوم على متانة الانتاج وجودة المنتجات ٠





eumig®

وذات يوم، سأل لامين: "من هم العبيد"؟ ولم يكن كونتا يعرف الرد، ولذلك وجه السؤال نفسه في اليوم التالي الى ابيه، فصمت عمر فترة طويلة ثم قال: "ليس من السهل دائما تمييز العبيد من غير العبيد". وشرح لكونتا ان الناس يصبحون عبيدا بطرق مختلفة. فبعضهم يولدون لامهات من العبيد، وذكر له عددا من هؤلاء يعيشون في جوفوري. وهناك آخرون تهددهم الموت جوعا في قراهم خلال فصل الجدب فقدموا الى جوفوري آملين في ان يستعبدهم احد اهل القرية ويتولى اعالتهم، وهناك فئة اخرى من العبيد كانوا اعداء ثم وقعوا في الاسر.

واضاف: "ولكن لهؤلاء العبيد، على رغم وضعهم، حقوقا ضمنتها قوانين اسلافنا". واوضح ان الواجب يقضي على كل سيد بان يكفل لعبيده الغذاء والكساء والمسكن، وقطعة ارض زراعية يفلحها ويقتسم غلتها مناصفة مع وليه وزوجة او زوج اذا كان الرقيق انثى. كما ان العبد يستطيع شراء حريته بما يدخره من اتعاب عبوديته. واذا تزوج الرقيق الذكر او الانثى من احد افراد الاسرة التي تملكه فان هذا يضمن له الا يباع او يوهب للاخرين.

وتمنى كونتا ان يعرف المزيد، فقد روى له توماني توري ان الرجال البيض من ذوي الشعر الكثيف (التوبوب) يهاجمون القرى في بعض الاحيان ويحرقونها ويستولون على ابنائها وينقلونهم الى امكنة بعيدة. ولكن اباه التزم الصمت. وبعد بضعة ايام دعاه واخاه لامين الى مرافقته خارج القرية لجمع بعض الجذور. وهناك، اخذ الوالد يروي لهما حكاية الرحلة التي قام بها بصحبة شقيقيه منذ مواسم عدة ماطرة عندما سار الثلاثة خفية على ضفاف نهر غامبيا بولونغو حتى وصلوا اخيرا الى مكان من النهر يرسو فيه عشرون قاربا ضخما من قوارب التوبوب، يكفي الواحد منها لاستيعاب اهل جوفوري باجمعهم، وقد زود كل قارب منها بقطعة هائلة من القماش الابيض مشدودة بالحبال الى عمود في شكل شجرة ويعادل ارتفاعه قامات عشرة رجال. وكان هناك عدد كبير من التوبوب، يروحون ويجيئون، ومعهم عدد من السلاتي (المعاونين السود). وكانت هناك ايضا قوارب صغيرة تنقل الى القوارب الضخمة طائفة من الاشياء مثل اصباغ النيلة المجففة والقطن وشمع العسل وجلود الحيوانات. لكن الشيء الفظيع الذي يفوق كل وصف، حسب قول عمر، كان الضرب المبرح وغير ذلك من صنوف القسوة الوحشية التي رأوها تكال لاولئك الذين اعتقلهم التوبوب كي يأخذوهم بعيدا. ثم نظر عمر الى كونتا مليا، وقال: "ان بعض الماندينكا يبيعون عبيدهم للتوبوب، وهؤلاء الماندينكا خونة مارقون، ولا يجوز ابدا مثل هذا الفعل لاحد من آل كينتي".

وجلس كونتا ولامين وقد جمد الدم في عروقهما فزعا، وقال لامين: "ابي! الى اين تأخذ القوارب الضخمة اولئك الناس المسروقين؟"

فاجاب عمر: "يقول الشيوخ انها تأخذهم الى توبابودو، وهي ارض

يباع فيها العبيد للمتوحشين من اكلة لحوم البشر يسمـون توبابوكومـي، فيأكلوننا. ولا يعرف احد شيئا اكثر من ذلك".

رحلة القمر الجديد

وبعد بضعة ايام، دوت القرية فجأة، في عصر هادىء حار، باصداء الطبول الحادة، فاندفع كونتا الى كوخ طبال جوفوري حيث وجد حشدا من القرويين قد سبقوه لاستجلاء الاخبار. وكان هناك رسول من القرية المجاورة يتحدث الى عمر. وفهم كونتا ان عميه جانح وسلوم كينـتي يبنيان قرية جديدة على مسيرة خمسة ايام في اتجاه شروق الشمس، وقد اوفدا الرسول لدعوة شقيقهما عمر كي يحضر حفلة تدشين القرية ومباركتها مع اشراقة القمر الثاني الجديد.

وبعد ان انهى الرسول حديثه، اجاب عمر انه سيكون هناك في الموعد المضروب باذن الله.

وقبل رحيـل عمـر بايـام قلائـل، تملكت كونتا فكرة اذهلته ضخامتها حتى الارتياب: هل يحتمل ان يسمح له عمر بمصاحبته في هذه الرحلة؟ لقد كان يحدث من وقت الى آخر ان يصطحب والد ابنه في رحلة، وانما لم يحدث ذلك ابدا لصبي لم يتجاوز عمره الثمانية مواسم ماطرة. واحس كونتا بان امه ستعترض على تحقيق حلمه هذا، فادرك ان امله الوحيد يكمن في توجيه طلبه مباشرة الى ابيه.

وقبل رحيل عمر بثلاثة ايام، كان كونتا يرعى قطيعه وقد اوشك اليأس ان يتملكه، واذا به يرى اباه يغادر كوخ بينيتا، فتخلى عن عنزاته وعدا كالارنب البري حتى وصل الى ابيه، فوقف امامه وقد تقطعت انفاسه، ورفع رأسه اليه في رجاء صامت بينما ارتسمت علائم المفاجأة على وجه ابيه. وغص الصبي وعجز عن تذكر كلمة واحدة مما كان يعتزم ان يقول.

وتفرس عمر في وجه ابنه برهة ثم قال: "لقد انبأت امك للتو"، وواصل طريقه...

وانقضت بضع ثوان قبل ان يدرك كونتا مغزى ما قاله ابوه، ثم صاح: "آي!"، ووقع على الارض مستلقيا على بطنـه، ثـم قفـز فـي الهـواء كالضفدع، وعاد ركضا الى عنزاته. وعـاوده الهـدوء فـجـأة واطمـأن، لاقتناعه بان اباه كان يفكر فيه منذ ان بلغته الرسالة.

وفي صباح سفرهما، مشى عمر وتبعه كونتا خطوتين في التراب امام كوخ عمر، ثم استدار كل منهما وانحنى يكشط التراب، حيث ارتسمت آثار قدميه، ويضعه في حقيبته تأمينا لعودة هذه الاثار الى ذلك المكان. وكانت بينتا تراقبهما وهي تبكي عند باب كوخها. وحين سار الاثنان عبر القرية، ادار كونتا وجهه لالقاء نظرة اخيرة، ولكنه لاحظ ان اباه لا يلتفت، فوجه بدوره عينيه الى الامام وسار بخطى سريعة قاربت الهرولة، محافظـا علـى مسافـة الخطوتـيـن المناسبة بينه وبين ابيه.

وبعد ساعة تقريبا خف اهتياج كونتا بمقدار ما تباطأت خطواته. وبدأ يشعر بتزايد ثقل الصرة التي يحملها فوق رأسه وبالالم في عضلات ساقيه في اسفل الركبتين، واخذ العرق يتصبـب مـن وجهـه. وحيـن

توسطت الشمس كبد السماء تقريبا، بدأ كونتا يعتقد انه لن يقوى على مواصلة السير، فانتابه احساس بالذعر. وهنا توقف عمر، بعد ان بقي صامتا ولا يلتفت الى خلفه، والقى ارضا الصرة التي تعلو رأسه بجانب بركة من الماء الصافي. وارتشفه الاثنان جرعات عذبة من مياه النبع الباردة وشويا اربع حمامات سمينة اصطادها عمر بقوسه وسهامه وتغدياها ثم استأنفا مسيرتهما.

وبعد ان قطعا مسافة كبيرة قال عمر: "ان التوبوب يأتون بقواربهم الى مكان على مسيرة يوم واحد من هنا فاحرى بنا ان ننام الليلة في قرية". واستأنف عمر السير بمزيد من السرعة واصابعه تلامس خنجره في غمده.

وكانت كرة الشمس البرتقالية تقترب من الارض حين رأى عمر وكونتا خيطا رفيعا من الدخان يتصاعد من قرية على مسافة قصيرة امامهم. وبدا لهما، وهما يقتربان من القرية، ان هناك شيئا لا يبعث على الارتياح. اذ لم يتراكض الاطفال الى لقائهم. وحين مرا في القرية بجانب شجرة "الباوباب" العريضة الجذوع، لاحظ كونتا ان جانبا منها قد احترق. وبدا ان اكثر من نصف اكواخ الطين خالية وان سكان القرية كلهم من العجائز او المرضى، وكان معظمهم راقدا على اعتاب الاكواخ.

وتقدم عدد من العجائز ببشراتهم المليئة بالتجاعيد فاستقبلوا المسافرين، بضعف ووهن، واخذوا يقاطعون بعضهم البعض في تسابقهم على شرح ما حدث: لقد اغار النخاسون على القرية وخطفوا او ابادوا شبيبتها بأجمعهم. وأضاف أحد الكهول موضحا ومشيرا الى عمر ثم الى كونتا: "من عمرك الى عمره.. اما نحن العجائز فقد ابقوا علينا".

وتابع عمر وكونتا المسير طوال الايام الثلاثة التالية بلا توقف، يتجاوزان القرى ويفترشان الاغصان الرطبة وينامان على حافة الطريق. وكان يبدو لكونتا انه لا يكاد يستغرق في النوم حتى يهزه ابوه ليوقظه عند بزوغ الفجر. وتبثرت قدما كونتا ودب الالم في كل جسمه، ولكنه تحمل ذلك وواصل سيره خلف عمر وهو يوهم نفسه بانه يجتاز مرحلة تدريبات الرجولة، وانه عقد العزم على ان يكون آخر من يعرب عن المه من فتيان الكافو جميعا.

وفي اليوم الرابع بلغ عمر وكونتا قرية لم يجدا فيها نسمة واحدة على الاطلاق ولم يسمعا فيها غير اصوات الطيور والقرود. وانتظر كونتا عبثا ان يشرح له عمر سر ذلك. ولكن ما ان اطلا على القرية التالية حتى راح الاطفال يروون الامر فقالوا وهم يشيرون الى قريتهم خلف الطريق ان اهل القرية قد نفروا من تصرفات زعيمهم النابية فقرروا في النهاية اخلاء القرية خلسة، وتحينوا فرصة استغراق الزعيم في النوم ليلا فهبوا وجمعت كل اسرة ما تملكه ولاذت ببيوت الاقارب والاصدقاء في القرى الاخرى. وترك اهل القرية زعيمهم وحيدا فراح ينتقل من مكان الى آخر ملتمسا الصفح منهم ومتعهدا بتحسين سلوكه اذا هم رجعوا الى القرية.

وفي هذه القرية الثانية، تدبر عمر الامر مع الطبال لاعلام شقيقيه بقرب

وصوله. وقد فهم من الرسالة ان عمر لن يلبث ان يصل، وانما لم يتضح منها ان كونتا بصحبته. ومع هذا، فقد ملأ الاعتزاز جوانح كونتا لقطعه كل تلك المسافة مع ابيه، وترددت في رأسه اصداء دوي الطبول اعلانا لقدومهما.

وفي اليوم الخامس حين بدأت الشمس ترتدي لونها القرمزي فوق افق المغيب، ابصر كونتا دخانا يتصاعد من قرية اصبحت قريبة. ولم يلبث ان بدأ يسمع عن بعد دوي الطبلة الضخمة (توبالو) ودقات الطبول الصغيرة (تان - تانغ) وقعقعة الراقصين. ثم انعطف بهما الطريق فاذا هم امام القرية.

ولم تعد كونتا قدما تشعران بالارض تحتهما. وتزايد دوي الطبول، ثم ظهر الراقصون فجأة، يزمرون ويصيحون في ارديتهم من اوراق الشجر ولحائه، ويندفعون خلال بوابة القرية لاستقبال الزائرين الكريمين. وتقدم رجلان يشقان طريقهما خلال الحشد، فسقطت الصرة ارضا من فوق رأس عمر وهرع نحوهما. واذا بكونتا يلقي صرته هو الآخر ويعدو بدوره.

كان الرجلان يتبادلان مع ابيه العناق والتربيت على الظهر، ثم قالا: "ومن هذا؟ ابن اخينا؟" ورفعاه عن الارض وراحا يحتضنانه ويقبلانه وسط صيحات الابتهاج. ودق العم سلوم قبضته على رأس كونتا وقال: "اننا لم نتقابل منذ تسميته. ها هو الان امامنا "كم موسما ماطرا عمرك يا كونتا ابن اخي؟"

فاجاب كونتا بلطف وكياسة: "ثمانية مواسم ماطرة يا عمي."

فصاح عمه: "قاربت التأهيل لتدريبات الرجولة!"

وسرعان ما هبط الظلام، فاشعلت القرية نيرانها وتجمع الناس حولها. ثم خطا جانح وسلوم داخل دائرة المستمعين يرويان الحكايات عن مغامراتهما. فهما كانا قبل بناء هذه القرية من اهل التجارة المتجولين التي يشتهر بها رجال قبيلة الماندينكا. وتحدثا عن حيوانات غريبة لها ظهور مسننة. وقال سلوم: "انها تسمى الجمال، وتعيش في ارض تكسوها رمال لا نهاية لها".

وبسط جانح قطعة كبيرة من الجلد المدبوغ عليها رسم. وقال: "هذه هي افريقيا". وراح يتابع باصبعه على الرسم منطقة قال لهم انها صحراء رملية شاسعة تزيد مساحتها اضعافا كثيرة على مساحة مملكتهم.

واوضح سلوم ان سفن التوبوب تأتي الى ساحل افريقيا الشمالي بالخزف والتوابل والاقمشة والجياد واشياء اخرى لا حصر لها، تصنع بواسطة الآلات، ثم ينقل الرجال والجمال والحمير هذه السلع الى مدن الداخل، مثل سجلماسه وغداميس ومراكش. وكان جانح ينتقل باصبعه على الرسم ليبين مواقع هذه المدن للمستمعين.

ثم اخذ سلوم الرسم المخطوط على الرق المدبوغ وبدأ يشير باصبعه الى الاماكن الاخرى التي بدأ جانح يتحدث عنها. وقال جانح: "ان سلعنا الافريقية تنقل الى كثير من المدن الكبيرة التي نصدر اليها الذهب والعاج والجلود والزيتون والتمر

والقطن والنحاس والحجار الكريمة. وبينما نحن جلوس هنا الليلة، هناك كثير من الرجال ينقلون على رؤوسهم احمالا ثقيلة ويخترقون بها غابات كثيفة كي يصلوا بها الى سفن التوبوب.

وكان كونتا يجلس الى جانب ابيه في وقار وكبرياء، ويستمع معجبا، الى ذلك كله، واقسم صامتا بينه وبين نفسه ان يقوم يوما، هو ايضا، بمغامرات الى تلك الاماكن المثيرة.

كتبوا اسماءهم بالعربية

بلغ عمر كونتا موسمه الماطر الثاني عشر، واوشك ان يتم، هو وافراد فئته، التعليم الذي كانوا يتلقونه مرتين كل يوم منذ السن الخامسة. وعندما جاء يوم التخرج، جلس آباء الفتيان في فناء كوخ المعلم وقد اشرقت وجوههم بالاعتزاز. ثم وقف المعلم بريما سيساي واجال الطرف في تلاميذه، ووجه سؤالا الى كونتا: "ماذا كانت مهنة اسلافك القدامى يا كونتا كينتي؟".

فاجاب كونتا بثقة: "منذ مئات المواسم الماطرة كان رجال كينتي في ارض مالي يشتغلون حدادين، وكانت نساؤهم تصنع الاواني وتغزل القطن".

وجاء بعد ذلك دور الاحاجي والالغاز، ثم كتب التلاميذ اسماءهم على الواح حجرية باللغة العربية، كما تعلموا ان يكتبوا. واخيرا طلب المدرس من كل متخرج ان يقف لدى مناداته باسمه: "كيرابا كونتا كينتي". فوقف كونتا وهو محط عيون الجميع، يملؤه التفاخر باسرته الجالسة في مقدم صفوف المشاهدين، بل وباسلافه الراقدين في المدافن وراء القرية. وقرأ كونتا بصوت عال آية من القرآن الكريم. وما ان انتهى من قراءتها حتى رفع المصحف الى جبهته وقال: "صدق الله العظيم". وبعد ان انتهى جميع الخريجين من القراءة واحدا تلو الآخر، اشترك الجميع في هتاف مرح عاصف.

وتلاحقت الاشهر المتتابعة في الفصول حتى انقضى عام آخر تولت فئة كونتا خلاله تعليم فئة لامين طريقة رعي الماعز. ثم اخذ الموعد الذي طال انتظاره يقرب شيئا فشيئا. فلن ينتهي مهرجان الحصاد التالي الا وتبدأ تدريبات الرجولة لافراد فئة الكافو الثالثة، اولئك الفتيان المراوحة اعمارهم بين ١٠ اعوام و١٥ عاما. وحاول كونتا ان يتناسى تلك الذكرى الحية العالقة في ذهنه منذ خمسة مواسم عندما تملكه الرعب هو ورفاقه وهم يرقبون الفتيان الذين غطيت رؤوسهم بالعمامات البيضاء وانتزعتهم من القرية عصبة راقصي "الكانكورانغ" المقنعين الصاخبين.

ولم يلبث ان دوى الطبل الكبير معلنا بدء الحصاد الجديد وانضم كونتا الى القرويين المنتشرين في الحقول، مرحبا بايام العمل الشاق الطويلة لانها تصرفه بمشاغلها الكثيرة ومتاعبها الشديدة عن التفكير في ما يخبئه المستقبل. وحين بدأ المهرجان، وجد نفسه عاجزا عن الاستمتاع بالموسيقى والرقص والقصف، مثلما يفعل الآخرون.

وفي الليلة التي سبقت اليوم الاخير من المهرجان، كان كونتا في كوخ عمر يوشك على الانتهاء من وجبة

المساء، حين دخل خاله الكوخ وتقدم نحوه ووقف خلفه. ولمح كونتا بطرف عينه خاله يرفع شيئا ابيض، وقبل ان يتمكن من الالتفات كانت الغماءة الطويلة قد هبطت فوق رأسه. واجتاح كونتا ذعر كاد ان يشله، وشعر بيد تقبض على زنده وتحثه على الوقوف، ثم تدفعه الى الوراء وترغمه على اقتعاد كرسي منخفض.

وجلس في سكون تام محاولا ان يألف الظلام، وقد خيم الهدوء على الكوخ. وكبت كونتا خوفه علما منه بان اي فتى يفشل في تدريبات الرجولة يعامل بقية حياته معاملة الاطفال ويتجنبه الآخرون ولا يسمح له بالزواج خشية ان ينجب ابناء على شاكلته.

وانقضت ساعات، وتوقف قرع الطبول وصياح الراقصين التي كانت تبلغه اصداؤها من بعيد. وغلبه النعاس لحظة ولكنه انتفض مستيقظا، ثم استولى عليه من جديد نوم متقطع.

وحين دوى فجأة صوت الطبل الضخم (التوبالوا) اعترته الرعبة وكادت نفسه ان تثب من جلده. وبدأ يتخيل مظاهر الحياة الصباحية من خلال الاصوات التي تلتقطها اذناه، صياح الديوك، ونباح كلاب (الوولو) واصداء اجران النساء وهن يدققن الحبوب لوجبة الفطور. وبعد فترة قصيرة، بلغت اذنيه اصوات متزايدة العلو، واعقبها دق الطبول، فبدا هنيهة وكأن قلبه اوشك ان يتوقف حين احس فجأة بشخص يندفع داخل الكوخ. وقبضت يدان على معصميه واندفعتا به خلال باب الكوخ وسط ضجيج يصمّ الآذان: من دق الطبول

وصيحات راقصي الكانكورانغ التي تجمد الدم في العروق. وكان الضجيج يخفت قليلا ليعود الى الارتفاع المسعور، كلما حان سحب صبي آخر من احد الاكواخ.

وادرك كونتا، بفضل السمع، انه انضم الى رتل من المشاة على ايقاع الطبول السريع الحاد. وخلال اجتيازه بوابة القرية، بدأ ضجيج الحشود يخفت ويتقلص واحس كونتا بالدموع الساخنة تتصاعد الى مآقيه لتنساب على خديه، فادرك ان ما يخلفه وراءه هو أكثر من ابيه وامه واخوته ومسقط رأسه، فتملكه الحزن بمقدار ما استولى عليه الذعر.

وانما كان كونتا يعرف ان ذلك امر لا مفر منه، وقد اتاه ابوه من قبله، وكما سيأتيه ابنه هو ذات يوم، وانه سيعود من هذه المحنة، رجلا، او لا يعود على الاطلاق.

بين الخوف والغضب

وتراءى لكونتا انه يقترب الآن من غيضة (دغل) خيزران. فقد استشم من خلال غماءته العبير القوي المتصاعد من سيقان الخيزران التي قطعت حديثا. وبعد بضع خطوات، انكتم دوي الطبل في مقدم الرتل، وكأن المشاة قد دخلوا مكانا مسورا، ثم سكت الطبل وتوقف السائرون واستمروا بضع دقائق وقوفا في سكون وصمت. وتذكر كونتا انه عرف مثل هذا الاحساس مرة من قبل عندما كان يرافق اباه في رحلته. فقد اشار اليه عمر فجأة، عند ذاك، بان يظل جامدا بلا حراك على الاطلاق، الى ان مر على مقربة منهما قطيع اسود في غبش المساء. وارهف كونتا اذنيه لعله يلتقط صوتا يهتدي به الى المكان الذي بلغه. لكنه لم يفلح بسبب صياح الطيور وثرثرة القردة في اعالي الشجر.

وفجأة، انتزعت غماءة كونتا عن رأسه، فراح يرمش بعينيه في الشمس الساطعة في باكورة العصر، وقد وقف امام كونتا ورفاقه مباشرة رجل متجهم ومجعد الوجه اسمه سيلا باديبا، احد كبار شيوخ جوفوري، وهو يتفحص وجوههم بعينيه وكأنه يرقب ديدانا زاحفة. وادرك كونتا ان الرجل لا بد ان يكون هو "الكينتانغو" الذي يتولى امرهم خلال تدريبات الرجولة. ووسع كونتا نطاق نظرته لحظة، وهو حريض على الا يحرك رأسه، فتبين له انه ورفاقه يقفون في ساحة يحيطها سور ويتناثر فيها عدد من اكواخ الطين المسقوفة بالاعشاب، وكان السور من اعواد الخيزران التي قطعت حديثا.

وقال الكينتانغو بصوت عال: "لقد غادرتم قرية جوفوري اطفالا. واذا كان مقدرا ان تعودوا اليها رجالا، فلا بد من استئصال مخاوفكم، لان الذي يستولي عليه الخوف يكون شخصا ضعيفا، وان الشخص الضعيف يكون خطرا على قبيلته".

وما ان فرغ سيلا باديبا من هذا الكلام حتى انصرف، وفي الحال وثب الى الامام اثنان من مساعديه وراحا يوزعان الضربات بالعصي على الفتيان في كل اتجاه، موجهين اياها الى اكتافهم واسفل ظهورهم وهما يدفعان بالفتيان الثلاثة والعشرين الذين تضمهم فئة الكافو، ويحشدانهم داخل اكواخ الطين الصغيرة.

وبقي كونتا مع اربعة فتيان آخرين في كوخهم ساعات طويلة وهم لا يجرؤون على الكلام. وبعد غروب الشمس مباشرة، بينما اخذ الجوع يعض بانيابه بطن كونتا، اندفع مساعدو الكينتانغو داخل الكوخ صائحين: "تحركوا!". وانقضت العصا على كتفيه بضربة شديدة اثناء اندفاعه في غبش المساء الى الخارج، حيث القى الكينتانغو على الفتيان نظرة متجهمة قاسية واعلن انهم سيقومون على الفور برحلة ليلية في الغابة المجاورة، وصدر الامر بالسير فخرج رتل الفتيان الطويل منطلقا على الدرب في تشوش فوضوي، وانهالت العصي صاعدة هابطة على اكتافهم لفرض النظام.

وكان الفجر على وشك البزوغ حين عاد الفتيان بخطى متعثرة ليدخلوا ساحة الجوجو (مقر التدريب) وقد خارت قواهم وتكاثرت القروح والخدوش في اقدامهم وشعر كونتا انه يوشك ان يموت من العياء فتكابر على نفسه حتى بلغ كوخه، ولم يكد يدخله حتى خانته قدماه فتعثر وسقط على ارضه القذرة، واستغرق في النوم على الفور حيث سقط.

وتكررت المسيرات في الليالي القليلة التالية، وكل منها اطول من سابقاتها. وشرح الكينتانغو للفتيان كيف يسترشد الرجال بالنجوم وهم في اعماق الغابة، وتعلم كل فتى في فئة الكافو كيف يقود رفاقه ليعود بهم الى معسكر التدريب.

وقال لهم الكينتانغو ان الحيوانات تعتبر افضل المعلمين لفن الصيد. وكان معاونوه يشيرون الى المواضع الحديثة التي كمنت فيها الاسود ويعلمون الفتيان كيف يتعقبون الظبى ويتفحصون شقوق الصخور التي تختبىء فيها الذئاب والضباع. وتعلم الفتيان تقليد اصوات الحيوانات والطيور، فملأوا الجو بغمغماتهم وصفيرهم. وسرعان ما اصبحت كل قطعة لحم في مؤونة المعسكر تأتي اما من الفخاخ التي ينصبها الفتيان او من نتاج اقواسهم وسهامهم.

غير ان الكينتانغو العجوز لم يكن يتكرم بالرضا ابدا، مهما ازدادت معارف الفتيان ونمت قدراتهم ومهاراتهم. وظل متشددا في مطالبه وصارما في ما يفرضه عليهم من انضباط، الى درجة جعلت الخوف والغضب يتوزعانهم معظم الوقت. وكان اي امر يصدر الى اي فتى منهم ولا ينفذ بكامله على الفور يسبب الضرب المبرح على رؤوس فئة الكافو بمجموعها. وكان المانع الوحيد الذي يصد كونتا والآخرين عن ضرب هذا الفتى او ذاك، ممن تصدر عنهم بعض الاساءات، هو اقتناعهم التام بان مثل هذا التأديب يبعث على الاقتتال والعراك. ولقد كان اول الدروس التي تعلموها في حياتهم، قبل ان يجيئوا الى معسكر التدريب بزمن طويل، انه لا يجوز اطلاقا لافراد الماندينكا ان يقتتلوا في ما بينهم.

رجال جوفوري

جرى الحادث من دون سابق انذار. فذات يوم عند الظهيرة وقد توسطت الشمس كبد السماء أصدر أحد معاوني الكينتانغو أمرا - بدا روتينيا عاديا في ذاته بان يصطف أفراد فئة الكافو في ساحة معسكر التدريب، ثم أقبل الكينتانغو من كوخه وراح يتمشى

أمامهم. وقال آمرا: "أبرزوا أعضاء التناسل".

وفكر كونتا ان الساعة قد دقّت لحدوث ما كان يخشاه: عملية الختان (الكاساس بويو) التي تطهّر الفتى وتعده لان يغدو أبا لأطفال كثيرين. وتردد الفتيان وهم لا يريدون تصديق ما سمعوا، فصاح فيهم الكينتانغو: "الآن، هيا!" فأطاعوا في بطء، وقد نكس كل منهم عينيه الى الارض وهو يمد يده داخل مئزره.

وجاء معاونو الكينتانغو فلفوا حول رأس عضو التناسل لكل فتى قطعة قصيرة من القماش مدهونة بعجينة خضراء مصنوعة من نوع من ورق الاشجار المسحوق. وقال الكينتانغو: "عما قليل ستتخدّر اعضاؤكم التناسلية". ثم أمرهم بالعودة الى أكواخهم.

وتجمع الفتيان داخل الاكواخ وقد غلب عليهم الخجل والخوف وتملكهم الصمت حتى انتصف العصر، فجاءهم الامر بالخروج ثانية الى الساحة، حيث اصطفوا وشاهدوا عددا من رجال جوفوري - آباء واخوة كبارا وأخوالا وأعماما وهم يدخلون واحدا تلو الآخر من البوابة، وبينهم عمر. واصطف الرجال في مواجهة الفتيان وهم ينشدون معا: "هذا الذي سيتم... قد جرى لنا أيضا... كما جرى لأسلافنا من قبلنا... حتى تصبحوا أنتم أيضا... مثلنا... فنغدو جميعا رجالا معا". ثم صرف الكينتانغو الفتيان مرة اخرى الى أكواخهم.

وعند الغروب بلغتهم فجأة اصداء الطبول الكثيرة العدد، وجاءهم الامر بالخروج مرة أخرى. فوجدوا الآباء والأخوال والاعمام والاخوة واقفين على مقربة منهم وهم ينشدون هذه المرة: "قريبا تعودون الى بيوتكم... وفي الوقت المناسب ستتزوجون... وستنطلق الحياة الابدية من عورتكم".

وراح أحد مساعدي الكينتانغو ينادي كل فتى باسمه ويومئ اليه بان يتوارى خلف ستار طويل من الخيزران المحبوك. وبعد لحظات قليلة يخرج الفتى من خلف الستار وقد ظهرت بين ساقيه قطعة قماش ملوثة بالدم. وجاء اخيرا دور كونتاكينتي:

ذهب كونتا الى خلف الستار فوجد أربعة رجال، امره أحدهم بأن يستلقي على ظهره فأطاع، ولم تكن ساقاه المرتجفتان قادرتين على حمله الى أبعد من ذلك على اي حال، ثم انحنى الرجال وأمسكوا به بقوة ورفعوا فخذيه الى أعلى. وقبل ان يغمض كونتا عينيه رأى الكينتانغو ينحني فوقه وقد أمسك شيئا بيديه ثم أحس بألم القطع. وفي لحظة قصيرة كان جرحه قد ضمّد باحكام وأعانه خاله على الخروج من خلف الستار. فقد تم له الان ما كان يخشاه أكثر من أي شيء آخر.

وبينما كانت جروح الفتيان تلتئم، خيّم على معسكر التدريب جو من الابتهاج، فقد تحرر الفتيان الى الابد من عار البقاء اطفالا من الناحيتين الجسدية والعقلية. وها هم الان قد أوشكوا ان يكونوا رجالا مكتملين. بل ان الكينتانغو نفسه أصبح يخاطبهم بقوله: "انتم الرجال..."

وكان لذلك وقعه الرائع في نفوس كونتا ورفاقه.

وذات مساء قال "الكينتانغو": "عندما ينتهي تدريبكم ستبدأون

خدمة جوفوري بأن تصبحوا عيونها وآذانها · فسيتعين عليكم أن تحرسوا القرية، خارج بوابتها، كي ترصدوا من يقترب منها من المغيرين او الهمج· وستقع عليكم أيضا مسؤولية التفتيش على اوعية الطهي التي تستخدمها النساء لتتأكدوا من نظافتها، وعليكم أن تؤنبوهن بأقصى شدة اذا وجدتم في الأوعية اي قذارة او حشرات"·

وبعد ذلك، سيتولى هؤلاء "الفتيان الرجال" مهمات اكثر اهمية مع تتابع المواسم الماطرة (الاعوام)· فالرجال الذين في سن عمر - فوق الثلاثين - يرتقون تدريجا في الرتبة والمسؤولية حتى يبلغوا المركز المشرّف الذي يشغله شيوخ القرية ويصبحوا أعضاء في مجلس المسنين·

ولم يمض وقت طويل حتى بدأ الفتيان يدركون أن رفاهية الجماعة تتوقف على كل فرد منهم - كما أن خير قبيلتهم ورفاهيتها سيتوقفان على كل منهم ذات يوم فلم تلبث ان تضاءلت مع الوقت انتهاكاتهم للقواعد المتبعة حتى اصبحت محصورة في زلات طفيفة تحدث من وقت الى آخر، وتضاءلت بالمثل عقوبات الضرب، فتطاير بالتدريج ذلك الخوف الذي كانوا يشعرون به تجاه الكينتانغو وحل محله احترام لا يعادله سوى احترامهم لآبائهم·

ومع ذلك، فقلّما كان يمضي يوم واحد من دون أن يتعرض كونتا ورفاقه لنوع من الحرج يشي بوقوعهم في الجهل من جديد. وبدت لهم الامور التي يعيها الرجال ويجهلها الفتيان متعددة لا تقع تحت حصر. فقد أدهشهم مثلا ان يعرفوا ان قطعة من القماش تطوى وتعلق في شكل معين قرب كوخ أحد الرجال تكفي لافادة سائر رجال الماندينكا عن موعد عودة ذلك الرجل، او ان وضع حذاءين متقاطعين بأشكال معينة أمام كوخ رجل يفيد أشياء كثيرة لا يفهمها سوى الرجال الآخرين. ولكن "السيراكانجو" كانت الاكتشاف المدهش الاكبر في نظر كونتا، فهي نوع من رطانة رجال الماندينكا تتغير فيها أصوات الكلمات ومخارجها على نحو حاذق بارع.

وتذكر كونتا مرات كان يسمع فيها أباه يتحدث بسرعة كبيرة الى رجل آخر من دون ان يفهم كونتا شيئا ومن دون ان يجرؤ على الاستفسار عنه. وها هو كونتا نفسه الان يتعلم تلك اللغةالسرية التي يتعذر فهمها على شخص لا دراية له بالامر. وسرعان ما أصبح كونتا ورفاقه يقتصرون تقريبا على استخدام هذه اللغة السرية.

مدن الاسلاف العامرة

وقضى كونتا ورفاقه طوال الشهر التالي يتعلمون اساليب المحاربة. وقال لهم الكينتانغو: "انكم تعلمون أن الماندينكا هم أبرع المحاربين وادهاهم".

وأخذ الكينتانغو يرسم على التراب أشهر استراتيجيات الماندينكا، فيعيد الفتيان تنفيذها في معارك وهمية. ثم تعلموا كيف يصنعون الحراب المزودة نصالها بالاشواك المسمومة. واعقبتها دروس المصارعة على يد أبطال هذا الفن في جوفوري. ثم جاء دور تعليمهم تاريخ القبيلة.

وقدم الى المعسكر راوية هرم بدا الكينتانغو أمامه وكأنه غضّ الشباب. وجلس الراوية يحيط به الفتيان متربعين في نصف دائرة، وأخبرهم كيف أن الراوية يحتفظ في أعماق عقله بتاريخ الأسلاف... والا فكيف لكم ان تطلعوا على المآثر التي قام بها القدامى من الملوك والقديسين والصيادين والمحاربين منذ مئات المواسم الماطرة؟ فمن هنا ينطلق تاريخ شعبنا الى المستقبل". ونقر بأصابعه رأسه الذي انتشر فيه بياض الهرم.

وظل الراوية حتى ساعة متقدمة من الليل يقص عليهم الحكايات التي خلّفها له أبوه عن عظمة الامبراطوريات السوداء التي كانت تحكم افريقيا منذ مئات المواسم الماطرة.

وقال الراوية العجوز: "قبل أن يحط التوبوب أقدامهم في افريقيا بزمن طويل، كانت تقوم في غانا امبراطورية الاسلاف التي أفردت مدينة بأكملها لسكن أفراد البلاد الملكي. وكان أشهر ملوكها يدعى كانيساي وكان يملك ألف جواد، لكل منها ثلاثة خدم ومبولته الخاصة من النحاس. وفي كل مساء، حين كان الملك كانيساي يخرج من قصره، كانت توقد ألف نار فتضيء كل ما بين السماء والارض. وكان الملك

يجلس على شرفة من الذهب ومن حوله جياده باعنّتها وسروجها الذهبية وكلابه باطواقها الذهبية ايضا وحرسه بدروعهم وسيوفهم المصنوعة من الذهب وأبناؤه الامراء تزين رؤوسهم الحلي الذهبية.

"ومع هذا، فلم تكن غانا أغنى الممالك السوداء، وانما كانت مملكة مالي القديمة أعظمها ثراء وعراقة بفضل طرقها التجارية المتفرعة الى كل حدب وصوب، وتجارتها في الملح والذهب والنحاس. وكانت القوافل التي تضم آلاف الجمال مشاهد شائعة مألوفة في كثير من المدن، مثل تاكيده ونيامي، حيث كانت تنتظم المهرجانات والاحتفالات الضخمة في كل يوم تقريبا.

"وكانت مساحة مالي تقاس بأربعة أشهر من السفر طولا وأربعة أشهر عرضا. وكانت عظمى مدنها تمبوكتو الاسطورية، التي كانت تحوي ٦٠٠٠ منزل للسكن وعددا من المساجد الفخمة. وكانت المركز الرئيسي للعلوم في افريقيا كلها، يقيم فيها آلاف العلماء اضافة الى موكب لا ينقطع من أهل الفكر الزائرين الراغبين في اغناء معارفهم، وقد بلغت اعدادهم حدا تفرّغ معه بعض كبار التجار لبيع الرقاق والكتب. ولم يبق رجل صالح أو معلم في أصغر القرى الا واستقى جزئيا على الاقل، من معين المعرفة في تمبوكتو".

وكان الزائر التالي لمعسكر التدريب منشد شهير (غالي كيا) تولى قيادة الفتيان في أغان جماعية عن عظماء الصيادين وزعماء الماندينكا الحكماء الشجعان

الاقوياء• ولم يكد يغادر المعسكر حتى خلفه مورو شهير من أئمة المعلمين، فتلا عليهم ما تيسر من القرآن الكريم، ثم قرأ لهم من كتب لم يسمعوا بها من قبل، مثل اسفار موسى الخمسة الاولى من العهد القديم، ومزامير داود النبي، وكتاب أشعيا• وحين انتهى العجوز من ذلك، كلمهم عن الاحداث المهمة التي وردت في الكتاب المقدس كتلك التي تتناول آدم وحواء ويوسف وأخوته وداود وسليمان•

وكان كونتا يرقد يقظا في كوخه ليلا، يفكر كيف ان كل الاشياء التي يتعلمونها تكاد تترابط في ما بينها، فالماضي يبدو مصاحبا للحاضر، والحاضر مصاحبا للمستقبل، والموتى هم زملاء الاحياء وزملاء من لم يولدوا بعد، والكل يعيشون في رحاب الله• وأحس بأنه ضئيل جدا، وبأنه كبير جدا في الوقت ذاته، وقال لنفسه: هذا هو ولا شك معنى بلوغ الرجولة•

وذات ليلة، والقمر بدر في قلب السماء، تلقى فتيان الكافو أمرا من مساعدي الكينتانغو يدعوهم الى الانتظام صفا في الساحة بعد وجبة العشاء بقليل•

ترى هل جاءت اللحظة التي كانوا ينتظرونها ؟

أجال كونتا النظر حوله بحثا عن الكينتانغو في أرجاء المعسكر، حتى رأى الرجل أخيرا يقف عند البوابة الخارجية يدفعها لتنفتح على مصراعيها• ولم يلبث الكينتانغو ان التفت اليهم وصاح: "هيا بنا الان يا رجال جوفوري، فقد حان موعد عودتكم الى قريتكم !"

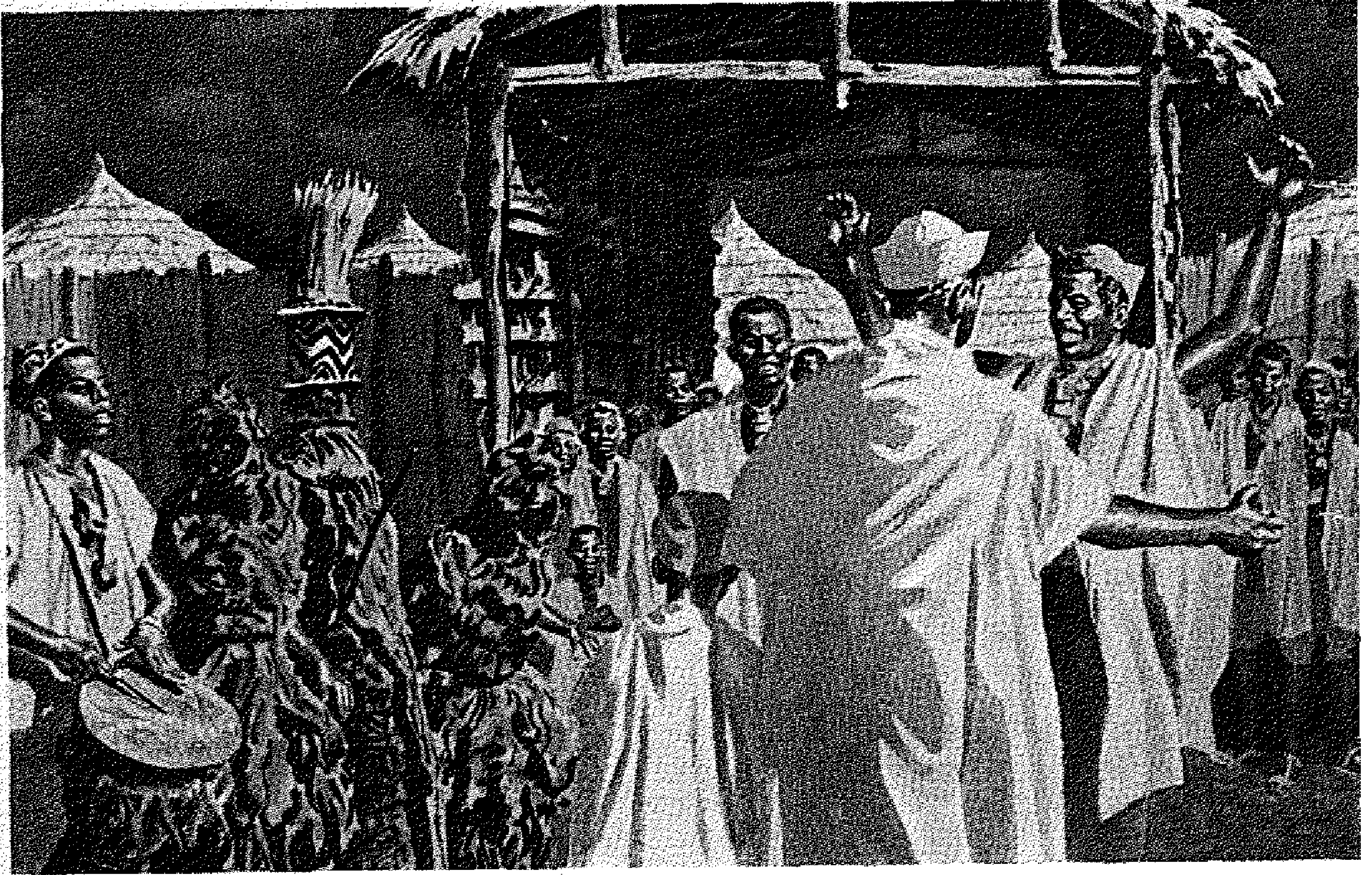
فوقفوا لحظة جامدين في أماكنهم، ثم اندفعوا وهم يتصايحون، نحو الكينتانغو ومساعديه وراحوا يحتضنونهم، فنفر هؤلاء من مثل هذه الوقاحة والاجتراء••• ثم اتجه الفتيان بأفكارهم الى بيوتهم•

الأسر

حين عاد كونتا الى قريته، وجد أن أباه قد خصص له كوخا مستقلا كي يسكنه بمفرده كسائر اعضاء مجموعته• غير ان بينتا استمرت تطهو له الطعام، كما أنها زودت كوخه بفراش للنوم وبعض الاوعية وبمقعد وسجادة للصلاة• ومضى كونتا بدوره يساوم بمهارة لشراء أشياء أخرى يستكمل بها أثاث كوخه، فيقايضها بالحبوب والفول السوداني الذي زرعه بيده في قطعة أرض صغيرة منحه اياها مجلس شيوخ القرية• وكان يعرف ان الشاب الذي يحسن الاهتمام بمحاصيله ورعاية عنزاته يستطيع ان يغدو رجلا ميسورا متى بلغت سنه ٢٥ أو ٣٠ موسما ماطرا، فيبدأ التفكير حينئذ في اتخاذ زوجة له وتربية أبناء من صلبه•

وكان كونتا في كل صباح يحمل سجادة الصلاة وينضم الى أفراد فئته فيسيرون الى المسجد برؤوس خاشعة خلف الرجال الاكبر سنا• وكانت بينتا تأتيه بفطوره بعد الصلاة، ثم ينضم الى رفاقه في أداء واجباتهم التي كانوا يباشرونها بحماسة ودقة يثيران فضول من يكبرونهم سنا•

وقلَّما كانت النساء يلتفتن حولهن من دون ان يجدن احد هؤلاء الرجال الجدد يطالبهن بالتفتيش على أوعية الطهي ليتأكد من خلوها من



الحشرات. وكان الفتيان كلما قاموا بجولة استكشافية حول سور القرية عثروا هناك على مئات المواضع التي تشكو من سوء الترميم وفقا للمعايير الدقيقة التي حددوها. وتوجه بضعة عشر منهم سوية الى بئر القرية فاستخرجوا منها ملء دلاء عدة، تذوقوها بعناية من فرعة الاغتراف للتحقق من احتوائها اي ملوحة او اطماء او أي شيء آخر غير صحي. فخاب ظنهم، ولكنهم، على رغم ذلك، افرغوا البئر من الاسماك والسلاحف المائية التي كانت فيها لتتغذى على الحشرات وتبيدها، وابدلوها باسماك وسلاحف أخرى جديدة.

وعندما كان يأتي دور كونتا في حراسة القرية، كان يتوجه عند هبوط الليل الى خارج سورها عبر الشجيرات الشائكة المتراكمة خلفه والاوتاد المدببة المغروسة تحتها، الى ان يبلغ المخبأ المتستر بأوراق الاشجار فيكمن فيه لمراقبة الجوار والسهر على سلامة القرية من اي مكروه يهددها. وذات ليلة، بعد انقضاء عام كامل على تخرجه في تدريبات الرجولة، ذهب كونتا الى موقع حراسته وتزوّد هذه المرة ببلطة اضافة الى حربته وقوسه وسهامه، لاعتزامه اختيار بعض الاخشاب في صباح الغد وقطعها وتجفيفها ليجعل منها اطارا لطبل كبير للقرية. وحين

بلغ موقع الحراسة، تسلق بسرعة القائم الخشبي المتين الذي يحمل منصة المراقبة على ارتفاع مترين ونصف متر تقريبا.

وكان كونتا في أوائل عهده بنوبات الحراسة الليلية المنفردة يتوهم ان كل حركة، سواء صدرت عن قرد او ضبع أو فهد، هي نذير باقتراب عدو، ولكن ليالي المراقبة الطويلة شحذت أذنيه وعينيه الى حد بعيد، حتى أصبح في مقدوره ان يوكل الى حاستيه البصرية والسمعية أمر الرقابة اليقظة من دون الاضطرار تقريبا الى الاستعانة بالارادة، فيتسنى له بذلك ان يطلق لذهنه العنان في سبر افكاره الخاصة.

راح كونتا، منذ بلوغه مرحلة الرجولة، يفكر في القيام برحلة من نوع نادر، متمنيا لو وطئت قدماه تراب ذلك المكان الذي يسمى مالي، حيث نشأت، حسبما يقول أبوه عمر وأعمامه، عشيرة كينتي منذ ٣٠٠ أو ٤٠٠ موسم ماطر. وكان معلم المدرسة رسم خريطة لرحلته، وقدر انها ستستغرق قمرا كاملا تقريبا في الذهاب والاياب. ومن ذلك الحين اخذ كونتا يرسم مرارا وتكرارا هذه الخطة على تراب ارضية كوخه ويدرسها بكل عناية. ولم يلبث ان دوى فجأة نباح كلبه فتطايرت الافكار من رأسه، ووقف على منصته، وراح يصرخ ملوحا بذراعيه ليطرد القردة الكبيرة التي استجمعت شجاعتها واندفعت من وسط الاعشاب المتنامية في جوار الحقول لتختطف بعض الفول السوداني ثم تكر راجعة الى الاختفاء في الآجام. وقد شنت القردة غارتين أخريين من هذا الطراز في تلك الليلة، ولاحظ كونتا أن جرأتها قد ازدادت مع اقتراب الفجر.

وما ان لاحت في المشرق خيوط الضوء الاولى حتى جمع كونتا اسلحته وحمل بلطته وهبط ارضا وقد تصلبت أطرافه قليلا، فبادر الى تليينها ببعض الحركات، ثم انطلق على طول ضفة النهر نحو دغل من أشجار المانغروف لعله يجد فيه ما يلزمه من خشب. ومر خلال الاشجار الاولى المتناثرة من دون اكتراث، علما منه بان الناحية الكثيفة من الدغل تتيح له مجالا أكبر للاختيار. وعندما بلغ مقصده أسند أسلحته وبلطته الى شجرة ملتوية الجذع، وأخذ ينتقل هنا وهناك ويجيل النظر بحثا عن الجذوع.

وبلغ أذنيه صدى غصن جاف يتكسر بعنف ويعقبه طائر يطلق صوتا قصيرا حادا، فخيل اليه في اول الامر ان كلبه يعود على أثر تعقبه ارنبا بريا، ثم فطن الى ان الكلب لا يقوى على كسر الاغصان الجافة، فاستدار فجأة ليرى وجها شاحبا مختلط الملامح يندفع صوبه، ولمع فورا في ذهنه شيئان: التوبوب وسلاحه البعيد عن متناول يده.

وساوره القلق: "يخطفونني... يأكلونني؟" وانطلقت قدمه الى أعلى فأصابت التوبوب في بطنه، لكن شيئا ثقيلا من الخلف هوى محتكا برأسه ثم هبط على كتفه فانفجر منه الالم. واذ بالتوبوب الذي ركله كونتا ينحني ويهوي الى الامام، وما ان استدار كونتا وهو يضرب بقبضتيه حتى رأى رجلين أسودين من "السلاتي" (مساعدي البيض) يصحبهما توبوب

آخر ينقض بهراوة قصيرة غليظة، تفاداها كونتا بوثبة جانبية خاطفة.

واندفع الاسودان نحوه، وكان عقله يتوجع في طلب السلاح، أيا يكن السلاح - فوثب كونتا فيهما يخدش هذا وينطح ذاك ويكيل الضربات لكليهما بركبته يحاول قلع عيونهما باصابعه، واذ سقط الثلاثة معا ارضا هبطت على ظهره ضربة هراوة أخرى واندفعت ركبة تسحق كليتيه حتى شهق من الألم. والتقى فمه المفتوح بلحم فأطبق عليه أسنانه يقطع ويمزق، ووقعت أصابعه على وجه فأغار أحدها في عين تلمسها، ثم أحس بضربة هراوة ترطم رأسه، فدارت به الدنيا وتناهى الى سمعه صوت كلبه يعوي مستنجدا، فهب واقفا وهو يتلوى ويبدي حركات سريعة ليتفادى الضربات، وقد نزف رأسه بغزارة، ولمح واحدا من التوبوب واقفا قرب الكلب الذي تحطمت جمجمته.

واتقد غيظ كونتا، فهجم على التوبوب وكاد ان يختنق من رائحة هذا الرجل الكريهة، وحاول في استماتة ان ينتزع منه الهراوة. وراح يؤنب نفسه: لماذا لم يسمعهم؟ ولم يحس بهم؟ ولم يشم رائحتهم؟ ولاحت لعينيه في لحظة خاطفة صورة أسرته وكل أهل جوفوري، وتذكر ان المحارب الذي يموت وهو يقاتل بشجاعة يصبح في عداد الاسلاف النبلاء. وعاودته تفاصيل الاعمال التي انجزها خلال أعوامه الستة عشر. وثار على ضعفه علما منه بأنه يقاتل في سبيل شيء أعظم من حياته. ثم نزلت هراوة التوبوب الثقيلة بضربة مباشرة فوق أذنه وصدغه، افقدته صوابه.

زورق التوبوب

عاد كونتا الى وعيه بالتدريج وبجهد كبير، ليجد نفسه محكما، معصوب العينين وقد قيد معصماه قيدا شديدا خلف ظهره وربط كاحلاه الى بعضهما بحبل آخر. ورفعه مجهول ليقف على قدميه، وأحس بعصي حادة تنخسه لتحثه على السير وهو يتعثر في خطاه، وما ان بلغ ضفة النهر حتى دفعت به يد عنيفة الى داخل الزورق. وعندما رسا الزورق، عاد الى السير مرة اخرى حتى بلغ مع آسريه في تلك الليلة معسكرا حيث ربط الى عمود خشبي سميك ثم رفعت عصابته عن عينيه، وتركه آسروه وحيدا على تلك الحال. ومع اشراق الفجر استطاع كونتا ان يرى أسرى آخرين مثله مشدودين الى أعمدة مشابهة، كانوا ستة رجال وثلاث فتيات وطفلين وقد انتشرت على أجسامهم العارية الدماء والرضوض من ضرب الهراوات.

وجنّ جنون كونتا واخذ يراوح اماما وخلفا محاولا فك قيوده، لكن ضربة شديدة اخرى عادت فأفقدته الوعي. وحين استعاد حواسه مرة اخرى وجد نفسه عاريا ايضا وقد حلق شعر رأسه ودهن جسده بزيت النخيل الاحمر. وبعد برهة قصيرة، قدم الى المعسكر اثنان من التوبوب لم يرهما من قبل، احدهما قصير بدين أبيض الشعر. وجاء السلاتي (المعاونان الاسودان) وقد انتشر على ملامحهما ابتسام بشع فحلاّ ميثاق الاسرى وجمعاهم في صف واحد. واشار الرجل الابيض الشعر

الى كونتا، فصرخ كونتا رعبا حين شعر بأحد السلاتي خلفه وهو يرغمه على الركوع ويجذب رأسه الى الخلف: وتقدم التوبوب الابيض الشعر بهدوء ففتح شفتي كونتا المرتعشتين وفحص اسنانه. وعاد كونتا مرغما الى الوقوف بينما راحت اصابع التوبوب. تستكشف عينه وصدره وبطنه، ثم امسكت الاصابع بعضوه التناسلي، وأخيرا ارغمهاثنان من السلاتي على الانحناء بشدة، واحس مرتعبا بيدي التوبوب تباعدان بين ردفيه الى أقصى حد.

ومضى التوبوب الابيض الشعر يجري فحصا مماثلا لسائر الاسرى واحدا تلو الاخر، ولم يتورع عن فحص مواطن العضة في اجساد الفتيات. ثمّ اشار الى احد التوبوب الآخرين الموجودين في المعسكر ليقترب ولوّح باصبعه مشيرا الى اربعة رجال - منهم كونتا - وفتاتين.

وعاد كونتا يكافح من جديد وهو يزأر غضبا حين امسك به السلاتي السود ثانية ودفعوه الى الجلوس وظهره محنى الى الأمام. وعاوده الرعب وهو يرى احد التوبوب يسحب من النار قطعة طويلة رفيعة من الحديد، وفيما هي تحرق ظهره ارتفع صراخه وهو يتلوى في عنف، ولم يلبث المعسكر ان ردد اصداء صرخات الآخرين الذين وقع عليهم الاختيار. ثم جيء بزيت النخيل الاحمر فدهنت به علامات الحرق البيضاء التي بدت على الظهور في حرفي "ل.ل".

وبعد ايام قلائل، مشى الاسرى جميعا وهم مربوطون معا في صف واحد، تحثهم هراوات السلاتي التي تهبط فورا على اي شخص يتباطأ. وقد اكتسى ظهر كونتا وكتفاه بالرضوض والدماء حين وضع الاسرى في قوارب انطلقت بهم مجاديفها في حلك الظلام. وما ان ابصرت عينا كونتا ذلك الهيكل الداكن الضخم الذي يتوجهون نحوه ثار من جديد على قيوده، فأخذت ضربات الهراوات الثقيلة تتهاطل عليه كالمطر بينما كان القارب يصطدم بجانب الهيكل، ثم سمع صيحات كثرة من التوبوب تأتي من أعلى، والتفت حوله حبال عجز عن مقاومتها، ووجد نفسه يرتفع نصف مدفوع ونصف مجذوب على سلم من الحبال.

ولمح كونتا في ضوء المصابيح الظليل الضارب الى الصفرة ذلك التوبوب القصير البدين الأبيض الشعر يدون بهدوء ضربا من العلامات في دفتره، ثم وجد نفسه مدفوعا على نزول درجات خشبية فكادت ان تزل به قدمه، وادت به الى مكان حالك الظلام تتصاعد منه رائحة العفن بما لا يتصوره العقل، ودوت أذناه بأنات الكرب الصادرة عن مجموعة كبيرة من الرجال. وجاءته دفعة عنيفة رمته الى اسفل راقدا على ظهره، فتوهم للحظة خاطفة انه يحلم، ثم تداركته رحمة الوقوع في الغيبوبة.

"أعنّي يا الله!"

لم يكن كونتا يصحو من غيبوبته حتى اخذ يسائل نفسه عما اذا كان قد مسه الجنون. فها هو يرقد عاريا بين رجلين اخرين تهزه الرجفة وتكبله السلاسل في ظلام دامس يطفح بالحرارة ورائحة العفن ويسوم جنباته كابوس مروع تختلط فيه اصداء

البكاء والصلاة والقيء. واحتك خده بجلد جرذ سمين فاندفع برأسه الى اعلى، واذا به يصطدم بسقف لا يكاد ارتفاعه يزيد على ثلاثين سنتيميترا. واصابته الصدمة بدوار فشهق الما وتكوم في مكانه يشتهي الموت:

"انني اسير مثل الفهد الواقع في الفخ!" واخذ يقاوم الهلع، وظن ان هذه الظلمة الكريهة تضم كثيرا من الرجال المكبلين بالسلاسل على رفوف هذه الالواح الخشنة، وربما كان بعضهم يرقد على رفوف يقل علوها عن الرف الذي يرقد عليه. وسمعهم يتحدثون بخليط من اللغات، منها: الفولاني والسيريري والوولو والماندينكا. وكان الرجل الراقد الى يمينه والمقيد اليه من رسغه وكاحله يهمهم لنفسه في غضب بلغة الوولوف، اما ذلك الراقد الى يساره فلم يكن يصدر عنه سوى أنين مستمر.

ورقد كونتا فترة ينتحب وقد تخدر عقله وعلى رغم عجزه عن الجثو، او عن الاهتداء الى ناحية الشرق، الا انه اغمض عينيه وتضرع الى الله ملتمسا منه العون.

وكانت الظلمة التي تلفه في قاع السفينة الضخمة لا تتيح له ان يعرف ما اذا كان الوقت نهارا ام ليلا، الا عندما تنفتح الكوة في أعلى الدرج ليهبط منها عادة أربعة من التوبوب، اثنان منهم يحملان السياط والمصابيح والآخران يدفعان بأواني الطعام عبر الممرات فوق الاقذار

المتراكمة بين الرجال المقيدين بالسلاسل الى بعضهم البعض. غير ان كونتا اطبق فكيه في تحد عنيد، مفضلا ان يموت جوعا، حتى بلغت الام معدته حدا اصبح الجوع معه عذابا لا يقل هولا عن الامه الاخرى.

وبعد ايام، التقطت اذنا كونتا، على اثر وقت الطعام، صدى تردد فوق رأسه من خلال الواح الخشب، وكأنه اقدام كثيرة تتحرك بسرعة جيئة وذهابا، ثم بلغه صرير شيء ثقيل يندفع ببطء الى اعلى. ولم تلبث احشاؤه ان تقبضت فزعا حين ادرك: "ان هذا المكان يتحرك ليمضي بنا بعيدا!"

وفجأة، تملكت الاسرى المقيدين في قاع السفينة نوبة عنيفة من الصراخ، وراحوا يضربون رؤوسهم بألواح الخشب ويخشخشون بسلالهم. وصاح كونتا وسط هذا الهرج والمرج: "يا الله، اسمعني! ساعدني!". وحين بح صوته من الصراخ، ظل عقله يصرخ في غيظ وعجز: "الموت للتوبوب!"، ثم همد في مكانه اعياء واخذ ينتحب.

وحين ارتفع صرير الكوة ايذانا بفتحها مرة اخرى، ترددت في ذهنه جملة قالها الكينتانغو ذات مرة: "يجب على المحاربين ان يتغذوا جيدا كي تتوافر لهم قوة كبيرة". ورأى ان الضعف الناتج من الجوع لن يتيح له ان يقتل التوبوب ولذلك، فعندما وضع الى جانبه وعاء الصفيح هذه المرة، دفع كونتا بأصابعه في العصيدة السميكة من دقيق الذرة المغلي وزيت النخيل، واخذ يبتلعها على مضض قبضة بعد اخرى حتى احس بالطعام وقد اصبح مثل الكتلة المتحجرة في بطنه، ولم تلبث ان اصابته نوبة عنيفة من القيء المتكرر.

رقصة الموت

وتوالت الايام على الاسرى وهم مقيدون في قاع السفينة، فتراكمت عليهم الاقذار من قيئهم وافرازاتهم وبرازهم وهم يئنون بلا حول ولا قوة، وتكاثر عليهم القمل بالملايين واصبح يزحف من حولهم في كل مكان. واخيرا، هبط من الكوة ثمانية من التوبوب العراة وهم يشتمون ويلعنون بأصوات عالية، وكانوا يحملون بدلا من الطعام فؤوسا طويلة الايدي ودلاء كبيرة، ومضوا يتحركون كل اثنين معا على طول الممر وهم يمدون فؤوسهم الى رفوف الاسرى ويجرفون بها الاقذار المتراكمة ليجمعوها في الدلاء. بيد انهم حين انتهوا من مهمتهم لم يبد اي فرق في مستوى الرائحة الكريهة الخانقة التي تملأ بطن السفينة. وبعد ذلك بفترة قصيرة نزل عدد كبير من التوبوب، قدر كونتا انه يبلغ العشرين من قرقعة اقدامهم على الدرج. وكان بعضهم يحملون سياطا وبنادق، تلك الاسلحة المعدنية التي ينطلق منها النار والدخان والتي طالما سمع كونتا اخبارها من الناس وهم يتحدثون عن التوبوب في جوفوري. وتجمعت في احشائه عقدة من الخوف حين بلغت اذنيه الاصداء المعدنية الغريبة، واعقبتها قعقعة ثقيلة. وفجأة، فكت قيود الكواحل وبدأ كاحله الايمن يرتجف. ثم بدأ التوبوب يصيحون ويضربون بالسياط من حولهم. وسمع كونتا اصوات الاسرى يتوسلون

بلغاتهم المختلفة الى التوبوب كي لا يأكلوهم.

وبدأ الرجال يتحركون كل اثنين معا مقيدين من معصميهما، وينزلون من الرفوف الى الممرات زوجا وراء زوج، وتقبضت عضلات كونتا التي طال خمولها بالالم، وتلقى هو وزميله في القيد دفعات وركلات في الظلام. وحين تعثر وهو يصعد الدرج، صدمه ضوء الشمس بقوة كالمطرقة فأعماه. وتلمس طريقه الى الامام، وفتح شفتيه المشققتين وهو ينهل هواء البحر المالح فتقبضت رئتاه واوشك على الاختناق. وهوى فوق سطح السفينة مع رفيق قيده الذي ينتمي الى قبيلة "الوولوف".

وبدا التوبوب في النور اكثر بشاعة وشحوبا من شكلهم في جوف السفينة المظلم، وظهرت الوان شعرهم الطويل الاصفر والاسود او الاحمر، بل كان لبعضهم شعر ايضا حول افواههم وتحت ذقونهم وفي وجوه بعضهم الآخر واجسادهم ندوب قبيحة من آثار الطعن بالمدى والنصال، وبينهم من فقد احدى يديه او احد اطرافه او احدى عينيه، كما كانت تنتشر على ظهور الكثيرين منهم ندوب متقاطعة عميقة من اثار السياط. وكان عدد كبير من التوبوب يقفون على مسافات متساوية على طول اسوار السفينة وهم يحملون سيوفا او بنادق. والتفت كونتا فرأى حاجزا عاليا من الخيزران ممدودا بعرض السفينة الضخمة، وقد برزت عند وسطه فوهة مدفع سوداء.

وللمرة الاولى تمكن كونتا من مشاهدة فريقه الوولوف في النور. وكان الرجل في مثل حاله، هو، قد اكتسى جسده بطبقة سميكة من الاقذار الجافة، وكان الصديد ينزف من الدمغة التي طبعت على ظهره بحرفي "ل.ل". وأجال كونتا نظره في ما حوله فرأى رجالا اخرين، وقد اشتد بهم العناء.

ثم ربط الاسرى بالسلاسل معا من خلال قيود كواحلهم مجموعات تضم كل منها عشرة افراد، واغرقوا في اغتراف الدلاء من ماء البحر، بينما راح التوبوب يحفون اجساد الرجال العارية بفراش مستطيلة الايدي. وصرخ كونتا متألما حين مسه ماء البحر فلسعه كالنار في آثار السياط المنتشرة في جسده، ثم صرخ مرة اخرى فاخذت الجروح تنزف من جديد. عندما راحت شعرات الفرشاة الغليظة تمزق القرف (قشور الجروح) اللاصقة بظهره وكتفيه، وجمع كونتا ورفاقه وسيقوا كالقطيع عائدين الى منتصف متن السفينة، حيث انهاروا على الارض رعبا في كتلة واحدة.

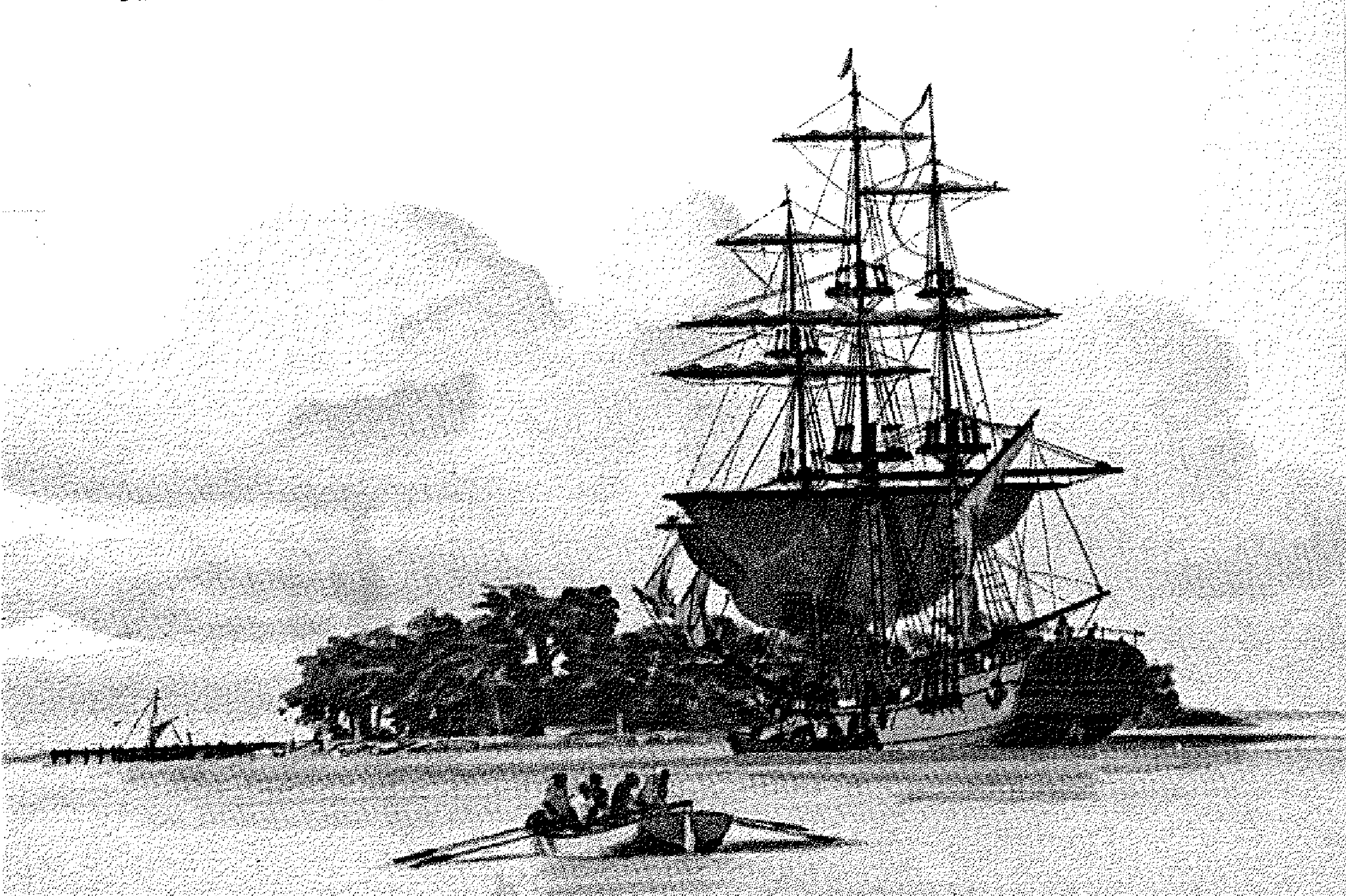
وعلا فجأة صراخ نساء لم يلبث ان هزّ دهشة الرجال المقيدين فهبوا واقفين، ورأوا قرابة عشرين امرأة يقبلن راكضات من خلف الحاجز وهن عاريات وبلا قيود. ولاحظ كونتا في ثورة من الغضب ان التوبوب ينظرون شزرا اليهن بخبث ووقاحة. ثم اخذ احد التوبوب الواقفين قرب سور السفينة ينشر ويطوي بين يديه شيئا غريب الشكل تصدر عنه موسيقى صافرة، وراح اخر يدق على الطبل، بينما مضى توبوب اخرون يقفزون قفزات قصيرة على ايقاع دقات الطبل وهم يلوحون للرجال المكبلين الذين صعقهم الرعب بان يفعلوا مثلهم.

وفجأة ، صرخت كبرى النساء بلغة الماندنيكا: "اقفـزوا! اقفـزوا حـالا واقتلوا هؤلاء التوبوب!"، وراحت المرأة تثب وتنطلق ذراعاها بحركات رقصة المحاربيـن. وعندمـا استقـر مغزى كلام المرأة في نفوس المكبلين بدأوا يثبون زوجا بعد اخر في ضعف متعثر وسط جلبة السلاسل وقرقعتها وهي تصطدم بسطح السفينة. واحس كونتا ان ساقيه لم تعودا تحملانه واصبحتا كالعجينة اللينة تحته وهو يستمع الى غناء النساء من دون ان يتبين ما يقلنه بوضوح، ثم ادرك فجأة انهن يقلن في غنائهن ان التوبوب كانوا يأخذونهن الى اركـان السفينـة المظلمـة ويقضـون معهـن وطرهم. وصاحـت النسـوة "المـوت للتوبوب!" ورحن يثبن الى اعلى في عصبيـة متشنجـة، بيـنمـا يصـفـق التوبوب ضاحكين مهللين.

"يجب ان نصبح قرية!"

بعد ان عـاد كونتـا الـى قـيـده وسلاسله في قاع السفينة الناضح برائحة العفن، لاحظ بالتدريج ان هناك اصواتا تتهامس في الظلام. وكان قد تبادل من قبل مع زميل قيده (رجل الوولوف) همسات حذرة بين حين واخر، فتعلم الواحد منهما بضع كلمات من لغة رفيقه كما يتعلم صغار الاطفال من فئة الكافو الاولى كلمات بعضهم بعضا. اما الآن وقد شاهد كل من الرجلين زميله في ضوء النار، فقد اصبح لهمسهما صفة جديدة، وكأنما نشأ بينهما للمرة الاولى احساس بالاخوة.

ومع ازدياد التفاهم بين الرفاق في محنة الاسر، تكاثرت الاسئلة بينهم في الظلام. وكان احد الاسئلة: "كم هي المـدة التـي قضينـاهـا هنـا؟" فأفضى ذلك الى تخمينات كثيرة،



حتى تمكن احد الرجال اخيرا من احصاء اضواء النهار التي كان يراها خلال فتحة صغيرة للتهوية، فقال انه قد عدّ ١٨ يوما منذ تحرك المركب الضخم واستعلم البعض عما اذا كان في قاع السفينة احد ينتمي الى القرى التي جاؤوا منها واوشك كونتا ذات يوم ان ينفجر اهتياجا عندما نقل اليه زميله الوولوف سؤالا عما اذا كان على السفينة احد من قرية جوفوري٠

فهمس لاهثا: "كونتاكينتي!" وبقي متوترا ينتظر طوال الساعة التي استغرقتها عودة الرد: "نعم٠ لقد كان ذلك هو الاسم٠ فقد سمعت الطبل يعلن الحداد عليه في قريته"٠ واخذ كونتا ينشج منتحبا حين سمع ذلك، وعقله يتمثل اسرته وهي تنتحب وتندب ابنها كونتا كينتي، الذي غاب عنها الى الأبد٠

كيف يمكن مهاجمة التوبوب على المركب الضخم وابادتهم؟ وكم هو عددهم؟ لقد انقضت ايام كاملة في توجيه هذه الاسئلة والبحث عن اجابات عنها٠ وفي النهاية جاءت المعلومات المجدية من اغاني النساء في اثناء رقص الرجال في سلاسلهم على متن السفينة٠ فأفادت النساء ان هناك قرابة ٣٠ توبوب باقين في السفينة، بعد ان وضع خمسة من موتاهم في قماش ابيض خيط عليهم قبل ان تلقى جثثهم في المياه الزرقاء التي لا نهاية لها٠ وثار الجدل حول طريقة قتل التوبوب٠ واراد البعض ان يهاجموهم في المرة التالية عندما يساقون الى سطح المركب، بينما رأى اخرون ان من الحكمة التزام اليقظة والتريث٠ وتفاقم الخلاف المرير في الظلام المفعم بالرائحة الكريهة، حتى رن ذات يوم صوت رجل كهل يقول: "اصغوا الي! على رغم اننا ننتمي الى قبائل مختلفة ونتحدث لغات مختلة، الا اننا يجب في هذا المكان ان نتحد معا وكأننا قرية واحدة! وعلينا ان نكون كرجل واحد خلف قائدنا!" وحين سمع الجميع ذلك، ترددت همهمات التأييد والموافقة في باطن السفينة المظلم٠

وتزعم رجل رهيب الشكل من الوولوف الرأي القائل بشن الهجوم على التوبوب فورا٠ وقد سبق للجميع ان رأوا وجه هذا الرجل على ظهر السفينة وهو يرقص بعنف في سلاسله ويكشر عن اسنانه الحادة المسنونة في وجه التوبوب الذين صفقوا له وهم يحسبونه يبتسم لهم٠

اما المجموعة التي رأت وجوب التريث والاعداد اليقظ، فقد تزعمها رجل من الفولا كئيب السحنة يمتلىء ظهره بندوب السياط٠ ولم يكن لدى كونتا ادنى شك في قدرة رجل الوولوف الجريء الوحشي الهيئة على قيادة جيش بأكمله، ولكنه أيد اختيار رجل الفولا، لأن من الحقائق التي يعرفها الجميع ان اي رجل من الفولا على استعداد لان ينفق سنوات طوالا - بل وان ينفق عمره بكامله - كي يثأر لنفسه ثأرا قاصما اذا ما اصابه ظلم جسيم٠

ولم يطل بهم الوقت حتى سيقوا مرة أخرى الى سطح السفينة، حيث حاولوا، اطاعة لامر رجل الفولا، ان يتظاهروا في تصرفاتهم بالرضا كي يخفف التوبوب من حذرهم٠ وعلى

رغم ذلك فقد انتاب القلق كونتا خشية ان يحس التوبوب بالفرق المتزايد في طريقة رقصهم، لأنهم لم يعد في مقدورهم الآن ان يمنعوا اجسامهم من عكس الخواطر التي تدور في أعماق اذهانهم. ولم يبد على التوبوب المبتسمين ما يدل على ان الشك قد تطرق الى نفوسهم.

وذات يوم وهم على سطح السفينة، جمد كونتا دهشة في مكانه وهو يرقب الاف الاسماك تطير فوق سطح الماء مثل الطيور الفضية، حتى انتزعته من تأمله فجأة صرخة عالية مثل صرخة الحيوان، فدار على عقبيه بسرعة ليرى رجل الوولوف العنيف وهو ينتزع البندقية من احد التوبوب ويلوح بها في الهواء كأنها هراوة، ثم يهوي بها على رأس التوبوب في ضربة عنيفة تناثرت لها جمجمته. واستمر الوولوف يزأر في غضب وينقض ضربا على التوبوب الآخرين الذين تجمعوا من حوله ليهاجموه، حتى لمع في الهواء نصف سيف، وسقط رأس رجل الوولوف منفصلا عن جسده، ثم انفجرت ماسورة المدفع السوداء الضخمة بزئير كالرعد وخرجت منها موجة من الحرارة والدخان فوق رؤوس الرجال المقيدين، فصرخوا وتساقطوا فوق بعضهم البعض في كومة يضمها الخوف والارتعاب.

وارتفعت صيحات التوبوب وهم يسارعون بدفع الاسرى المقيدين نحو الكوة ببنادقهم وسيوفهم. وقبل ان يدرك الرجال ما حدث، وجدوا انفسهم مرة اخرى في بطن السفينة مقيدين بالسلاسل في أماكنهم المظلمة، وقد اطبقت عليهم فتحة الكوة. وانقضت فترة طويلة قبل ان يجرؤ احد حتى على الهمس. وامتلأت نفس كونتا بالمرارة وهو يتساءل: لماذا لم تصدر الاشارة بالهجوم. واتضح من الهمهمات المطردة الارتفاع حوله ان كثيرا من الرجال يشاطرونه افكاره. ولم تلبث الكلمة ان جاءت من رجل الفولا بان الهجوم سيجري في المرة المقبلة عندما يساقون الى سطح السفينة لغسل ابدانهم.

ولكن كونتا سمع في تلك الليلة صوتا جديدا يأتيه من سطح السفينة، فاعتقد ان الرياح العنيفة تتلاعب بقطع القماش الكبيرة البيضاء (القلوع) المنتصبة فوق السطح بشدة تفوق المعتاد، ثم بلغ سمعه صوت آخر وكأن قطرات المطر تطرق سطح السفينة. وبدأت السفينة الضخمة تتأرجح وترتج بلا انتظام. بينما تعالت من الرجال صرخات الالم مع احتكاك اكتافهم واذرعهم والياتهم المتقرحة الدامية بالالواح الخشنة.

وشعر كونتا وهو على حافة الغيبوبة بصوت الماء يتسرب بكميات كبيرة الى جوف السفينة، واعقبت ذلك طرقات الخطوات، وتلاها صدى صوت اشبه بقماش ثقيل ينسحب عبر السطح، الى ان انخفض صوت الماء المتساقط عندما غطيت الفتحات. ولكن الحرارة والرائحة الكريهة اصبحتا محصورتين في جوف السفينة، فأخذ كونتا يشهق مكافحا كي يتنفس وقد انتابه الغيثان.

وعاد الى وعيه في تلك الليلة ليجد نفسه فوق سطح السفينة وهو يتنفس

باضطراب هواء البحر المنعش. ورأى في ضوء المصابيح بعض التوبوب وهم يصعدون متعثرين خلال الكوة لانـزلاق اقدامـهـم فـي الـقـيء، ويسحبون اجساما هامدة مقيدة على السطح ليلقوا بها على الارض قريبا منه. وكان المركب الضخم لا يزال يتأرجح بشدة تعذر معها على رئيس التوبوب الابيض الشعر ان يحافظ على توازنه وهو يدقق فاحصا الاجسام الملقاة على السطح، وكان يشتم ويلعن بمرارة في بعض الاحيان، ويصرخ آمرا، فيأتي توبوب آخرون يسحبـون جسـدا هامـدا الـى سـور السفينة ويلقون به في المحيط. فقد لقـي اولئـك حتفهـم فـي الجحيـم السفلي، وقد حسد كونتا على هذا المصير.

الهذيان

صفا الجو مع بزوغ الفجر، فاجال كونتا النظر حوله بتثاقل ليرى رفاقه الاسرى مستلقين على سطح السفينة وبينهم كثيـرون تنتابهـم تقلصـات شديدة، وكان رئيس التوبوب يتنقل بين الرجال المكبلين بالسلاسل ليضع الادهنة والمساحيق على جروحهم، ويفتح في بعض الاحيان افواه الرجال عنوة ليدفع الى حلوقهم بسائل من قنينة سوداء، وعندما اقترب التوبوب من كونتا ليضع شيئا كالوهن على جسده حول كونتا نظره الى الناحية الاخرى، مفضلا لسع السياط على ملمس هاتين اليدين الشاحبتين.

وقضى الايام التالية في ضباب من الالم والمرض، مستلقيا في مكانه من قاع السفينة وسط الاقذار وهو لا يعرف ما اذا كانت قد انقضت عليه في احشاء سفينة التوبوب اشهر او عام بأكمله، لان الرجل الذي كان يعد الايام مات كما مات رفيقه في القيد، وجاء التوبوب ففصلوه عن كونتا وسحبوا جسده المتصلب الى حيث لا احد يدري. وظل كونتا راقدا وقد شل الخوف والصدمة جسده، ومضى يصرخ في الظلمة: "الموت للتوبوب!" بعد ان بلغ المرض والضعف منه مبلغا لم يعد يكترث معه كثيرا لقتل أي شخص.

وطرأ حادث جديد عندما اصبح عدد من الرجال الذين في بطن السفينة يصرخـون صرخـات اليمـة مخيفـة، ويخرج من امعائهم خليط من كتل الدم والمخاط الاصفر السميك. وحين اقبل التوبوب الذين يحملون الطعام ورأوا وشموا للوهلة الاولى رائحة هذا الافراز العفن، بدا عليهم الاضطراب الشديد. وبعد بضع دقائق هبط رئيس التوبوب، وفـي فمـه كيـس كافـور يمسك به بين اسنانه الا انه لم يلبث ان انتابه الغثيان، واصدر اوامره باشارة حادة من يديه فحمل اعوانه المرضى الجدد الى اعلى من خلال الكوة.

ولكن ذلك لم يجد فتيلا، لان عدوى الافراز الدمـوي انتشـرت بسرعـة، ونقلت معها الى معظم الرجال آلاما شديدة في الرأس والظهر وحمى ملتهبة ورعدة مرهقة. وحين احس كونتا بالاحتراق الفظيع في امعائه انفجرت مـن حلقـه صرخـات الالـم لتضيف المزيد الى الضجيج الرهيب المتصاعد من بطن السفينة. وانتابه الهذيان فاخذ يصيح باسماء ابيه وجده: "عمر - عمر ثاني الخلفاء هو الثالث بعد محمد رسول الله القريب

الى اللـه· القـريـب الـى اللـه رجـل الاسلام"·

ودرجت العادة في كل يوم ان يسحب المرضى المقيدون بالسلاسل الى الهواء الطلق على سطح السفينة بينما يحمل التوبوب دلاء ملأى بالخل والقار المغلي لتبخير بطن السفينة· وعلى رغم ذلك فقد كان كل يوم يحمل معه الموت الى شخص او اكثر يلقي بهم في البحر، ومن بينهم احيانا بعض التوبوب·

وذات يوم، عندما صعد كونتا الى النور والهواء، رأى في غير وضوح ان قطـع القمـاش البيضـاء الكبـيـرة (الاشرعة) المنشـورة علـى الاعمـدة العالية تبدو متهدلة مرتخية· وكانت الرؤية صعبة، لان عيني كونتا اللتين كانتا حادتـي النظـر اصبحـتـا الان ممتلئتين بافراز صمغي اصفر، ولكن المركب الضخم بدا ساكنا تقريبا فوق طبقة من اعشاب البحر الذهبية اللون، بعد دخوله بحر سارجاسو (منطقة في المحيط الاطلسي تسكنها الرياح في بعض الاحيان)·

وتوقفت ضربات السياط، عن ظهور الرجال، واصبحوا يحظون بمقدار اكبر من الطعـام والمـاء· وكـان بحـارة السفينة يجتذبون الاسماك الطائرة كل ليلة بالمصابيح فينالون منها قرابة ٥٠ كليوغراما في كل مرة، يضاف لحمها الى جريش الذرة الذي يقدم الى الاسرى· وعلى رغم ذلك فقد جاء في النهاية وقت عجز كونتا عن الاكل من دون معونة، لان بقايا العضلات في ذراعيه لم تعد تمكنه من رفع يديه لكي يتناول الطعام باصابعه من صحفته· وهنا جاء احد التوبوب فوضع في فم كونتا انبوبة مجوفة واخذ يصب الحساء في طرفها الآخر·

واخيرا بدأ النسيم يهب، وعاد المركب الضخم يشق عباب الماء بصوت كالفوران· ومع مرور الايام احس كونتـا بنـوع مـن الاضطـراب يسري بين التوبوب· وذات صباح بدا على وجوههم الابتهاج الشديد وهم يندفعون الى جوف السفينة ليساعدوا الرجال المرضى على الصعود من خلال الكوة· وحين تغلب كونتا على انبهار عينيه بضوء الصباح الباكر رأى جميع التوبوب الآخرين يضحكون ويهتفون ويشيرون بأيديهم في فرح بالغ· وظل كونتا يركز عينيه المليئتين بالافراز الصحفي وينظر من بين ظهور رفاقه المليئة بالقشور والقروح والقمل، ثم جمد في مكانه فزعا·

فقد ظهرت له على البعد غائمة كالضباب، قطعة من ارض الله لا تخطئها العين·

ارض "توبوب دو"

حين بدا للعين ميناء كيب هنري في ولاية فيرجينيا ، دخل الكابتن توماس ديفيز، قمرته وبدأ يعرض رحلته بأكملها، وهي اول رحلة يقوم بها كربان بعد سنوات عدة قضاها ضابطا على سفن الرقيق· وكانت الرحلة ايضا هي اول رحلة لسفينته المسماة "لورد ليفونر" التي بنيت قبل اقل من عامين في مستعمرة نيو انغلاند والتي يبلغ طولها ٢١ مترا تقريبا وحمولتها ١٥٠ طنا·

واستخرج الكابتن ديفيز وثيقة من درج مكتبه وأخذ يعيد قراءة امر الابحار الصادر اليه: "اننا نطلب اولا الا يؤخـذ مـن الزنـوج الا الشبـاب

سوني
SONY



KV-2012ME

في البداية ترينيترون ، والآن بيتاماكس
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الاخر



SL-8000E
بال / سيكام
للتسجيل واعادة المشاهدة

في البداية انطلقت سوني بتكنولوجيا الفن التلفزيوني الى مستوى جديد بواسطة تلفزيون ترينيترون الملون. هذه التكنولوجيا تقدم لك الآن بيتاماكس، أول مسجل تلفزيوني للبيت. أربط بيتاماكس بجهازك التلفزيوني لتسجيل أي شيء ترغب بمشاهدة عرضه من جديد.

فاذا كان لديك برنامجان مفضلان في نفس الوقت، يمكنك مشاهدة احدهما في الوقت الذي يسجل فيه بيتاماكس الآخر.

ولتسجيل البرامج المفضلة أوتوماتيكيًا وأنت خارج البيت، ما عليك إلا ضبط جهاز الوقت اليومي كما وان بإمكانك مشاهدة عرض التسلية المسجل مسبقًا في أي وقت تشاء. حول غرفة الجلوس الى مسرح في البيت بواسطة الأفلام العاربة والرومانسية، والبرامج العائلية من مختلف الأنواع.

بيتاماكس يستخدم اصغر فيديو كاسيت وأوفره كلفة في العالم. وهو سهل الترضيب والتعامل معه، وبالرغم عن أنه يتسع لشريط أطول من أي كاسيت آخر بالنسبة لحجمه، ويدوم اكثر من ثلاث ساعات.

كما وان جهاز بيتاماكس يو - لودنغ الذي انتجته وطورته سوني، أثبتت التجربة انه الأشد اعتمادًا والاكثر متانة وحمولة اذاعية بين سائر أجهزة التسجيل التلفزيوني.

عشرون عامًا من الاختبار في حقل التكنولوجيا، حققت لك أولاً الترينيترون، وتحقق لك الآن بيتاماكس ... الابتكار العظيم بعد الآخر.

سوني بيتاماكس Sony Betamax
شاهد ما فاتك مشاهدته

قسيمة اشتراك

اشـترك في المجـلة
التي يقـرأهـا أكثر من ١٠٠ مليون
في ١٥ لغـة

املأ هذه القسيمة وارسلها مرفقة بالقيمة المطلوبة الى "المختار" فتصلك المجلة فوراً.

NAME .... الأسم
ADDRESS .... العنوان
....
....
PROFESSION .... المهنة
SIGNATURE .... التوقيع

أود الاشتراك في "المختار" لمدة سنة كاملة
أرفق قسيمة إشتراكي بشيك مصرفي بأسم:

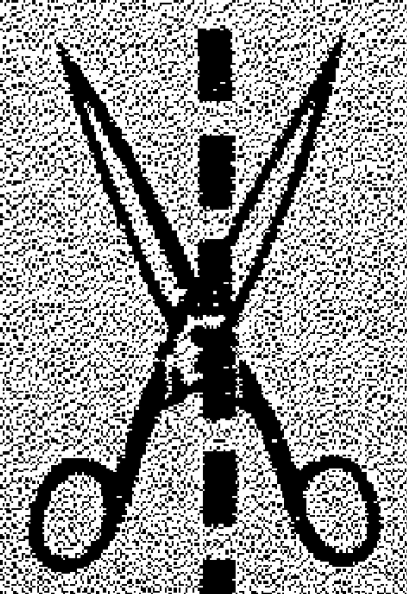
AL MUKHTAR min Reader's Digest

قيمة الاشتراك السنوي بما فيه بدلات الارسال الجوي:

☐ أوروبا وشمالي افريقيا	٢٢ دولاراً أمريكياً
☐ البلدان العربية	٢٥ دولاراً أمريكياً
☐ الولايات المتحدة - كندا وامريكا الجنوبية	٢٧ دولاراً أمريكياً
☐ أوستراليا والبلدان الأخرى	٣٠ دولاراً أمريكياً

عنوان "المختار":

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE



الاصحاء الاقوياء ذوي التكوين السليم والابدان المتينة وثانيا اي شحنات اخرى يمكن ان يوجد لها فراغ بسبب نقص عدد العبيد المأخوذين".

ولما كان الكابتن الابيض الشعر صريحا مع نفسه الى ابعد حد ممكن، فانه لم يجد بعد المراجعة انه قد ارتكب اي خطأ يعتد به. اما العاصفة والمرض، والموت التي اختطفت ٤٢ من الزنوج وعددا من بحارته، فقد رأى انها جميعا امور مرهونة بمشيئة الله. وسوف يعود على اصحاب السفينة ربح ضخم من الـ٩٨ عبدا وعبدة الذين بقوا على قيد الحياة. اما اجره هو فيبلغ ١٢٠٠ دولار يضاف اليها ٣٠ دولارا عن كل عبد يسلمه.

وكان الكابتن ديفيز قد ابحر بسفينته "لورد ليفونر" في البداية من ميناء انابوليس الى ميناء غريفسند في انكلترا بحمولة من شراب الروم لم يجد صعوبة في بيعها، واشترى بجزء من ارباح تلك الصفقة ٤٥٠ مجموعة من اصفاد المعاصم والكواحل، واثنتين وسبعين قطعة من سلاسل القيد طول كل منها ستة امتار، وحديدتين للوصم عليهما الحرفان الاولان من اسم السفينة، وكمية كبيرة من السلع الرخيصة الزاهية الالوان لاستخدامها في التجارة في ساحل افريقيا.

وبعد ان اضاف الى بحارته عددا من الرجال، ابحر بسفينته متوجها الى افريقيا في شهر يوليو (تموز) عام ١٧٦٦. وجهزت السفينة في اثناء الطريق لاستقبال العبيد، اذ رفع النجار فتحات التهوية على السطح وبنى رفوفا طويلة من الالواح في العنبر السفلي، ثم استخدم المسطرة والدهان ليحدد على هذه الرفوف مسافات عرض كل منها ٤٠ سنتيمترا للعبد الواحد. وتولى المدفعي صنع قذائف للمدافع المتحركة، واستخدم الضابط اشرطة من الجلد الخام ليجدل منها كمية من السياط ذات الشعب. وبعد ثمانية وستين يوما قضتها السفينة في بطء وخيبة لعبور المحيط، رأى الربان ديفيز الارض، ودخل بها في مصب نهر غامبيا حيث دفع ضريبة لملك ايساو الاسود الذي يحكم المنطقة، ثم صعد بالسفينة في النهر حتى رسا بها امام قلعة "فورت سانت جيمس" التي تملكها بريطانيا، والتي كان يشحن منها قرابة ٢٠٠٠ من العبيد سنويا.

وحرص ديفيز بادئ الامر، على ايفاد عدد من رجاله الى الشاطئ لشراء الخشب والقش من اشجار "المانغروف" لكي يقيم منها حاجزا فوق سطح السفينة، يركب في فتحة من احد جدرانه مدفعا متحركا تحوّطا لثورة قد يقوم بها العبيد في عرض البحر. ثم زار الربان عددا من السفن الاخرى الراسية في الميناء، فأنذره ربابنتها بان اسعار العبيد مرتفعة وتبلغ ١٢٥ دولارا للشاب، منهم، وان المعاونين السود لم يعودوا يقبلون الحلى الرخيصة ثمنا لمعاونتهم، وانما هم يصرون على النقود ولا يرضون بغيرها، غير ان ديفيز صمم على الامتناع عن دفع مثل هذه الاسعار الباهظة مؤثرا ان يستوفي ثمن حمولته بسرعة فاختار الاعتصام بالصبر، وشراء عبيده واحدا واحدا بعد التدقيق والتمحيص والاقتصار

على شراء الزنوج الذين يكفلون له الحصول على أعلى الاسعار في انابوليس·

وذهب ديفيز بعد ذلك لفحص بعض العبيد، فاشترى شابين منهم من الطراز الممتاز، ذكر وانثى، وتحمل صراخهما عندما احرقت حديدتا الوصم الجديدتان لحمهما بين الكتفين لدمغ جسديهما بحرفي "ل.ل" رمز السفينة، وحين بلغ بهما السفينة، دون في سجلها العبارة التقليدية التي ترمز الى اول ذكر وانثى في الكون: "آدم وحواء على ظهر السفينة"·

واستمر ديفيز يتعامل مع تجار الرقيق من الافراد، ويحصل منهم على العبيد الذين يختارهم، الا ان تعاقب الاشهر قد اضطره الى التعامل على نحو متزايد مع وكالات العبيد الكبيرة الباهظة الاسعار، وكان عددها يبلغ الثلاث عشرة على طول نهر غامبيا، يتولى عادة ادارتها ربابنة سابقون فاشلون ويتولى حراستها خفراء من السلاتي (المعاونين السود)· وكانت هذه الوكالات تشتري العبيد باسعار الجملة· فتستولي على مجموعات كبيرة منهم يتم اعتقالها في اثناء غارات تشن على القرى·

وفي آخر شهر مايو (ايار) عام ١٧٦٧ لم يبق لدى ديفيز سوى ١١٨ عبدا، بينما كانت السفينة تتسع لمئتين منهم بحيث يوضع الذكور في العنبر السفلي والاناث والاطفال في المسكن المتصل بالحاجز· وكان عدد من السفن التي وصلت بعد "لورد ليغونير" قد اقلعت للعودة بعد ان استوفت حمولتها من عبيد الدرجة

الثانية٠ وسوف يبلغ ولا شك نبأ مجيئها وعودتها السريعة اصحاب سفينته الذين سيعجبون عندئذ لتأخره كل هذا الوقت الطويل٠

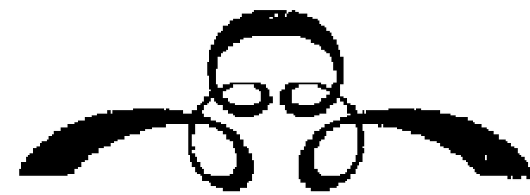
واخيرا، في ٥ يوليو (تموز) بعد ان اشترى ديفيز ٤٢ عبدا آخرين وملأ الاماكن الباقية الفارغة في السفينة بـ١٢٥٠ ناب فيل و١٧٠٠ كيلوغرام من شمع العسل، و٣٥٠ كيلوغراما من القطن و٩٠٠ غراما من الذهب، بادر الى نشر اشرعته وبدأ رحلة العودة، فبلغ ميناء "كيب هنري" في الاسبوع الثالث من شهر سبتمبر (ايلول)٠

وانكب ديفيز في قمرته على مراجعة حساباته، فوجد ان لديه ٩٨ من العبيد لا يزالون على قيد الحياة، ولن يقل ثمن الواحد منهم عن ٦٠٠ دولار، فيكون مجموع ثمنهم ٥٨٠٠٠ دولار على اعتبار ان سعر الاطفال يقل عن سعر البالغين٠ ويضاف الى ذلك ١٠٠٠ دولار اخرى ثمن الشحنات الجانبية التي نقلها٠ واذا طرحت من ذلك اجور البحارة (بمعدل ٥ دولارات للبحار الواحد شهريا) والنفقات النثرية وتكاليف السفينة، فان اصحابها سيحصلون على ربح صاف مقداره ٣٦٠٠٠ دولار٠ ومعنى ذلك انه قدم اليهم خدمة طيبة، ولا شك في انهم سيمنحونه في المقابل مكافأة طوعية طيبة علاوة على ما يستحقه من اجر٠ واذا تمكن من القيام برحلات اخرى مثل هذه، فانه لن يلبث ان يصبح قادرا على التقاعد وهو ميسور الحال٠

اخذ كونتا يتطلع بعينين نصف مغمضتين الى الارض التي لا تزال غائمة في الافق البعيد وراح جسده يرتعد والعرق يتلألأ علىجبينه٠ وانسابت الدموع فاحالت كل شيء في عينيه الى ضباب رمادي، وغمر جوانحه احساس بالشؤم والتطير من المستقبل٠

اذا فان لهؤلاء التوبوب مكانا يلقون اقدامهم عليه ارض "توبوب دو"! وادرك كونتا في اعمق اعماقه ان ما تخبئة له الايام سيكون ولا ريب اسوا من كل ما عاناه من قبل٠

القسم الثاني في العدد المقبل



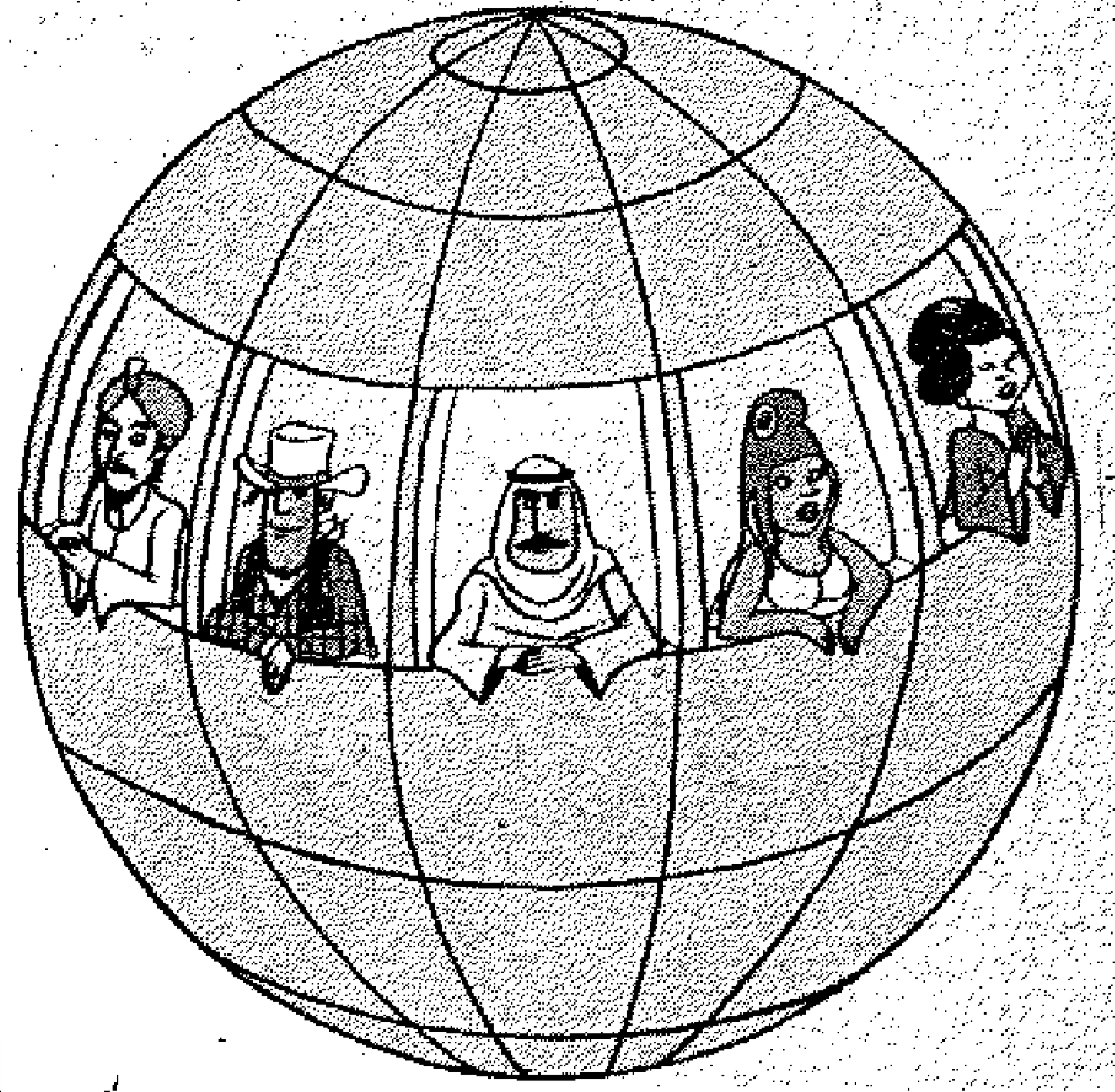
بلغ الرجل اواسط العمر من دون ان يحقق الكثير في حياته٠ وعلى رغم ذلك، فقد ظل يفاخر اباه الجنرال المتقاعد بقوله: "ان ولدي أفضل من ولدك"، ويفاخر ابنه الطبيب بقوله: "ان ابي افضل من أبيك"٠

هـ٠م٠ ش٠

بعد فوات الأوان

على جدار عال في مدينة ادنبرة في اسكوتلندا اعلان رسمي يقول: "التدخين يعوق نموّك"٠ وفي اسفل الجدار، وعلى ارتفاع لا يزيد على ستين سنتمترا عن ارض الشارع، كتب احدهم: "أجئت الآن تعلمني؟"

(مجلة "العالم الضاحك")



حكايات صغيرة من العالم

اثمن سيارة قديمة

طوال ٤٨ سنة، ظل واين بريتشارد، وهو امريكي يملك مرآبا للسيارات، يعمل على تفكيك سيارة بالية من طراز بيرس - آرو تعود الى عام ١٩٢٠، كان كلفه شراؤها ٦٢٤٥ دولارا. ثم كسا كل قطعة فيها بالفضة والنيكل او الذهب من عيار ٢٣ قيراطا، واعاد تركيب كل تلك القطع الثمينة بحيث باتت هذه السيارة، الوحيدة المصنوعة من النيكل والذهب والفضة في العالم. وقد اشتراها منه متحف تجاري في لانكاستر (ولاية بنسلفانيا) بسعر ١٨٠ الف دولار، وهو اعلى سعر على الاطلاق.

س.م.

من منافع العجلات

وقفت الامريكية وهي لا تصدق عينيها، اذ رأت سجادة فارسية فاخرة مصنوعة باليد، يقدر ثمنها بثلاثة آلاف دولار، وقد بسطت امام سيارتها في احد شوارع طهران. ولشد ما اثار خوفها مرور السائق بسرعة فوقها من دون القاء نظرة.
وضجت السيدة بالشكوى وسألت السائق: "لم يسمحون للسيارات بالمرور فوق هذه السجادة الرائعة؟"

فهز السائق كتفه بلا مبالاة واجاب: "هكذا يفضلها الامريكيون".

ولم يكن الرجل على خطأ. فالسجادة القديمة تقدر بسعر اعلى من قبل المشترين الاجانب. ولتسريع عملية "التعتيق" هذه، يلجأ تجار السجاد احيانا الى طرح سجادة جديدة في الشارع.

ج.ن.

وصية فنان

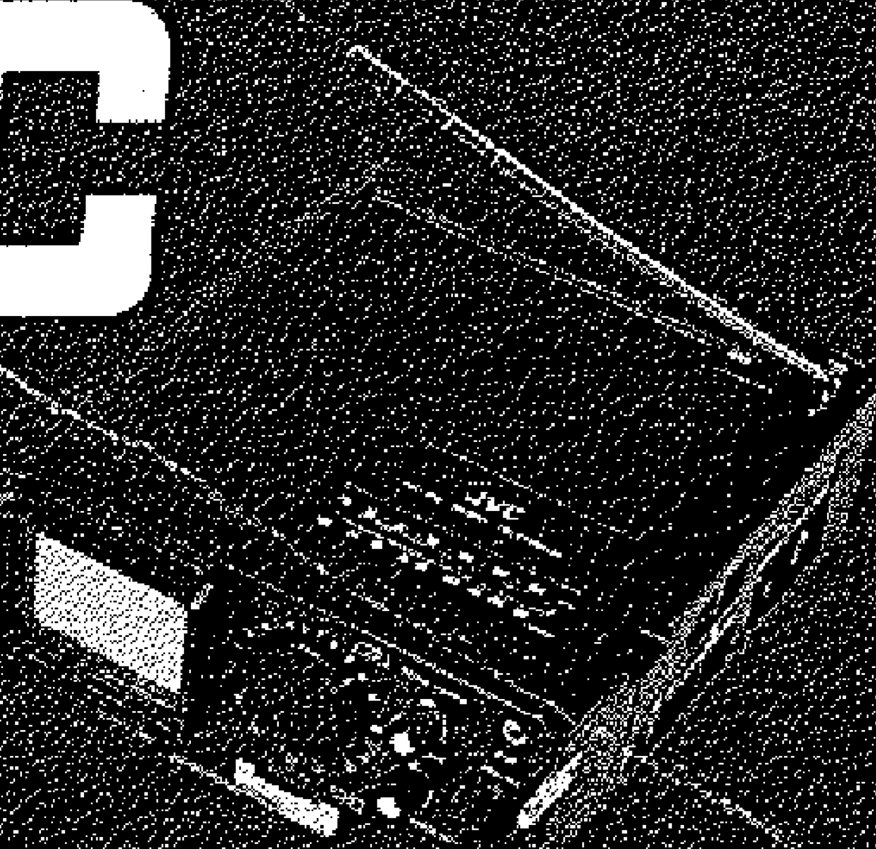
على رغم ان عازف الاوبرا جيان كارلو مينوتي يحب الحياة الا انه يفكر في الموت او في قراءة وصيته على الاقل، برباطة جأش. فالامران بالنسبة اليه اشبه بحدث مسرحي. ويؤثر عنه قوله: "طالما شعرت بان الانسان يخون اصدقاءه في وصيته. لذلك كتبت فقرة في وصيتي ذكرت فيها كل من احببت او من كانوا لطفاء معي، وتركت لكل منهم شيئا صغيرا - قليلا من المال او حاجة ما. وبعدما حاولت ان اتذكرهم جميعا، كتبت وصيتي. واذا بمحامي ينظر الي بخوف ويقول: ولكن، يا سيد مينوتي، هذه ليست وصية.. انها اعلان بيع بالمزاد".

ج. غروين، "حياة مينوتي"

الحجم ليس وحده المهم في أصغر جهاز تلفزيون راديو في العالم



انك متأكد بالطبع من ان جهاز التلفزيون / راديو المتناهي الصغر الذي تبلغ مقاييسه ٥٣×١٤٨×١٨٧ ملم ووزنه ١،٠٠٠ غرام، شيء جدير بالاهتمام. الا ان الواقع هو ان اكثر ما يثير اهتمامك في الجهاز "ب-١٠٠" هو انه يتسم بالمميزات نفسها ويوفر لك جودة الاداء نفسها التي تتوقعها من انتاجنا ذي الحجم الطبيعي. فأنبوب الصورة، مثلا، من الطراز الذي يظهر فورا. ويعطيك مكبر الصوت المبيت والمتكامل الدوائر صوتا وقد صممت اجهزة التحكم بحيث تلائم اصابعك. وأكثر من ذلك ايضا ان تقنيات التصغير المتناهي لمنتجات الترفيه الالكترونية في "جي في سي" **JVC** اكثر تقدما منها في اي شركة اخرى في العالم. لقد توصلنا الى صنع اصغر اجهزة الكترونية عرفها الانسان، ونحن نعرض عليك اصغر جهاز يمكن ان تقتنيه يجمع بين الراديو والتلفزيون والكاسيت. وتذكر ان "جي في سي" **JVC** هي الشركة التي ابتدعت الاجهزة الالكترونية السمعية البصرية وطورتها خلال ٥٢ سنة من الخبرة. وللتفاصيل اهميتها في نظر "جي في سي" **JVC** ولهذا فيمكنك ان تعتمد علينا دائما للحصول على التسلية المنزلية الحقيقية.



اقصد اقرب بائع مفوض لشركة "جي في سي"

